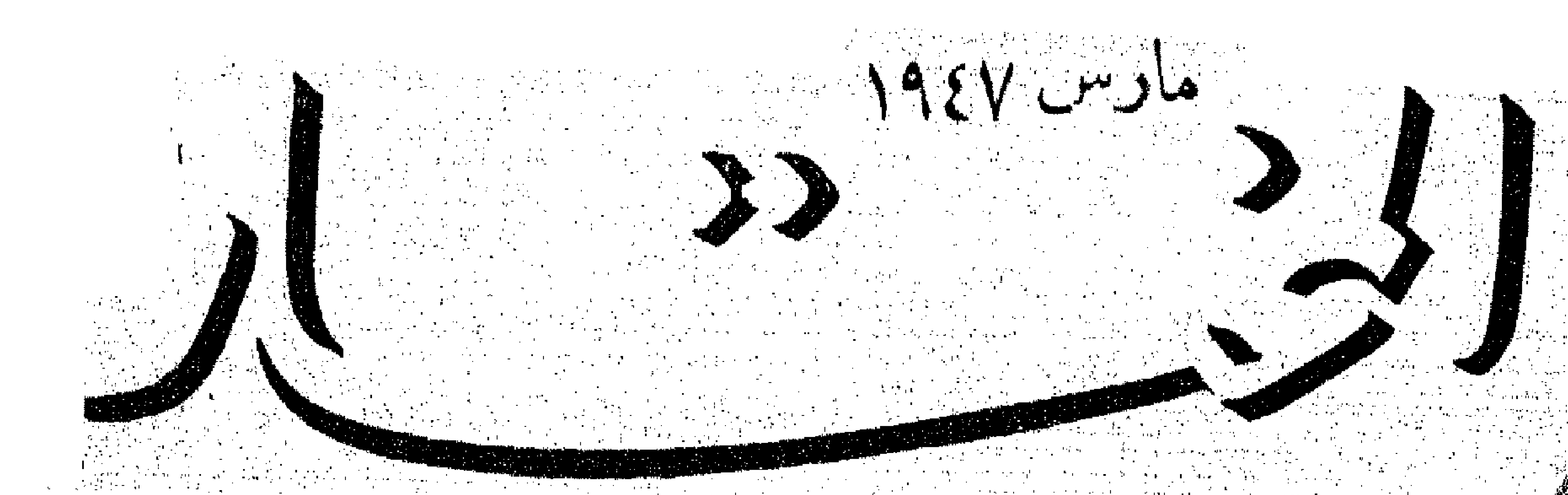


فى كل مقالة لذة دائمة

بعض ما تقرأ في عدد إبريل سنة ١٩٤٧

قضيتُ أياماً مع غاندي — لا يزال غاندي أعظم قوة تؤثر في حياة الهند ، فحين عرض مشروع وفد الحكومة البريطانية لاستقلال الهند ، لم يدُر على الألسن : هل يقبل الهنود هذا المشروع ؟ بل : هل يرضى به غاندي ؟ وفي هذا المقال صورة غاندي الرجل ، والسياسي ، والمصلح ، والصحفي ، والمهاتما .

سلاحٌ مهمل ضد السل — قصة اللقاح ضد السل ، الذي صنع أولاً في أوربة ، فإذا هو اليوم سلاح واقٍ بعد طول إهمال ، قد ينقذ ألوفاً من هذا الداء الوبيل .

موزار : عبقرية في طفل — الموسيقي الذي كانت جوانحه تنطوي على أتم عبقرية موسيقية فطر عليها إنسان ، وكيف كان حتماً على صاحب هذه الروح المرهفة العلوية أن يناضل الظلم والمرض والدين والفاقة ، طوال حياته .

حكمة الجسد — وصف القدرة الخفية المدخرة في جسد الإنسان ، فتعينه في كفاح المرض ، وإصلاح ما يفسده المرض من أعضائه . فإذا شئت أن تضاعف ثقتك بالحياة فتأمل : حكمة الجسد .

كبرياء (من صميم الحياة) — قصة وقعت لأديب وشاعر مشهور ، فهذه كاتمة سره الحسناء تردّه ربع قرن إلى عهد الشباب ، وهذا خطيبها الموسر الوسيم يخالف تقاليد الأسرة ، ساعة يرى كبرياء خطيبته تأبى عليها أن تستبدل بالمال والجاه حنان جدة أضفى عليها الدهر .

شيخوخة بهيجة (الشخصيات التي لا تنسى) — وهذا أديب شاعر آخر ، تردّ إليه البهجة والشجاعة وحماسة الشاعر حين يلقى ذات يوم شيخاً أقعدته علة المفاصل ، ولكنها لم تمنعه من أن يجعل الحياة فناً ممتعاً .

سطوٌ رسمي (باب الكتب) — قصة عجيبة كتبها رجل كان « يسطو » باسم الحكومة ، فيفتح الأقفال والخزائن ويصور الوثائق المختومة ، ويعيش عيشة رجل خارج القانون — لكي يسدي خدمة إلى قومه .

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 8, No. 43, MARS, 1947

رؤساء التحرير : ده ويت ولاس ، ليلى آتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنيث باين .
مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ . ل . كول . — المدير المساعد : فرد طمسون .
مدير الطبعات الدولية : باركلي أتشيسون — المدير المساعد : مارفن لوز .

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة ولم ف . جليسي .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوي ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوي في سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ،
وفي سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

السنة الرابعة

المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٨
العدد ٤٣

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

مارس ١٩٤٧

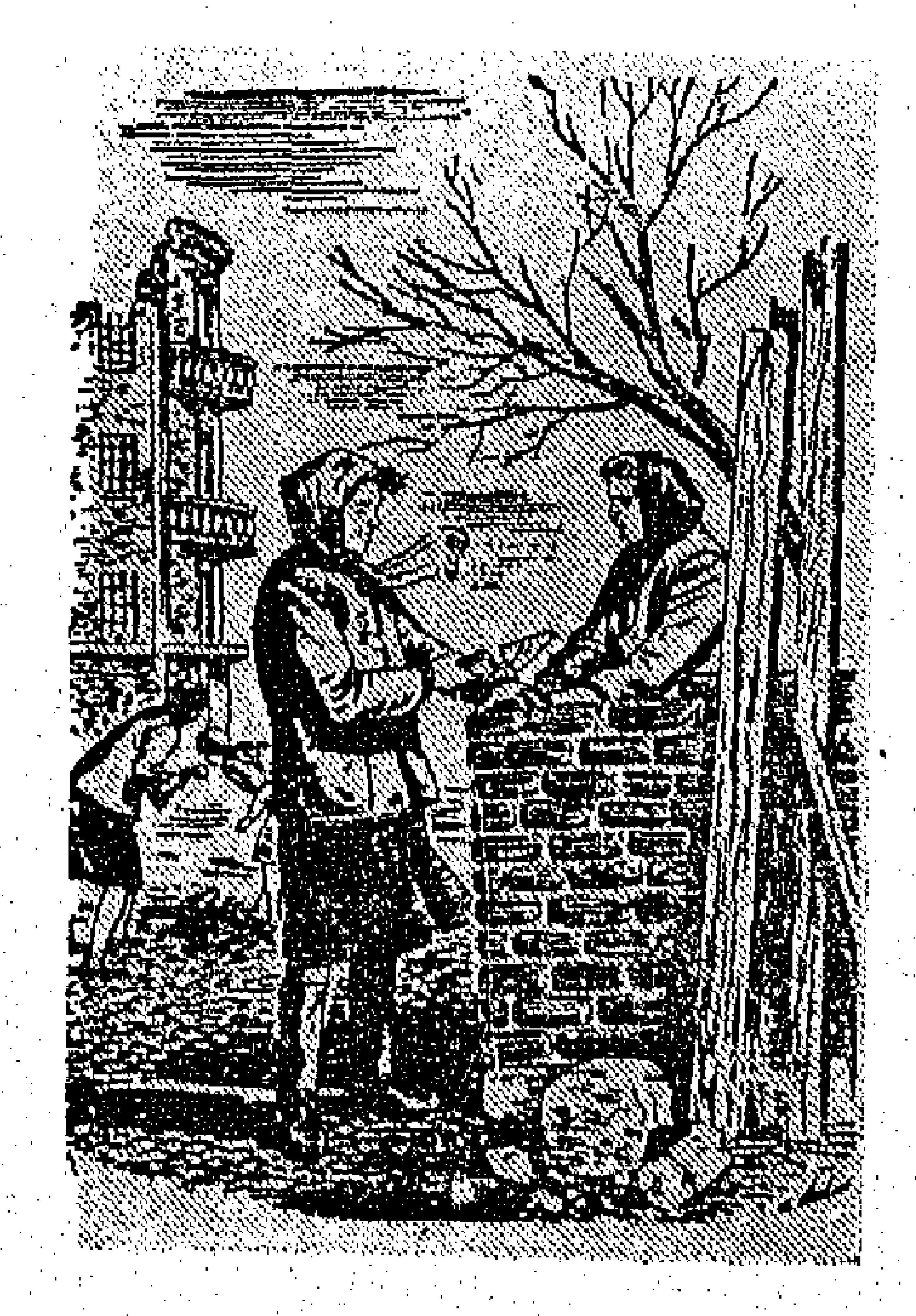
إن شدة النزاع التى تبدو من الجانب الروسى فى خارج روسيا، مقياس يدل على قدر المتاعب التى يلقاها الكرملين فى بلاده.

لا راحة للروس المجهدين

چون فيشر • مختصرة من مجلة "هاربرز"

عانى الشعب الروسى فى السنوات الثلاثين الماضية ضنكا شديداً، وسيظل يعانى من الضنك ما يعدّ فى نظر الأمم الغربية ضنكا مريراً. ذلك لأن الفئة القليلة المسيطرة على بلاده تؤمن بأن حرباً ثالثة قادمة لاريب فيها، وأن لاسبيل لبقاء الاتحاد السوفيتى إلا ببذل التضحيات والجهود المضنية.

وقد أنبأ ستالين مواطنيه فى ٩ فبراير سنة ١٩٤٦ أنهم سيعكفون من فورهم على تنفيذ سلسلة من برامج السنوات الخمس، غرضها الأول إنشاء صناعة ثقيلة (أو بكلمة أخرى صناعة حربية) تضارع أمثالها فى بقية العالم. وقال محذراً إنه إذا لم يتحقق هذا الغرض فلن يشعر الاتحاد السوفيتى بأنه فى مأمن من هجوم آخر يشنه عليه أعداؤه الرأسماليون.



ولم يدرك الروس سوء ما أنبئوا به إلا يوم ١٥ مارس، حينما نشرت حكومتهم التفاصيل القاصمة للظهر عن المشروع الأول الجديد من مشروعات السنوات الخمس، إذ قضت بإعادة تعمير كافة الصناعات التى خربتها الحرب، ثم زيادة إنتاجها بنسبة ٥٠٪ عما كانت عليه قبل

الحرب . وقضت أيضاً بإنشاء صناعة للصلب سيبلغ إنتاجها ٦٠ مليون طن فى السنة ، وهو ما يفوق إنتاج الولايات المتحدة فى زمن السلم. وسيقتضى هذا أن يؤسس فى السنوات الخمس القادمة ٣١٥ فرناً و ١٠٤ من المصانع لبسط ألواح الحديد . ويتضمن البرنامج أيضاً وجوب إصلاح ما لحق بشبكة المواصلات من تخريب على يد الألمان ، فسيعاد مدّ تسعة آلاف ميل من السكك الحديدية ، وبناء ١٨٠٠ قنطرة ، وإنشاء سكك حديدية جديدة يبلغ طولها ٤٣٣٨ ميلا ، وإعداد ٧٥٠٠ قاطرة و ٤٧٢ ألف عربة شحن .

ولا بد من الزيادة والتوسع فى سائر الصناعات المهمة ، كإنتاج الآلات والفحم والتربينات ومعامل التكرير والمواد الكيميائية .

ولم يرد فى هذه المشروعات ذكر للطاقة الذرية ، ولكن المتكلمين بلسان الحكومة الروسية قد صرحوا مراراً بأنهم يتوقعون التوسع فى أبحاثها هى أيضاً فى أقرب وقت ممكن. وليس هناك ريب فى أن أبحاث العلماء الروس قد كشفت عن سرّ تحطيم الذرة من الوجهة النظرية ، ولكن إنشاء مصانعها سيستوعب خير ما لدى روسيا من عمال مهرة فى مدة تتراوح بين خمس سنوات وثمانى سنوات ، وسيستنفد ذلك جزءاً كبيراً من المواد والآلات الهامة التى لا تستغنى عنها الصناعات الأخرى ، كالصمامات والمضخات وثمين المعادن المخلوطة، والأجهزة الكهربائية.

وأخيراً يصبح الجيش الأحمر مزوّداً بأحدث السلاح ، ويقتضى هذا أشياء : منها مثلا إنشاء صناعة جديدة للطائرات ، إذ لم يكن لدى الجيش الأحمر شىء من قاذفات القنابل البعيدة المدى من الطراز الحديث . أما ما لديه من طائرات القتال فقد طال عليه القدم فأصبح عتيقاً منبوذاً .

وتتجمع من هذه العوامل حقيقة شوهاء الوجه ، وهى أنه لن يخصص من مقدرة الإنتاج إلا قدر ضئيل لسد حاجة الشعب إلى بضائع الاستهلاك ، وسيمر على الروس زمن طويل وهم فى مسغبة شديدة .

ويدرك الروس هذا ولا يرتاحون له . ولكنهم يقبلونه لإيمانهم بحكمة زعمائهم إيماناً راسخاً ، ومع ذلك فلا يزعم أحد ، اللهم إلا الغلاة من أعضاء الحزب ، أنها حالة تتقبلها النفس ببهجة وحماسة .

فالشعب الروسى يعيش منذ سنة ١٩١٤ فى فزع الحرب أو الاستعداد لها ، وقد تمت على يديه فى السنوات الست الماضية خاصة ، جهود وتضحيات خارقة ، ولا يزال لزاماً

على أهل غرب روسيا ، وهى المنطقة التى كان فيها مقر عملى ، أن يبذلوا مثل هذه الجهود الخارقة من أجل أن يقووا على الحياة ، هذا إلى جانب ما يقع على عاتقهم من أعباء البرامج الجديدة لنشر الصناعة فى بلادهم .

ولأضرب مثلا على ذلك بماريا تريتا كوڤا التى كانت حين قابلتها قد أتمت بناء مسكن لها : إنها تبلغ من العمر ٦٣ سنة ، وقد شيدت مسكنها بيديها ، وكل أدواتها مجراف وفأس ومسطرة . أما المواد فصلصال استخرجته من فناء الدار وخلطته بقش وصنعت منه لبنات ، وحمل عربة من أجذال الخشب التقطتها من أكوام الأنقاض فى شوارع مدينتها .

وإنه لمسكن حسن ، إذا قسته بما عند أهل أوكرانيا اليوم ، ويقوم هذا البيت وسط خرائب كانت قديماً موقع أهم ضاحية صناعية لمدينة دنيبروبتروفسك .

وقد حرق الألمان أثناء تراجعهم مساكن القرية ، فاضطرت ماريا ، كما يفعل سائر جيرانها ، إلى الالتجاء إلى كهف فى باطن الأرض سنة كاملة وهى لا تنفك تعمل فى إقامة الجدران على أساس كوخها المحترق . والمسكن الجديد مكوّن من حجرتين مساحة كل منهما ١٢ قدماً مربعة ، وله مدخل مسقوف تتخذه مخزناً لخشب الوقود والأدوات وحظيرة لأنعامها وحيوانها . أما أرض المسكن فمن الطين المكبوس ، وكل أثاثه فرن من القرميد وخزانة ثياب من الخشب من صنع يديها ، ومقعد وسرير من الحديد استنقذته ماريا من تحت أكوام الرماد فى مستشفى القرية الذى أكلته النيران. وهى تعيش فيه مع ابن لها سرّح من الجيش يوم أتمت هى بناء الدار ، وتعيش معها أيضاً بنت لها عادت حديثاً من مصنع حربى فيما وراء جبال الأورال .

وأسرة تريتا كوڤا أحسن حالا من كثير من سكان المدن فى أوكرانيا . ففى كييف ، وهى أقل المدن الكبيرة دماراً ، لا يظفر الفرد لمسكنه إلا بحيز مساحته ستة أمتار مربعة ، فما يكون له سوى رقعة طولها عشر أقدام وعرضها ست ، فيها ينام ويطبخ ويأكل ويخزن كل ما تملكه يداه . أما فى مدينة خاركوف فنصيب الفرد أقل من ذلك ، ومع هذا فقد تعوز كثيراً منهم مثل هذه المساحة ، لتدفق المهاجرين العائدين .

فإذا أردت أن تصور لنفسك كيف تعيش الأسرة الأوكرانية ، فاعمد إلى أصغر حجرة من مسكنك وانقل إليها زوجك وأطفالك ، ثم املأها بفراشك وثيابك وما لا تستغنى عنه من متاعك ، واقتلع جهاز التدفئة وأنابيبه الدائرة ، وضع بدله فرناً من

القرميد قلما ترتفع معه حرارة الحجرة إلى ما فوق الصفر ، ثم اخلع صنبور الماء الساخن فى الحمام ورُضْ نفسك على أن تشاركك فيه أسرة أخرى من جيرتك ، ثم استضف أرملة من أقربائك فتجيء ومعها أربعة من أولادها الصغار ، فإذا ضقت ذرعاً بهذا الزحام فاعلم أنك لا تزال أحسن حالا من كثير من الروس . وكثيراً ما شاهدت فى أوكرانيا أربع أسر تعيش فى حجرة واحدة .

ومبلغ علمى أن قلة المساكن تثير من المتاعب مالا تثيره أية مشكلة أخرى ، والسلطة المسئولة لا تخفى قلقها لذلك . والرأى الذى انتهيت إليه هو أن قلة المساكن ونقص الأطعمة قد تكون من أهم الأسباب التى تجعل الكرملين يأبى أن يسارع إلى إعادة جنوده من البلاد المحتلة .

وقد قال لى صديق من كبار المسئولين فى الحزب : « إذا عاد هؤلاء الجنود إلى أوطانهم فلن يطيقوا صبراً . فقد مضت عليهم سنوات خمس وهم ينامون فى الوحل والثلوج ، فهم لن يستمعوا إلينا ونحن نطنب لهم فى شرح برامج إنشاء المساكن فى السنة القادمة . وسيقولون لنا : « لقد أنقذناكم من النازيين، فاعطونا اليوم مأوى نعيش فيه » ومن شأن الجند جميعاً أن يتذمروا إذا قيل لهم انتظروا ، وقد ينتهى بعضهم إلى اليأس » .

ولا شك أن ذلك الفتى الذى قابلته أنا ومترجمتى ونحن نتنزه ذات مساء فى طرقات كييف كان أحد هؤلاء اليائسين ، فقد استوقفناه لنسأله عن طريقنا فسار معنا قليلا لأننا ــ كما قال ــ قد ننبئه عن سير الأحوال فى البلاد الأخرى ، ولأنه يتوق أيضاً إلى الإفضاء لإنسان بدخيلة نفسه .

وقد تبين لى أن هذا الفتى من الجنود المسرّحين ، ومع ذلك فقد وجدته كبقية قرنائه لا يزال مرتدياً البزة العسكرية بعد أن نزعت علاماتها ، وهو مشقوق الحذاء عارى الرأس ، وقال إنه يأنف من العمل لأنه لا يوفق فى كييف إلى عمل يدر عليه شيئاً أكثر من ثمن الخبز . وهو يعيش شريداً لا مأوى له ، وقال لنا : « ها أنا أنام حيثما وجدت لرأسى مكاناً ، فأنام ليلة فى حجرة الانتظار بمحطة السكة الحديدية ، وليلة فى ضيافة صديق ربما بت عنده على الأرض ، وهناك آلاف غيرى فى المدينة ليس حالهم بخير من حالى » .

ولعل هؤلاء الجنود الهائمين على وجوههم هم سبب انتشار موجة من الإجرام فى روسيا، حتى اقتضى الأمر استدعاء فرقة كاملة من

الفرسان إلى موسكو فى الشتاء الماضى لمساعدة رجال الشرطة فى القضاء على تفشى جرائم السرقة . ولا تذكر الصحف هذه الحوادث، إذ أن السرقات لا تعتبر عندها من الأنباء المثيرة للاهتمام ، شأنها فى ذلك شأن الحوادث التافهة الأخرى كالحرائق ومصادمات السيارات والطلاق والزواج .

ويثير الجوع أيضاً تذمراً كثيراً فى أوكرانيا . نعم ، لم يمت أحد جوعاً أثناء إقامتى هناك ، ولكن الطعام كان ضئيلا ، قليل التنوع ، غير شهى .

ولكى أصور لك حال ربات الدور فى روسيا أقول : لو كنت يا سيدتى واحدة منهن ، لكان لزاماً عليك أن تبكرى فى شراء حاجاتك من السوق حتى يتسنى لك أن تظفرى ببعض الطعام قبل أن ينفد المعروض منه ، وحتى لا يخصم شىء من أجرتك عقاباً لك على تأخرك عن موعد العمل ، ذلك أن أغلب نساء روسيا يعملن إذ قلما يكفى أجر الزوج لنفقة الأسرة . (يتراوح أجر العامل فى أوكرانيا بين ٣٠٠ و ٣٥٠ روبلا فى الشهر ، وهو مايعادل ٣٠ أو ٣٥ ريالا ، وتهدف برامج السنوات الخمس إلى إبلاغ هذا الأجر فى سنة ١٩٥٠ إلى ٥٠٠ روبلا) . وليس عمل النساء بالهين دائماً ، بل الأغلب أنهن يعملن فى تشييد الأبنية أو تعبيد الطرق . وأول زمرة رأيتها من النساء العاملات ، كانت تعمل فى رفع أكوام الثلوج المتجمدة على طرقات موسكو ، وكانت درجة الحرارة أقل من الصفر كثيراً ، ومع ذلك فقد كن يكسرن الجليد بأعمدة من الحديد ويرفعن كتل الثلج إلى عربات النقل بأيديهن العارية .

ولن يحيرك يا سيدتى أمر تدبير طعام الأسرة متجولة بين المتاجر للظفر به ، لأنك لا تستطيعين شراء حصتك المفروضة لك من الطعام إلا من المتجر الذى سجلت فيه بطاقتك . والبضائع فى هذا المتجر وغيره واحدة ، هذا فيما خلا تلك المتاجر المخصصة للطبقات الممتازة ، كضباط الجيش والعلماء والأطباء والنساء الحوامل وكبار الموظفين ، فهم يستطيعون الحصول على بضائع أكثر تنوعاً .

وفى واجهة المتجر صورة لستالين تحوطها قطع من اللحم والجبن — وكلها قوالب من الجبس ، لأن هذه الأطعمة قد نفدت منذ زمن بعيد . وفى داخل المتجر رفوف مملوءة بأرغفة من خبز الشعير الأسود زنة كل منها رطلان ويباع بقرشين ، وبجانبها أرغفة قليلة من خبز القمح الكامل تباع بضعف ثمن الأولى . أما غير ذلك من الرفوف

خالية اللهم إلا من بضعة أكياس صغيرة من شاى القوقاز ، وعلب أمريكية متنوعة من الطعام واللبن المحفوظ . وكل شىء سوى الشاى مجلوب من هيئة الإغاثة والتعمير التى تشتريها من فائض مخازن الجيش الأمريكى . ويباع فى المتجر أيضاً حساء الكرنب وزبد الفول السودانى ، وهى أيضاً مجلوبة من الجيش الأمريكى .

وفى وسعك الحصول على ما يقرب من رغيف ونصف فى اليوم الواحد ، أى ما يزن ٨٠٠ جرام إذا كنت من العمال الموكول إليهم أعمال شاقة كبناء القناطر ، ويُعطى زوجك ٦٠٠ جرام إذا كان كاتب حسابات فى إحدى مصالح الحكومة ، إذ أن عمله يعد من الأعمال الهينة . ويتاح لك أيضاً شراء رطل ونصف من اللحم فى الأسبوع ورطل من الزبد أو الدهن ، ولكن هذه قد نفدت من المتجر منذ زمن بعيد ، ولذلك فأنت تشترين بدلها علبة من اللبن المحفوظ . وأخيراً لك أن تشترى بضع أوقيات من زبد الفول السودانى ، وربع رطل من حساء الكرنب يصب لك فى وعائك .

وسيقتصر عشاؤك فى تلك الليلة على الخبز الأسود وحساء الكرنب كالعهد فيما مضى من الأيام ، فإذا كنت جائعة أو متشهية لتنويع طعامك ، عرّجت فى عودتك على السوق القائمة فى العراء آملة أن تظفرى بشىء علاوة على حصتك .

ويقف فى هـــذه السوق صفوف من القرويات وراء مناضد من الخشب ، وأمام كل منهن شىء من مختلف ألوان الطعام ، وهو ما فاض لديهم من منتجات حدائقهن الصغيرة المخصصة لعمال المزارع المشتركة ، فكل طعام تستخلصه الأسرة من هـذه الحدائق تكون حرة فى أكله أو بيعه أو المقايضة به ، كما يحدث فى النظام الرأسمالى . وتحرص كل قروية مدبرة على أن توفر شيئاً تأتى به إلى السوق مرة أو مرتين فى الأسبوع ، فتأتى مرة مثلا بأربع بيضات ، أو بقطعة من اللحم القـدد ، أو بزجاجة من زجاجات الفودكا ملأى باللبن الحامض.

ويباع كل ماتأتى به بثمن غال ، إذ أن الأسعار غير محددة . وهذه السوق علنية مباحة ولكنها تعتبر من الوجهة الاقتصادية سوقاً سوداء بالمعنى المعروف ، فهى تمتص الفائض من مقدرة الشراء ، وتمهد السبيل لتصريف البضائع التى لا يجدى إدراجها فى التسعيرة لندرتها . وإذا استثنيت الوارد من هيئة الإغاثة والتعمير ، فهذه السوق هى التى تمد سكان المدن بما يلزمهم من لحم ودهن . وهناك أيضاً مخازن تجارية تتولاها الحكومة وتبيع فيها أطيب الأطعمة ، كالكافيار ولحم

السرطان المحفوظ فى العلب ، ولكن أثمانها فوق متناول أوساط الناس . ولا تجد القرويات مشقة فى بيع عُشْر رطل من اللحم المقدد بعشرين روبلا أو الدجاجة الصغيرة بخمسين روبلا ، وهو ما يقارب ٥ ريالات .

ولكن الروس لايتلهفون على الشراء والبيع بالروبل، بل على المقايضة . فالقرويات أشد احتياجاً إلى الثياب ، وأغلب البائعات يرتدين ثياباً ظلت على أجسادهن طول الحرب فأصبحت رثة مرقعة. وتحضر السوق كثيرات من فتيات القوقاز وقد شددن على أبدانهن معاطف من قماش غليظ حتى لايبدو ما تحتها من قميص رثّ من القطن ، وفى أرجلهن خفان من لحاء الشجر ، فإذا وسعك التخلى عن صدرية قديمة من الصوف أو لفاع من الحرير الصناعى مما أرسله لك أحد أقربائك من الجند من ألمانيا ، فإنك تستطيعين المقايضة عليه بملء قفص كامل من الطعام ، أى بما يوازى ٢٠٠ روبل نقداً . ولعل هذا ما كان يدور فى خلد امرأة عجوز حينما وصفت لى هذه السوق بأنها « أرض لمعجزات » ، وقالت : « أنا أكسب ٣٠٠ روبل فى الشهر ، ولكن أسرتى لاتستطيع أن تقيم أوَدَها بأقل من ضعف هذا المبلغ » . فهى تسد هذا العجز مؤقتاً ببيع شىء من ثيابها بين الحين والحين ، وأضافت تقول : « لقد ضاقت أنفسنا ذرعاً بهذه المتاعب » . وهذا قول تردد فى سمعى مراراً .

ورجال الكرملين على علم بما يخالج الشعب من ملل وتذمر ولهف على بضائع الاستهلاك ، ولكن هذا التذمر لم يصل من الوجهة السياسية إلى درجة الخطر . نعم ، إن الأصوات فى روسيا أشد ارتفاعاً بالشكوى ، ولكنها لاتختلف فى جوهرها عن أصوات الشكوى فى سائر البلدان التى ضاق أهلها ذرعاً بنقص بضائع الاستهلاك ، فليس هذا هو التذمر الذى ينذر بالثورة .

بيد أن ذلك يدل أيضاً على انتشار روح من التراخى وقعود الهمة من شأنه أن يعرقل النشاط الفائق الذى لابد من بذله لتنفيذ البرنامج الجديد للسنوات الخمس ، فإذا لم يكفكف هذا الشعور ، فقد ينقلب إلى مقاومة سلبية مكتومة ، وهى السلاح الذى تعودت الشعوب السلافية الزراعية أن تلجأ إليه ، والذى كاد يهدم مشروعات البلشفيك فى سنة ١٩٢٠ ثم سنة ١٩٣٣ . وأكبر مشكلة تواجهها الحكومة السوفيتية هى كيف تحمل الجواد المتعب على أن يظل عشر سنين أخر يجرّ لها العربة ، وليس له من طعام سوى النزر اليسير من الشعير .

فإذا لم يُحمل الشعب الروسى حملاً على الاعتقاد بأن الحرب حقيقة وشيكة الوقوع، فمن الصعب حمله على التخلى عن مباهج الحياة من أجل إقامة صناعة حربية ضخمة للدفاع. ومن أجل هـذا لا يكف لسان السوفيت عن ترديد هذه الكلمات للشعب وهى: إن الولايات المتحدة ــ وهى الأمة الوحيدة التى تستطيع مجالدة روسيا ــ قد أصبحت مصدر خطر كبير، لأنها تشبعت بروح حربية. ولهذا كثرت فى الصحف الروسية الاتهامات المألوفة بأن «الرجعيين» فى أمريكا يسعون إلى تحسين وسائل الانتفاع بالطاقة الذرية، لا لخير البشر بل لاستعباد بقية الشعوب.

وتحاول الحكومة أن تفتن ألباب الناس بالقليل الذى لديها من بضائع الاستهلاك. ومما يدل على قيمة البضائع التى تأخذها من هيئة الإغاثة والتعمير أو تنتزعها من البلاد المحتلة، أنها تبـذل جهداً عظيما من أجل الظفر بها، فهى قد منحت هيئة الإغاثة والتعمير امتيازاً لم يسبق له مثيل، فقبلت أن يتجوّل نفر من المراقبين الأجانب فى أرجاء روسيا الغربية للإشراف على توزيع بضائع الهيئة، وذلك لأن الحكومة الروسية أدركت أنها بهذا وحـده تستطيع الظفر بما تطلبه منها. أما فى البلاد المحتلة فقد رضيت بأن تضحى بسمعتها السياسية من أجل الظفر «بتعويضات»، وتعنى كلمة «تعويضات» كل بضاعة يستطيع الروس انتزاعها من يد الأعـداء، فقد تكون مصنع مثلجات أو دراجات أو راديو أو آلات خياطة، وقد تكون ماشـية ووسائد محشوة بريش الإوَزّ. وكانت هذه الأشياء وكثير غيرها تتدفق على أوكرانيا أثناء إقامتى فيها ولا تزال عربات الترام فى أوديسا تحمل لافتات بأسماء شوارع فى مدن رومانيا. ومن العسير إقناع أسرة رومانية أو نمساوية بمزايا الشيوعية فى الوقت الذى ينهب فيه الجنود الروس متاعها. ولكن ليس هذا كله ظلماً، فحتى لو جرد الجيش الأحمر ألمانيا وتوابعها من كل شىء تملكه، فإنه لا يعوض روسـيا ما أحرقه الألمان فيها أو سرقوه منها.

وتبذل الدعاية الروسية فى الوقت نفسه جهداً كبيراً لإقناع الشعب بأنه أحسن حالا من شعوب الدول الرأسمالية، وتؤكد له أن الرخاء آتٍ عن قريب. ولكنها دعاية ليست بناجحة دائماً.

مثال ذلك أننى لم أعثر قط فى الصحف الروسية على أية إشارة إلى أن هيئة الإغاثة والتعمير قد أمدت روسيا بما قيمته ٢٥٠ مليون ريال من الطعام والثياب والمهمات،

والظاهر أن الحكومة لا تميل إلى الاعتراف أنها فى حاجة إلى معونة أجنبية حتى تطعم شعبها ، ومع هذا فإن أهالى أوكرانيا يعلمون حين يرون الرقوم على البضائع من أين يأتيهم طعامهم .

إن سياسة فرض الشقاء والتضحيات على الشعب الروسى لكى يتحملها فى السنوات القادمة ، سيكون لها أثران خطيران على بقية العالم . فأول ذلك أنها ستجعل من المستحيل إقامة نظام ديمقراطي فى روسيا فى وقت قريب . هذا ، والشعب الروسى لايدَ له فى وضع هذه السياسة، بل هو كغيره من الشعوب ، لن يرضى بها لحظة لو أصغت حكومته إلى رغباته . فهى سياسة لا تقوم إلا على يد دكتاتور تعضده قوة من رجال البوليس السرى والدعاية .

والأثر الثانى هو : أن يظل الشعب الروسى بمعزل عن بقية العالم . فلو أدرك قسم صغير من الشعب حقيقة الحال فى نواحى الدنيا ، لفقدت دعاية الحكومة سلطانها ، وقد ينقلب التذمر إلى ثورة جامحة .

فإذا تسنى لبقية الشعوب أن تتفحص أمور روسيا عن قرب ، لفقدت الشيوعية فيها أهم سلاح ، وهو ادعاؤها بأن الاتحاد السوفيتى هو جنة الطبقة العاملة ، ولذلك فرض على مراسلى الصحف أن لا يغادروا فنادقهم ، وأن تخضع رسائلهم لرقابة دقيقة ، وأن لا يقابلهم زائر إلا بعلم السلطات الروسية .

ومعنى هذا أن الستار المضروب بين روسيا وبقية العالم ، وما ينطوى عليه من الشكوك والريب ، سيظل قائماً مدة طويلة . وليس هذا الستار نزوة من نزوات المزاج السلافى يمكن أن تبدد بالمحاضرات عن مزايا حرية القول والتفاهم المتبادل ، بل إنه عنصر أساسى فى السياسة السوفيتية .

فيحسن بنا إذن أن نقلع عن دهشتنا المتفجعة ونعمد إلى أن نتعلم كيف يجب أن نعامل روسيا فى مثل هذه الأحوال . وسنكون بمنجاة من كثير من خيبة الآمال ، إذا نحن أدركنا أن سياسة التفاهم المتبادل فى السنين العشر القادمة بين عامة أهل روسيا وغيرهم من الشعوب ، أمر لا يسع الكرملين أن يرضى به .

ما دامت المرأة تبدو أصغر من ابنتها بعشر سنوات ، فإن ذلك حسبها حتى تكون راضية عن نفسها . [أسكار وايلد]

خير أيام حياتنا

الدكتور هاري إمرسون فوزديك

كتب جون كيرنز ، وهو أسكتلندي مشهور ، إلى معلمه السابق مرة يقول : « لا أدري ما نوع الحياة أو أنواع الحياة التي قُدِّرت لي ، ولكني أعلم هذا : وهو أني سأحمل طابعك إلى آخر أيامي » .

ولا يحتاج المرء إلى علم الغيب حتى يدرك ما وراء ذلك الثناء — شاب حفزته تعاليم معلمه أن يجعل من نفسه شيئاً مذكوراً ، فاستحال شخصاً آخر بفضل تلك اليقظة الروحية التي تسبق خير أيام الحياة في عمر الإنسان .

وهنالك اليوم ملايين من الآباء يحرصون على مراقبة ظهور علامات هذا التحول في أبنائهم وبناتهم ، وهم يؤملون أن يوقظ شيء أو إنسان مواهبهم النائمة ويجعل لهم في الحياة وجهة وغرضاً . وهو شيء خفي ولا يمكن أن يناله المرء عنوةً أو قسراً ، وله أصول راسخة في تركيب الإنسان ذات أثر في نضج الجسم ، ولكنَّ لها أصولاً روحانية أيضاً تأتي في حينها كالريح التي « تهب حيث تميل » . وقد وقع كيتس يوماً ما على قصيدة « ملكة الجان » لسبنسر فقرأها ، فانقلب من شاب يافع إلى رجل صاحب عزيمة وغرض قد وجد في الشعر ضالته . ونحن جميعاً يقع لنا شيء مثل هذا قبيل بلوغنا خير أيام الحياة .

وما أعجب الآثار التي تأتي في بعض الأحيان من نتيجة هذه التجارب! نزل لندن منذ جيل مضى شاب هندي حسن البزّة ، فأكبّ على الرقص ولعب القيثار ، وكان ناجحاً مرموقاً في حياة لندن الاجتماعية . ثم وقع له شيء سمّه ما تشاء : تحوّل ديني ، أو تعمق في الروحانية ، أو شعور بالعمل على عون بني جلدته — إنه شيء عجيب وقع له ، فإذا ذلك الشاب الذي كان يغشى المجتمعات والأندية قد استحال فكان غاندي الزاهد المتصوف الذي يمسك بيديه الهزيلتين مصاير الهند .

وليس ثمة في الحياة الإنسانية ما هو أهم من أمثال هذه التجارب . وقد وقع روبرت ا . بيري بمحض الاتفاق على كتيب عند بائع كتب ، وقرأ عن هضبة الجمد المترامية الأطراف

فى جرينلنـــدة . ولم يستعمل هو لفظ « التحوُّل » فى التعبير عن تجربته ، ولكنه فى الحقيقة « تحوّل » . فمنذ قرأ هذه الرسالة صرف همه إلى الشمال ووقف عليه أيام حياته كلها حتى قدر له أن يبلغ القطب الشمالى .

والحوافز التى تفضى إلى هــذه التجربة كثيرة مختلفة. فالعشق مثلا قد يفضى إليها، والفرصة المواتية قد تفضى إليها ، كما وقع للطبيب الشاب الذى قصد لبرادور للرياضة فى رحلة بحرية، فزار هناك قرابة ٩٠٠ مريض لم يكونوا ليروا طبيباً طوال حياتهم لو لم يقم هو بهذه الرحلة. إن تلك الحاجة إلى طبيب، وهــذه الفرصة الطارئة ، حفزته وأثارت حميته ، وكان من أثرها خير الأيام فى حياة طبيب مشهور هو سير ولفرد جرنفل .

بيد أن العشــق ، والفرصة المواتية ، والمشقة التى تتحدّى العزائم ،وتأثير الرجال ذوى الشخصية المؤثرة، ليست أبقى ولا أقوى القوى التى تفضى بالمرء إلى هذه التجربة ، بل أقوى القوى وأبقاها هو الانقــلاب الروحانى الحادث من الإيمان بعقيدة أو دين جديد .

إن روبرت لويس ستيفنسون مثلا كان ثائراً على الدين، وكان ينعته وينعت ما يضفيه على أهله من الوقار والاحترام بأنه «أخطر تخدير لقوى الإنسان » ، ونعت نفسه بأنه «شاب لا يؤمن بوجود الله» ثم وقع له شىء، وبدأ على حد قول تشسترتون «تخامره الشكوك الأولى فى صحــة الشك فى الله » . وسرعان ما كتب : « إن هذا العالم عجيب حقاً ، ولكن هناك إلهاً ظاهراً لمن يريد أن يبحث عنه » . وكتب فى إبان مرضه الذى اقتضاه أن يعيش بعيداً فى جزر الجنوب عن « إيمانه المتين كالحديد». وقال وهو يصف يقظتــه وتفتح روحه التى هيأت له خير أيام حياته على الرغم من إصابته بالسلّ: « لقد استقمت على الطريق كالسفينة التى أحسن الربان قيادتها ، وقد تولى الأمر كله ، ذلك المرشد الذى لا تدركه الأبصار — وهو الله » .

إن مثل هذه اليقظة الروحانيــة تقع فى الشباب غالباً ، بيد أنها تقع أحياناً فى السن العالية، وتستتبع انقلاباً عجيبا لا يكاد يصدّق، لما كان يعرفه الناس عن هذا الرجل أو هذه المرأة من قبل. وأعرف أنا رجلا من كبار رجال الدين كان فى سالف أيامه أبرع المقــامرين المحترفين غير منازع فى مدينــة نيويورك ، ولا شك أن خير أيام حيــاته بدأت بيقظة روحانية كانت تبدو له ولأصدقائه من قبل مستحيلة لا تصدق .

واحتمال وقوع هذه التجربة فى عالم ما بعد الحرب أمر عظيم الشأن والخطر ، فإذا لم يكن قــد كتب علينا أن نلقى بأيدينا إلى

التهلكة ، فلا بد من أن تقوم بيننا يقظة روحانية تحيلنا من الشك الساخر إلى الإيمان، ومن اليأس إلى الأمل، ومن الحقد والانتقام إلى المحبة والوئام، ومن الأثرة إلى البرّ بالجماعة. ولن تنقذنا مما نعانيه أية مؤسسة سياسية عالمية، وإن لم يكن لنا عنها غنى . وما من شيء سوى اليقظة الروحانية ، تتيح لنا الزعماء العظماء والوعى العام الذى يحبوهم بالتأييد . وهذا شيء يبدأ دائماً فى الفرد. وإن احتمال حدوث هذا الأمر الذى تؤيده شواهد من علم النفس والتاريخ والدين ، يهيب بكل منا أن يبذل من ذات نفسه أعظم ما يطيق .

أعظم مفلس فى الدنيا هو الرجل الذى فقد حماسته . فلو فقد كل شيء سوى الحماسة ، لاستطاع أن يسلك طريق النجاح ثانية . [هـ . و . أرنولد]

غرائب الطباع !

وصل الشاعر روبرت برنز ذات يوم إلى رصيف ميناء جرينوك ، فإذا تاجر غنيٌّ قد سقط فى الماء وكاد يغرق ، فهبّ إلى إنقاذه بحار ذو نجدة ، فلما تمّ ذلك وضع التاجر يده فى جيبه وأخرج قطعة نقد بخمسة قروش ونفح بها منقذهُ ، وإذا الحشد المجتمع من حوله يصيح سخطاً وتحقيراً لهذا الشحّ ، فتقدم برنز وقال: « دعوهُ وشأنه ، فهو أعرف الناس بقيمة حياته » [مجلة : « جولدن بوك »]

كان من عادة نابليون أن يجيل نظرهُ النافذ فى أسماء الضباط المرشحين للترقية إلى مصاف القوّاد ، ثم يكتب أمام أسماء الضباط الذين يصطفيهم للترقية : هل هذا الضابط (أو ذاك) من أهل اليمن وحسن الطالع ؟

[أكسيل منتى فى « سان ميشيل »]

كان جورج إيستمان وسيسيل رودز من كبار أهل الأعمال . فالأول أمريكى صنع آلة « كوداك » التى عمت أرجاء الأرض، والثانى بريطانى مهّد لإنشاء اتحاد جنوب إفريقية . بيد أن الأول قال على فراش الموت : « قد تمّ عملى فلِمَ الانتظار» ، وأما الثانى فقال: « ما أكثر ما ينبغى أن أصنعهُ ، وما أقلّ ما صنعت » . .

[صحيفة « بوسطن ترانسكربت »]

لن يتسنى لك أن تعرف مقدرة المرء دون أن تتيح له فرصة

جيمس ف. لنكولن
مدير شركة لنكولن الكهربائية

مختصرة من " نظام لنكولن الحافز "

معظم ما أصابته الصناعة من تقدم إنه يرجع إلى ارتقاء الآلات أكثر مما يرجع إلى تقدم الرجال والنساء من حيث هم ناس من الناس ، فنحن نقبل على الآراء الجديدة في العلم ، فلِمَ لا نقبل على الآراء الجديدة في الإنسان وما فيه من قوى كامنة ؟

و « الإدارة الحافزة » هي رأى من هذه الآراء ، وخطة غرضها أن تجعل الصناعة أنفع للناس وأجدى عليهم . وقد نجحت هذه الخطة في شركتنا نجاحاً باهراً ، فارتفع معدّل الأجر في السنة للعامل في مصانع لنكولن من ٢١٠٠ ريال إلى ٥٨٠٠ ريال منذ سنة ١٩٢٩ ، فصار أعلى عمال الصناعة أجراً في العالم كله . فلما اطردت الزيادة في قدرة كل عامل على الإنتاج ، نقصت ساعات العمل اللازم لصنع سلعنا ، حتى بلغ النقص ٨٠ في المئة أو أكثر ، وهبط ثمنها من ١٥٠٠ ريال إلى ٢٠٠ ريال.

أتكون الإدارة التي تحفز العمال هي الخطوة التالية ؟

وهذه الحقائق لا تدلّ على أن عمل عمالنا قد بلغ من السرعة أربعة أضعاف ما كان عليه أو خمسة أضعافه ، بل أغلب الرأى أن ما يبذلونه اليوم من مجهود أقل مما كانوا يبذلون . فالإدارة الحافزة ليست نظاماً يتعجل العامل في الإنتاج ، وإنما هي حفز جميع العمال إلى التفكير وحسن التصور حتى يتقنوا ما يصنعون .

وفي صناعتنا يكثر المنافسون لنا ، ونحن نصنع معدات للحام الكهربائي ، وليس فيما نصنعه منها أو في أساليب إنتاجه شيء غير معهود يميز شركتنا عن منافساتها ، غير أن المعجزة العظيمة قد تمت في تهذيب العامل نفسه . والمرء إذا لم يجد ما يتحدى قدرته ، فلن يعلم أنه ذو قدرة . وقد أفرغ العالم النفسي العظيم وليم جيمس هذا المعنى في قوله: « يعيش المرء من الناس منطوياً داخل حدود قدرته ، وهو يملك من القوى

ما لا ينتفع به فى العادة » . فإذا حلّت بالناس أزمة رأيت معظمهم تنطلق منه قدرة كان يجهل وجودها فيه . فإذا تمت له الغلبة عليها رأيته قد كبر فى عين نفسه ، فيصير ذلك نمواً ثابتاً لا يزول .

ومجمل رأينا أن ننشّىء العامل بتعريضه للأزمة ، وحفزه إلى العمل . وقد تكون الأزمة عملاً يبدو للمرء فوق قدرته ، ولكنه عمل يستطيع المرء أن ينهض به إذا بذل فيه جهده . وأقوى الحوافز إلحاحاً على الناس هو الرغبة فى أن يعلو قدر المرء فى عينيه وفى عيون الناس . وزيادة الكسب الذى يناله العامل جزاءً على إحسان العمل وإتقانه يعزز هذا الشعور ، وكذلك رفع العامل فى مراتب العمل وزيادة التبعات الملقاة على كاهله ، فهو يريد أن يحسّ أنه فردٌ فى جماعة متكاتفة وأن مجهوده لا غنى عنه ، وأن له من الجهود ما يميزه بين العمال .

وقد نجحت خطتنا فى حفز همم العمال ، باتباع قواعد يتسنى تطبيقها فى أعمال أخرى.

١ — ضع نظاماً للأجور يجد فيه العامل تحدياً لقدرته ، وجزاءً وفاقاً لكل ما يعمله بعقله ويديه .

٢ — اجعل « الجدارة » أساساً لترقية العمال ، وولِّ على جميع الأعمال الكبيرة رجالا من رجال شركتك . وليرسخ فى نفوس العمال أن خير عامل فيهم إنما ينال الترقية لأنه خيرهم حقاً .

٣ — اعهد إلى جميع العمال بأعمال تكون فوق طاقتهم فى بعض الأحيان على الأقل .

٤ — استوثق من إلمام العمال جميعاً بقواعد الخطة وتفاصيلها ، ومن إدراكهم ما يعملون ولم يعملونه ، ومبلغ إتقانهم العمل .

٥ — احرص على أن يساهم الرجال فى نجاح الشركة ، فإذا تضاعف الربح فينبغى أن يوزع معظم الزيادة على الرجال الذين ضاعفوا الربح — العمال والمهندسين والمستهلكين ورجال الإدارة . فصاحب الأسهم قلما يصنع شيئاً يذكر لزيادة الربح ، فنصيبه من زيادة الربح ينبغى أن يكون يسيراً .

بيد أنه ينبغى أن تحرص حتى لا ينصرف همّ الرجال إلى الربح ، فثمة فرق بين أن يسأل الرجل نفسه : « ما مبلغ ما أكسب ؟ » وبين أن يسألها : « كيف أستطيع أن أصنع ما أصنع حتى يكون أحسن وأرخص وأنفع ؟ » وهو فرق جوهرى حاسم .

وإذا ما شرعت فى تطبيق « النظام الحافز » ، رأيت رجال الإدارة ورجال الإنتاج يعملون يداً واحدة لإدراك غرض واحد — سلعة تطرد إتقاناً بسعر يطرد هبوطاً . وقد تمّ لنا هـــذا فى شركتنا من طريق مجلس استشارى يضم ممثلين لأقسام الشركة ينتخبهم

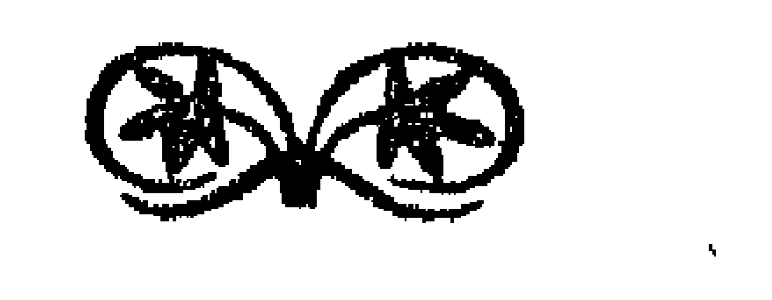
العمال كل سنة ، وممثلاً ينتخبه رؤساء العمال، والمشرف على كل قسم ، ورئيس الشركة الذى يتولى رئاسة المجلس .

وهـذا المجلس يفصل فى كل شأن من شئون الشركة . وما أداه من الأعمال قد بلغ مبلغاً عظيماً ، وهويشمل ساعات العمل وأجور العمل بالتجزئة ، وعقود التأمين ، والإجازات، والمعاشات، والمكافآت فى آخر السنة ، ومشروعات التوفير وشراء أسهم الشركة . وتجد اليوم نحو نصف العمال من حملة الأسهم ، وجميع أسهم الشركة تقريباً يملكها عمالنا العاملون منهم والمتقاعدون .

ولابد للإدارة من أن تكون حريصـة على الأمانة فى جميع الشئون . وإذا أردت أن يكون العـامل شريكا لك بجهـوده فاجعله شريكا لك فى الاطلاع على أمور الشركة.

ولنفرض على سـبيل المثال أن طلباً قد قدم بزيادة الأجر ، فالجواب القديم المتبع فى هذه الحال هو : إن الشركة لو زادت الأجور لأفضى بها ذلك إلى الإفلاس . وهذا قول كثيراً ما يكون كذباً ، بيـد أن المطالبة بزيادة الأجر تتيح للمدير فرصة لكى يبين للعامل أتم بيان ، ما ينبغى له ولسائر العمال أن يفعلوه لكى يظفروا بالزيادة . ومن شأن هـذا البيان أن يزود كل رجل بنظرة جديدة ينظر بها إلى ما يستطيعه ، وإلى ما يحمل على عاتقه من تبعات .

لقد جربت البشرية خلال ألفى سنة نظم الرقّ والإقطاع والعمل الحرّ على التتابع ، وقد كان الإقطاع والعمل الحر خطوة نحو حرية العامل وتقدّمه ، فمبدأ « الإدارة الحافزة » هو الخطوة المنطقية التالية إلى أمام.



الصحفى والعنكبوت

حين كان مارك توين رئيساً لتحرير صحيفة ، تلقى ذات يوم رسالة من أحد المشتركين يقول فيها إنه وجد عنكبوتاً فى صحيفته ، فهمّه أن يعرف هل ذلك من حسن الطالع أو سوء الطالع . فردّ عليه توين بما يلى : « أن تجد عنكبوتاً فى صحيفتك لا هو طالع يُمْن ولا هو طالع نحس . فكل هم العنكبوت أن تقرأ الصحيفة حتى ترى أىّ تاجر ذلك الذى أهمل أن يعلن عن تجارته فيها ، فتذهب إلى دكانه وتنسج بيتها على بابه ، ثم تعيش فيه آمنة مطمئنة » . [ولتر ونشل]

كيف يشعر المرء فى أيام المجاعات ؟
رواية رجل تجوع لكي يظفر العلماء بجواب هذا السؤال.

تجوعت فى سبيل العلم

كنيث تستل

مختصرة من
صحيفة "مينا پوليس صنداى تريبيون"

ما أكاد أقرأ أن ملايين من البشر يموتون جوعاً حتى أعلم علماً ليس بالظن مبلغ ما يلقون من عذاب فى الجسم والعقل. فقد كنت رجلا من ستة وثلاثين رجلا تطوعوا فى سنة ١٩٤٥ لممارسة الجوع القاتل ستة أشهر فى جامعة منيسوتا ، لتجربة ما يحل بالرجل الذى تبلغ منه المسغبة فى أيام المجاعات .

بدأ ذلك فى ١٢ فبراير ١٩٤٥ ، فأخذوا يقدمون إلينا طعاماً كطعام الناس فى البلاد التى تجتاحها المجاعات ، وهو طعام متشابه من البطاطس المسلوقة واللفت والكرنب والحبوب والمكرونة والخبز ، وربما قدموا لنا أحياناً نحو أوقيتين من اللبن وقليلا من المربى أو الهلام ، ولا يزيد نصيبنا من السكر على ملء ملعقة صغيرة فى اليوم .

كان وزنى عند بدء التجربة ١٨١ رطلا ، أى أنه يزيد على متوسط وزن أمثالى بنحو ٢٠ رطلا ، فلما فقدت هذه الزيادة فى وزنى رأيتنى أشد قوة وأكثر نشاطاً . وبينما كنت أنا أستنفد ما فى بدنى من الشحم ، كان الآخرون يستنفدون قوة عضلاتهم ، وبدأوا يفقدون الصبر وضبط النفس .

وذات يوم فرغت من غدائى ، فأخذت الورقة التى لُفَّت فيها الشطائر وقذفت بها إلى السلة فوقعت دونها ، فرفعتها وحاولت ذلك مرة أخرى ، فقال لى أحد رفقائى : « لقد بقى لك ولا ريب قسط من النشاط تحب أن تبدده ! » وكانوا جميعاً يرقبوننى ساخطين متذمرين . فلما صار وزنى أقل من ١٥٠ رطلا ، بدأت أشعر كشعورهم إذا وقع بصرى على أحد أرى فى حركته قسطاً من الخفة والنشاط .

وبدأت تغتالنا ضروب من الجنون ، أكثرها فيما يتعلق بالطعام . فأخذ بعضنا يجمع كتب الطبخ ويتتبع طرائق طهى الأطعمة ، وأخذ آخر يحلم بشراء أجهزة الطهى الكهربائية ، وجعل آخر يدرس أساليب حفظ الطعام بالتبريد . أما أنا فقد عافت نفسى أمثال هذه اللوثة الملحة بأمر

الطعام ، فجمعت لنفسى نحو ثلاثين كتاباً فى علم السياسة والفلسفة والتاريخ ، ولكنى لم أعنِّ نفسى بتصفحها . كنت كالآخرين قد استبدّت بى شهوة جامحة إلى حيازة شىء ما ليكون عوضاً عما أنا فيه من عجز عن إصابة ما أريد من طعام . وكنت أحرص على هذه الكتب حرص الشحيح ، فلا أزال أعدّها ، وأمسح جلدها بكفى وهى على الرف ، وأضمها ضمًّا إلى صدرى .

ولما بلغ منا الجوعُ صرنا نجد أشد العنت فى ضبط نفوسنا الهائجة ، وأخذنا نتململ ونشكو ونضجُّ ، وبدأ يشق علينا أن نزاول أى عمل ، فإذا شرعنا فيه ضقنا ذرعاً بكل ما يقطعنا عنه . فأورثنا ذلك أوجاعاً نتوهمها ، وأصابنا مسٌّ من الجنون .

وأحسست أنا أن جلد قصبة ساقى قد خدرت . وهو وجع متوهم بحت لا أصل له ، يجعل المرء يحس أن على جلده طبقات مركومة من مطاط رقيق . ولم يكن ذلك مما يعوقنى عن الحركة ، ولكنه ملأ قلبى هماً وغماً . ورأيت كثيراً من أصحابنا قد بلغ الورم فى ركبهم وكعوبهم ، فيما لا يتعدى نصف ساعة ، نحو ثلاثة أضعاف حجمها الطبيعى . وأخذ الإغماء ينتاب بعضهم أيضاً .

ضعف نشاطنا وقل من الأشياء ما نوليه اهتمامنا ، أما حصر الذهن فكان أمراً مستحيلا . وإذا دخلنا المكتبة جلسنا والكتب أمامنا ، وظللنا نحلم أيقاظاً بالأيام الخوالى الحافلة بألوان الطعام .

وكنا نشعر دائماً بالبرد يدبُّ فى أوصالنا حتى أننا لم نكن نحس حرارةً أيام تبلغ درجة الحرارة ٣٢ سنتجراد ، وكنا ننامُ دائماً وعلى كلّ منا بطانيتان ثقيلتان .

وصرنا نضيق ذرعاً بأشياء لم يكن أحدنا يلقى إليها بالاً قط ، وأصبح سمعنا مرهفاً حتى صار يخيل إلينا أن فى صوت كل امرىء منا نغمة متميزة تعلق بجو الغرفة ، فلا نزال جميعاً نتذمر زاعمين أنه لا يكفّ عن اللغط ، وأننا لا نجد من هذا اللغط مهرباً .

وبلغت منا حدّة الطباع مبلغاً عظيماً ، حتى أننى غاضبت رجلا كان ألصق أصحابى بنفسى ، واسمه جورج . وخبر ذلك أن رجال التجربة رأوا أن وزنى لم يستمر فى النقصان كما يحبون ، فحرمونى قطعتين من قطع الخبز الست التى كانت حصتى من الطعام كل يوم ، وكنت أعلم أنها سترد علىّ يوما ما . وذات ليلة خرجت أريد المكتبة كى أحاول بعض القراءة ، فتعمدت أن أمر بالناحية التى فيها لوحة النشرات دون أن ألقى نظرة على بيان توزيع الجراية المعلق عليها . ثم أخذت أعلل نفسى بما أرجوه من ردّ القطعتين علىّ ، فأقول لنفسى : « بعد قليل سأعود إليها

وألقى نظرة على البيان — أما الآن فلا » .
ثم أقبل جورج وألقى على اللوحة نظرة وقال لى : « ياعزيزى ، لقد ردّوا عليك جرايتك كاملة » ، فجنّ جنونى وقلت له إننى كنت أوثر أن أقف على ذلك بنفسى . ولم تهدأ ثائرتى إلا بعد أيام .

لم تكد تنقضى ثلاثة أشهر من مدة هذا التجويع ، حتى صار الكلام عن الفتيات والصديقات أمراً تافهاً لا بال له ، وانقطع حديثنا عنهن ساعة نأوى إلى مضاجعنا ، فقد صار أكثرنا يؤثر أن يتجنب ذكر كل إنسان فيه فضل من نشاط وقوة . لقد أصبحنا أشباه الموتى ، وصرنا نحرص حين نمشى مخافة العثرات .

فلما أشرف شهر مايو على نهايته ، رفهوا عنا بوجبات من الطعام تبدو طيبة حتى فى أيامنا هذه ، فقد جاءونا فى العشاء بشريحتين رقيقتين من لحم الدجاج ، والبطاطس المدهوك ، وبشىء من المرق والذرة . أما أعجب العجب فكان فطيرة من الشكولاتة عليها بعض المثلجات . وقد انهارت نفوس أكثرنا حين رأوا هـــذا الطعام ، فاعتمدوا على المائدة يبكون .

وفى النصف الأخير من مدّة التجربة كانت قوى نفوسنا على مثل الصراط ، وشقّ علينا أن نظل نذكر الغرض الذى أجريت من أجله هــذه التجربه . وقد قلّ وزنى حتى صار ١٢٥ رطلا . وكنا جميعاً نحس أن أرجلنـا وأقدامنا قد اغتالها الجوعُ كما اغتال بطوننا وأفواهنا . لقد صارت أبداننا يأكل بعضها بعضاً .

ولم يكن رجال التجربة يحثّونا على العمل ، فقد كانوا يريدون أن يعرفوا ماذا نفعل نحن بدافع من قبل أنفسنا ، فرأوا أنه ليس فينا دافع يدفعنا إلى عمل ، حتى أن الجماعة التى عهد إليها أن تتولى شئون منزلنا أهملت كنس غرف النوم . وقد قال لى أحدهم إنه يرى بعينيه التراب مترا كما تحت الأسرّة وهو يعلم أن عليه أن يأخذ مكنسة ليكنسه ، فكان كلما مرّ بغرف النوم أحسّ بعظم تقصيره ، ولـكنه يظلّ يؤجل العمل يوما بعد يوم .

كان يخيل إلىّ عند بدء التجربة أنى إذا دعيتُ إلى مأدبة فسأرفض أن أصيب من ألوان الطعام ، أما الآن فقد أتمنى أن أجده فأنالَ منه غير آثم ، بل كنت أتمنى أن أقتل أولئك الأطباء الذين يتولون الهيمنة على طعامنـا .

ولما شارفت التجربة نهايتها صرنا هيا كل بشر ، وصار شعرنا يابساً حائل اللون ، وأخذ الصلع يدبُّ فى بعضنا ، وأحاطت بأصداغنا وآذاننا وأعناقنا فجوات غائرة ، وتقشر جلدنا . ولما كانت الكراسى صلبة صلابة لا تحتمل ،

فقد صرنا نطوى الملاءات لنجلس عليها أو نتكىء . وضمرت قلوبنا بنسبة عشرة فى المئة وكذلك أوردتنا وشراييننا . ولم يبق فى بياض مقل العيون أثر يُرَى من العروق، بل صارت المقل بيضاً شفافة كالخزف الصينى. ولم نكن نُدير عيوننا لكى ننظر إلى الأشياء فقد كان ذلك جهداً أىّ جهد ، بل كانت نظرتنا نظرة محدّدة ثابتة إلى شىء واحد بعينه كتلك النظرة الساهمة التى تراها فى صور الجياع الذين أضرّت بهم المجاعات .

وكان علينا طول أيام هذه التجربة أن نسير ٢٦ ميلا فى الأسبوع . وكان بعض سيرنا على فترات كل فترة منها نصف ساعة ، فكنا نقف على سير متحرك سرعته ثلاثة أميال ونصف فى الساعة ، فنحرك أرجلنا كأننا نسير ونحن وقوف . وكان بعض سيرنا أيضاً عدواً على سير مماثل سرعته سبعة أميال فى الساعة . فكان هذا الضرب من الجهد عذاباً مبرّحاً نلقاه من كثرة تردّدنا بين أن ننظر إلى الساعة أو أن نمنع العين عن النظر إليها . وفى الشهرين الأخيرين لم يزل يخامرنى الشكّ فى قدرتى على السير نصف ساعة دون أن أتهالك إعياءً . أما فى ساعة العدو فكنا نسقط من الكلال بعد ٦٠ ثانية.

وفى اليوم الأخير للتجربة استطاع رجل منا أن يستمرّ فى هذا العدو ١٥ ثانية ثم سقط ، وأغمى على آخر بعد أن مشى ٢٠ دقيقة وظل ١٥ دقيقة يبكى لأنه عجز عن أن يتم المسير نصف ساعة .

وفى اليوم الأول الذى عدنا فيه إلى المألوف من الطعام ، شعرنا بفتور وهبوط. وقد كانت الزيادة التى قدموها إلينا وهى ٤٠٠ سُعر (وحدة حرارية) لا تكاد تكون شيئاً مذكوراً . وقد كنا على يقين من أننا نستطيع أن نأكل ثلاثة أضعاف ما قدم إلينا ، بيد أن الذى كان هو أن معدنا تقلصت ، وأن سائل الهضم الذى فى المعدة قد استنفد كلهُ . وظللنا على التدرج فى زيادة الطعام عشرة أيام حتى بدأنا نشعر بشىء من الراحة والفرج .

فلما أخذ نشاطنا يرتدّ إلينا انتابنا مثل الذى كان ينتابنا فى أوائل التجويع . فزال عنا بالتدريج تبلد الحسّ ، وصرنا نستطيع أن نبين عن سخطنا وغضبنا مرة أخرى ، ثم أن نضبط هذا السخط ، وأخذنا نزاول بعض الأعمال الهينة لكى نكسب شيئاً من المال ، وصرنا نذكر النساء عندما نأوى إلى مضاجعنا . وقد قال بعض أصحابنا مرة : « عندما أسمعكم ترحبون بى الآن ، أراكم تخاطبوننى كأنكم تخاطبون فتاة لا جماداً من الجماد » .

ولما قضينا فى استرداد عافيتنا مدة ١٢

أسبوعاً ثارت شهوتنا إلى الطعام ، حتى إن رقيب الطعام كان إذا سألنا ظهراً : « أفيكم من يريد مزيداً من طعام ؟ » أخذنا نكوّم الطعام فى صحافنا غير مبالين. وقد كانت المقادير التى نلتهمها من البسكويت والزّبد والعسل مما لا يصدقه العقل.

أما العشاء فكان سُعاراً فى الأكل ، وما كدنا نفرغ منه حتى أقمنا حفلة كنا نتناجى بإقامتها منذ أسابيع ، فأكلنا ما شئنا من عنب ومثلجات وفطائر وشطائر . واستمر سمرنا حتى مطلع الفجر، وفى الساعة الثانية صباحاً أصبت فطوراً حافلا ختمته بالموز والفطير الحلو .

ولم أسترد القوة التى فقدتها إلا بعد أشهر، وكنت مهما أكثرت من الطعام لا أحسّ بالشبع ، وكانت البلبلة التى أصيبت بها عواطفى قد تركتنى أحسّ بأنى إنسان غير الذى كنت أظنه فى نفسى ، ولست أدرى ما أنا على وجه التحقيق .

كنا نعلم علم اليقين متى تنتهى أيام هذه التجويع ، وأن لفيفاً من الأطباء يرقبوننا بعيون لا تنامُ إبقاءً على حياتنا ، أما أولئك الملايين من البشر الذين يتضوّرون جوعا من جراء المجاعات ، فليس لهم فى الحياة أملٌ ولا حافظٌ كالذى كان لنا . وكلّ امرئ ينجو حياً من جوع متطاول مهلك، فقد كتب عليه أن لا ينسى ما لقى ، وأن لا يعودَ كما كانَ قبل الذى حاق به .

oo·oo··oo·oo

تسمية المرء

منذ سنوات كثيرة دأب برنارد شو على السخرية من كل شيء أمريكى ونقده نقداً لاذعاً . فهبّت صحف كثيرة إلى رد مطاعنه ، ماعدا صحيفة واحدة فقد حافظ محررها على سكونه إلى أن جاء يوم فسافر برنارد شو إلى ميامى ، وسبق سفره ضجة كبيرة فى الصحف عن رحلته إلى أمريكا . وإذا صحيفة هذا المحرر تنشر نبأ وصول مسز برنارد شو ، ثم بياناً مفصّلا عن حركاتها وسكناتها — فقد شهدت هذه المأدبة ، وحضرت تلك الحفلة ، وأفضت بهذا التصريح . وأضاف المحرر فى ذيل المقال المسهب عبارة بدت كأنها خاطر ألمّ بكاتبها بعد فراغه من كتابة المقال فإذا هو :

« وقد صحب مسز برنارد شو زوجها جورج برنارد شو ، أحد الكتاب » .

[صحيفة « كرستيان سينس مونيتور »]

الرأىُ أولاً .. ثم العمل

جون . ر . تونس

مختصرة من مجلة "رڤيو أوف رڤيوز"

إليك قصة وقعت . تقدم سبعون طالباً لوظيفة بائع فى شركة تصنع مواقد جاز ، بيد أن أحدهم أدرك أن تقديم الطلب المألوف ذاكراً فيه عمره وما له من تجربة سابقة ، مصيره إلى الملفات حيث يتكدس الغبار عليه . فبدلا من أن يحاول إقناع أصحاب العمل بتعيينه ، جرّب أن يقنعهم بنفع الآراء التى يراها .

فعمد أولا إلى دراسة ما تصنعه الشركة دراسة دقيقة ، وبعد أن وقف على جميع الدقائق ، زار ثلاثة من أصحابه كانوا قد أقاموا فى منازلهم مواقد تلك الشركة ، فسألهم رأيهم فيها ، وأسباب إعجابهم بها أو استيائهم منها . ثم استجوب ستة أصدقاء آخرين كانوا ينتفعون بمواقد تصنعها شركة أخرى منافسة للأولى . ثم ذهب إلى خمسة آخرين لا يزالون يعتمدون على وقود الفحم ، ثم بسط ما انتهى إليه بحثه فى تقرير بيّن فيه أنه تولى هذا البحث ، لكى يقنع نفسه بأن ما تصنعه الشركة هو أفضل موقد معروض فى السوق ، فيسعه يومئذ أن يوصى بشرائه بغير تحفظ . فعُرض هذا التقرير على كل مدير فى أقسام الشركة ، فأجمعوا على تعيين كاتبه .

فهذا رجل واحد بين سبعين رجلا ، هداه خياله إلى النهج الذى ينبغى له أن ينهجه حتى يظفر بالعمل !

وقد قال لى مدير الموظفين فى متجر كبير من متاجر نيويورك : يندر أن تجد واحدة فى المئة من اللواتى يفدنَ علىّ فى طلب العمل قد جاءت برأى جديد ، بيد أن الفتاة التى تهتدى إلى رأى جديد ، فهى التى تظفر بالعمل ـ الفتاة التى يبلغ من ذكائها واهتمامها أن تنفق بعض الوقت فى المتجر متفرجة مراقبة ، قبل أن تأتينى لتطلب عملا ، فيسعها يومئذ أن تتقدم برأى يفيدنا فى إتقان أسباب خدمة الناس ، وقد تقول : « لقد راقبت الكتبة والزبائن فى قسم المجوهرات أمس ، وأظننى أحسن بيع المجوهرات » ، بل إن معظمهن لا يعنّى نفسه بهذا .

وهذه فتاة من أواسط الولايات المتحدة

تقدمت إلى متجر فى نيويورك بالشىء الذى يكفل لها ما تريد . كانت هـذه الفتاة قد توفرت على دراسة الفن فى الجامعة ، فعنيت بدراسة أقسام الفنون فى جميع المتاجر الكبيرة المتنافسة فى نيويورك ، ثم كتبت رسالة إلى أحدها عرضت فيها خير الآراء التى هدتها إليها دراستها ، فلم يلبث المدير أن عينها .

وينبغى للرأى أن يكون ذا صلة وثيقة بالعمل الذى تريده ، وينبغى أن يكون منصبًّا على ناحية بعينها ، وأن يكون نافعاً يمكن تحقيقه . فلو ثبت أن رأيك لا قيمة له ، فإن إبداءه يميزك عن جمهور الذين يطلبون العمل ، كما امتاز ذلك الرجل الذى تقدم لشركة مواقد الجاز . وقد قال لى مدير الموظفين فى أحد مصارف نيويورك : «الرجل ذو الرأى ينعش نفسك ، وينطوى على قدرة تبلغه النجاح » .

وقد عرضت هـذا الموضوع على مدير شركة كبيرة للنشر فقال : « الآراء ! الأفكار ! قلما تجد يا صاحبى بين طلاب العمل عندنا من يعرف شيئاً عن النشر . إنهم جميعاً يتطلعون إلى كرسى المحرر ، وهم لا يدركون أن هناك أقساماً أخرى ذات خطر فى عمل النشر » .

فإذا ما عمـدت إلى البحث عن آراء تتقدم بها إلى صاحب عمل ، فاجعل همك الأول أن تدرس العمل الذى يستهويك . اقرأ كل ما يتيسر لك عنه ، وادرس ما فيه من مشكلات ، ثم ادرس الشركة الخاصة التى تريد أن تعمل فيها ، وقابل بينها وبين الشركات التى تنافسها ، وناقش باعة هذه الشركات جميعاً ، ولا تدنُ من مدير الموظفين فيها قبل أن تتسلح بمعرفة أصول العمل ، وقبل أن تصير قادراً على إقامة الدليل على أن الشركة تنتفع بانضمامك إليها . فطلب العمل امتحان للآراء ، وويل للخاسر فى هذا الامتحان .

ومن خير ما تستعين به فى استطلاع الآراء ، المجلات التى خصصت للصناعات والتجارات المختلفة ، وقد تقع فيها على ذكر كتب تخرج منها بحقائق قد يكون الرجل الذى بيده تعيينك جاهلا بها . ومهما يكن من أمر فإنه ، يدهش ويعجب حين يرى طالب العمل ملماً بالعمل الذى يريد أن يتولاه .

وكيفما قلبنا النظر فيما حولنا ، وجدنا منشآت يجرى فيها العمل على القواعد والأساليب المعهودة ، فحاول أن تبتكر أساليب تختلف عنها . وقد ذهبت سيدة إلى شركة سفن وعرضت عليها أن يعينوا فتيات بدلا من الرجال يتولين عمل الندل فى أبهاء الطعام فى السفن ، فكان ذلك رأياً غير معهود ، فسخروا منها ، ولكنها جعلت

تلح عليهم حتى أذنوا لها أن تجرّب ذلك فى سفينة واحدة . فكان النجاح فوق ما توقعت هى — وجرت الشركة على رأيها فى جميع سفنها ، وصارت هى مديرة فى تلك الشركة .

وقد ذهبت إلى مدير الموظفين فى شركة كبيرة وقلت : « ترى ماذا تفعل لو اشتدت حاجتك غداً إلى طلب عمل ؟ » فقال : « أدرس تجارة القطن . فى هذا الشارع شركة تصنع صنفاً ممتازاً من نسيج القطن ، وقد وجدته أصلح ما يكون لمسح عدسات نظارتى ، ولكننى أجد نفسى مضطراً أن أشترى قطعة كبيرة من هذا القماش ، ثم أن أقطعها قطعاً صغيرة بيدى . فلو اضطررت غداً إلى طلب عمل ، لدبرت أمرى حتى أصير قادراً على أن أعرض قطعاً صغيرة من هذا القماش تصلح لتنظيف عدسات النظارات ، ولبيّنت لأحد رجال الأعمال كيف نستطيع أن نذيع خبر هذه القطع ، وكيف تباع . ولست أشك فى أن ذلك يمهد لى نيل العمل الذى أريد » .

ولا ريب عندى فى أنه لو فعل لأصاب النجاح . فكل رجل يستطيع أن يبين لأحد أصحاب الأعمال كيف يستطيع أن يحسن عمله ، يظفر منه بما هو أهل له من الاحترام والتقدير لما يقول ، سواء أأفضى إلى أن ينفذ ذلك الرأى فى آخر الأمر أم لم يفض . وثمة شىء واحد ينبغى أن لا تغفل عنه : إن صاحب العمل لا يهمه أمرك أنت ، وليست مهمته فى الحياة أن يوزّع الأعمال على الناس ، بل أن يعمل عملا موفقاً يكسبه مالا . فإذا بينت له كيف يسعه أن يفعل ذلك فقد ظفرت بعمل تريده .

وإليك أمراً آخر ذا خطر : احذر من أن تفرض ، يوم تظفر بعمل ، أن حاجتك إلى الآراء المبتكرة قد انقضت ، بل حاجتك إلى حصر اهتمامك بها كحاجة الذى يتخرج من الجامعة إلى مواصلة دراساته ومطالعاته حتى لا ينقطع تزوّده من العلم . فالموظف صاحب الرأى مميز عن سائر الموظفين ، كما يتميز صاحب الرأى من بين سائر طلاب الوظيفة .

ويغلب أن يكون خير الآراء هو أبسطها . وقد رأى أحد الكتبة فى شركة تدير مخازن لبيع القهوة والبن ، أن ما يباع قد أخذ يهبط هبوطاً مطرداً ، فذهب إلى المدير وعرض عليه رأياً سخر المدير منه فى أول الأمر ، ولكن الكاتب ألحّ ، فما وافى يوم الاثنين حتى كان هو ومساعدوه قد عقدوا حول سبابة اليد اليمنى عقدة من شريط أحمر ، فصار الزبائن يسألون : ما هذه العقد الحمر ، فكان الردّ : « آه ،

كدت أنسى ، فقد عقدتها حتى أتذكر أن أقول لك إننا أعددنا لكم عرضاً خاصاً من البن هذا الأسبوع» . فلما كان مساء السبت ظهر أن ذلك المتجر قد باع ١٥٠٠ رطل من البن بدلا من ٥٠٠ رطل ألف أن يبيعها فى الأسابيع الأخيرة .

ويندر أن ترى رجلا من أصحاب الآراء معطلا عن العمل . فقد عرفت فى الجامعة شاباً ظل يعمل فى أيام الطلب ليظفر بالمال اللازم لنفقاته ، وكان عمله غسل الصحون ، فلما تخرج ظل ثلاثة أشهر يذرع شوارع نيويورك باحثاً عن عمل يعمله . فرأيته ذات يوم فروى لى مابه ، فسألته عن العمل الذى يجيده ، فقال ساخراً : غسل الصحون.

فقلت : إذن ابتكر رأياً جديداً فى غسل الصحون ثم انطلق به تظفر بعمل .

ففعل . فقد كان فى أيام العمل الممل فى الجامعة قد ابتكر أسلوباً يهوّن عليه تنظيف الصحون والآنية تنظيفاً متقناً سريعاً ، فجعل يحاول أن يقنع أصحاب الفنادق والمطاعم بتجربة أسلوبه ، فوجد الفنادق الكبيرة مزوّدة بأدوات الغسل الكهربائية فلا حاجة بها إليه وإلى رأيه الجديد . فمضى فى طريقه حتى بلغ مطعماً يونانياً فى حى الأعمال التجارية ،فوجده يكتظ بالزبائن وقت الظهر فتتكدس الصحاف فى المطعم ، فقال لصاحبه : فى وسعى أن أوفر عليك مالا . فعنى الرجل بالرأى الذى عرض عليه ، وأذن لصاحب الرأى أن يجرب رأيه .

وما لبث الفتى حتى أحدث بعض التعديل فى نظام المطبخ ، فانتقل إلى بهو الأكل فحسن مظهره ، وصار الذين يقبلون عليه أغنى وأفضل حالا من روّاده السابقين . ولم تكد تنقضى سنة حتى صار مطعماً ذا شهرة ويدرّ على صاحبه ربحاً . وليس همّ الفتى اليوم أن يعرض ما يعنّ له من رأى ، بل يجرب الرأى بعد الرأى دون استئذان ، فقد صار أحد صاحبى المطعم .

ثم هناك قصة الفتى الذى كان كاتب شحن فى مكتب شركة للسكة الحديدية فاستغنوا عنه ، فتذكر شركة كبيرة تصنع الصلب ، كانت تجأر بالشكوى إلى إدارة السكة الحديدية لما تراه من فروق فى وزن قطع الحديد التى تشحنها وارتفاع أجور نقلها . فعن له خاطر ، فذهب يبحث فى المصنع التى تفرغ فيه القوالب ، فتبين ماتوقع أن يرى ، وهو أن القوالب التى يفرغ فيها الحديد ، قد تأكلت على الزمن فاتسعت،فازداد مقدار الحديد اللازم لصنع القطع . وهذا هو سر الفرق بين وزن القطع كما ينبغى أن يكون، والوزن الذى تحاسبهم عليه السكة الحديدية وتتقاضى عنه أجراً مرتفعاً . فبوّب ماتجمع

عنده من الحقائق ، وذهب إلى مدير إدارة البيع ، وبين له كيف يستطيع أن يوفر على الشركة ألوفاً من الريالات كل سنة من أجور الشحن وثمن الحديد المستعمل ، ثم طلب عملاً في الشركة فلم يجد له فيها مكاناً ، ولكنهم أوجدوا له منصباً جديداً .

واحرص على شيء واحد: بادر ما استطعت إلى تقليب النظر والاستعانة بالخيال حتى تتراءى لك أساليب تعين على صنع الأشياء صنعاً أدق أو أحكم أو أرخص . درِّب نفسك فى المدرسة أو الجامعة على مراقبة الناس والأساليب التى يتبعونها فى أعمالهم ، ففى طاقتك ، إذا راقبت سائق سيارة ركاب أو عاملا فى محطة لتعبئة البنزين ، أن تبتكر وسيلة ما لجعل ذلك العمل الخاص أيسر أو أدق . وقد قال لى مدير الموظفين فى شركة عالمية : إن واحداً فى المئة أو أقل ، من الألوف الذين تقدموا إليه يطلبون عملاً يعنى بالآراء التى لا بد منها لتحسين العمل .

فسألته : « ما نسبة الذين يظفرون بالعمل من الذين يتقدمون بآراء جديدة ؟ »

فقال : « جميعهم تقريبا ، فالشاب صاحب الرأى الجديد نادر بين طلاب العمل ، حتى أننا لنحرص أشد حرص على الفتى ذى الرأى ، فلا ندعه يفلت ، حتى ولو كان رأيه لا ينفعنا حين يعرضه علينا » .

ولقد كانت « الشخصية » عنصراً له أعظم الشأن فى الظفر بعمل ، وستظل كذلك . ولكن أصحاب الأعمال يطلبون سوى الشخصية شيئاً آخر ، فيسألون طالب العمل ما عنده من رأى ، وهل عنىّ نفسه بدرس تجارتهم أو صناعتهم وما فيها من مشكلات . ففى كل عمل من الأعمال فراغ ينبغى أن يسدّ ، والشباب من أهل الكفاية والنفع الذين يصلحون لسده قلة نادرة . وكل صاحب عمل يقول إن عنده كشفاً بمئات الأسماء ، ولكنه يمتنع عن تعيينهم لأنه لا يرى فى الطلبات التى قدموها أقل دليل على أنهم يدركون قيمة الرأى فى العمل .

أتريد أن تظفر بعمل ؟ التمس بادئ ذى بدء فكرة جديدة ، ثم اطلب العمل .

⸎⸎⸎⸎

ليس سر الحياة أن تعمل ما تحب ، بل أن تحب ما تعمل .

[ذخيرة الأمثال العالمية]

إذا خانك أحدهم مرةً ، فالذنب ذنبه ، فإذا خانك مرتين فالذنب ذنبك .

[مثل رومانى]

روائع البحث عن الآثار القديمة

أرثر ويجول

المفتش العام سابقاً فى مصلحة الآثار المصرية

مختصرة من مجلة "ورلدز ورك"

كنت أتوقع يوم قصدت مصر أول مرة أن أحفر حفرة فى الرمل فأعثر فى قعرها على بابٍ فأجوزه إلى حضرة ملوكٍ وملكات طواهم النسيان .

كان القسم الأول من عملى أشقّ ما عهدته فى حياتى كلها وأبعثها على الضنى ، فقد سار بى الأستاذ الذى يشرف على البحث إلى رقعة غير ممهدة من الأرض اختلطت قطع الخزف بترابها ، فألفيت مئات من العمال المصريين يحفرون فيها حفراً كبيرة . وكانت مهمتى فى الأسابيع التالية أن أصنع خريطة ، وأن أرسم عليها مواقع الأشتات المختلطة التى يجدونها ، وعمق المكان الذى وجدت فيه . ثم إذا آذنت الشمس بالمغيب كان علىّ أن أقدر عمل كل عامل حتى يستطيع الأستاذ أن يعطيه أجرهُ على أساس ما عمل .

وكانت الحفر إذا زاد عمقها صارت بليلة رطبة ، فيمضى الرجال فى الحفر حتى يصير التراب بين أيديهم كأنه الطين السائل . وفى يوم مباركٍ أعلن الأستاذ أن بحثنا فى تلك الرقعة قد تمَّ — وأننا قد رفعنا من تلك البقعة المقدسة بقايا هيكل أوزيريس حتى بلغنا فى حفرنا مستوى الطبقات التى ترجع إلى العصر السابق للتاريخ ، وأننا قد استوثقنا من حقائق خطيرة الشأن عن تخطيط المستعمرة الأولى هناك .

وكانت الحيرة لاتزال آخذة منى كل مأخذ ساعة قادونى إلى رقعة رملية جرداء جففتها الشمس ، وأمرت أن أعهد إلى الرجال بأن يحفروا حفرة كبيرة . وكذلك قضيت أسابيع كثيرة أجلس كل يوم على صخرة وأراقب سحب الغبار تثور وترتفع فى أُوار الشمس . ثم نقلت إلى موقع مقبرة . وكان أول مدفن دخلته نقرة فى جوف الأرض عقد سقفها بالطوب ، فانهار على أمّ رأسى ، فاستنقذونى مما طمرت تحته من الرمل والأنقاض بعد أن قطعت الأمل من رؤية نور الشمس مرة أخرى .

كانت هذه المصائب وغيرها ، صفحات قصتى فى الشطر الأول الذى توليت فيه البحث عن الآثار القديمة ، بيد أنه كان من حسن حظى أن عينت بعد زمن مفتشاً عاماً

لمصلحة الآثار فى الحكومة المصرية ، وكان مقر عملى فى الأقصر — طيبة القديمة . وكانت مهمتى أن أنوب عن الحكومة فى تفتيش كل كشف أثرىّ جديد ذى شأن . وكانت أعمال الحفر قائمة على قدم وساق فى كل شتاء فى وادى الملوك ، حيث وجد قبر توت عنخ أمون بعد زمن . وكان الغنى الأمريكى ثيودور ديفس ينفق من ماله على هذا البحث ويشرف عليه .

والتنقيب فى هذا الوادى مافتىء منذ سنين أهم ما يتجه إليه هم المنقبين . فالمنقب هناك يبدأ عمله مستنداً إلى طائفة من الحقائق الثابتة ، فقد كان الوادى أرضاً دفن فيها الملوك منذ أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة (حول ١٥٢٠ ق . م) إلى آخر الأسرة العشرين (حول ١٠٩٠ ق . م) . وعدد الفراعنة الذين تولوا حكم مصر بين هذين التاريخين معروف ، وكذلك مدافنهم التى فى هذا الوادى . ومعظم هذه المدافن قد نهب فى العصور القديمة ، وهى الآن مفتوحة . وكنا نعلم فى عهدى علم اليقين عدد مدافن الفراعنة التى لم تزل مخبوءة فى جوف الأرض ، وقد كشفت جميع هذه المدافن فى عهدى ، إذا استثنينا مدفن توت عنخ أمون .

والكشف فى الوادى يجىء على حين فجأة . فلم تكد تنقضى أيام منذ عينت مفتشاً عاماً ، وكان سلفى لا يزال مقيما فى مقر التفتيش ، حتى كشف مدخل أحد المدافن على غير انتظار . فهذا سُلم منقور فى الصخر يفضى إلى باب مغلق بجدار من الحجر ، وكان فى أعلى الباب ثقب كبير يتيح لنا أن نلمح الرُّواق المنحدر إلى جوف الظلام ، فرأينا ولم نكد ، باباً مسدوداً آخر فى طرف الرواق ، فلما فتحنا الباب الأول وبلغنا الباب الثانى وجدنا فى أعلاه ثقباً ، فأولجنا فيه مصابيح كهربائية ، فرأينا على ضوئها حجرة صغيرة مكتظة إلى سقفها برياش فاخر مذهب يتوقد بمثل لعاب الشمس .

وقد توليت حراسة المدفن فى تلك الليلة ، فوقفت عند مدخله وبندقيتى فى يدى ، ونفسى تجيش بروعة لم أستشعر مثلها فى حياتى . وكنت شاباً يومئذ ، فأحسست كأن عبء التبعة الواقعة علىّ يكاد يخنقنى .

فلما اجتمعت جماعتنا فى صباح اليوم التالى ، أزلنا الحجارة التى تسدّ الباب ودخلنا . وكان همنا الأول أن ننظر فى الكتابة المنقوشة على جانب النعش حتى نعرف صاحب المدفن الذى كشفناه ، فقرأنا اسم الأمير يودا وزوجته الأميرة تويو وهما من أصحاب الشأن والشهرة فى التاريخ ، فهما أبوا الملكة تى العظيمة ، زوجة أمينوفيس الثالث (١٤٠٦ — ١٣٧٠ ق . م) .

وقد تبينّا من فورنا أن لصوصاً قد دخلوا القبر قبلنا ، لأن أغطية النعشين كانت قد رفعت ، واللفائف قد فكت عن وجهى الجثتين لكى يسلبوهما عقود الذهب . وقد قام الدليـل هناك على أن السرقة تمت بعد الدفن ، وربما كان الذين تولوا الدفن هم الذين اقترفوا السرقة .

وعلى روعة الرياش العجيب الذى يحيط بالنعشين ، فقد استغرقت فى النظر إلى وجه الأمير . هاهو ذا مستلق أمامنا ، شيخ نائم وشعره الأبيض مردود عن جبهته ، وعيناه مغمضتان ، وأنفه الذى يشبه منقار الصقر ، والبسمة اللطيفة على ثغره — حتى خيل إلىّ أن أنفاس الحياة لا تزال تتردّدُ فى رئتيه ، وعلى ذقنه بقايا شعر نابت يدل على أن شدة المرض حالت دون قيام الحلاق على تزيينـه فى يومه الأخير ، وعلى أن المحنطين لم يعبأوا بتزيينه بعد الوفاة .

رفعت مصباحى فوق وجهه الجميل الهرم ، وإذا ارتعاد يدى قد جعل ظل أهـــدابه يتحرك ، فأجفلت وأنا أكاد أظن أنه يوشك أن يفتح عينيه ، فقد كان فوق طاقة العقل أن ينتبه فى تلك اللحظة إلى أن هذا الأمير قد مات قبل أن تسمع الدنيا اسم اليونان وروما ، بل قبل ظهور موسى الذى خرج ببنى إسرائيل من مصر .

ولم أجد فى وجه الأمـيرة ماوجدته فى وجه زوجها من الروعة ، ولكنها كانت هى أيضاً فى حالة سنمة . وقد رأيت فى شعرها المرسل وفى ملامح الهم البادية على وجهها ، سمة من الحياة تعبر الهوة الفاصلة بين العصور . ولقد كان الشبه بينها وبين سـيدة أعرفها شبهاً عجيباً .

وكانت الأشياء المدفونة فى هذه الحجرة أشـتاتاً منوعة ، ففى زاوية عربة الأمير ، وبقربها سريران مريحان وعليهما حشيتان وثيرتان من الخيوط المتشابكة . وكان هناك كرسيان أو ثلاثة كراسى ، وكان أحد الكراسى ، كما تبينا من الكتابة المنقوشة ، هدية إلى الأمير من بنات الملكة تى والملك أمينوفيس . وربما هجس فى نفس الرائى أن البنات أحببن جدهن حبـاً صادقاً فأردن أن يعطينه شـيئاً ينتفع به فى العالم الثانى . وكانت الصـــناديق والخزانات والموائد والوسائد الناعمة والزهريات والآنية والأحذية مكدسة كلها أكداساً فى جوانب الحجرة ، وكان على إحدى الموائد إناء من الألبستر يحتوى مابدا لنا عسلا كثيفاً ، وهو لايزال طرياً لزجاً ، فإذا هو زيت الخروع .

ولن يسع المرء أن يبالغ فى روعة مايحسّه عنـدما يرى كشفاً كمثل هذا الكشف ، وإذا المستر ديفس يزفر زفرة رابية ويغمى

عليه ، فلما ثاب إلى وعيه أعربت عن أسفي لما أصابه فقال : « لا بأس ، فقد دفعت مالا كثيراً لأظفر بمثل هذا الإحساس » .

وفي السنة التالية كشفنا مدفناً آخر على نمط هذا ، فكان مدفن الملكة تى نفسها . ولكن جثمانها كان قد أزيل ووضع محله جثمان ابنها : الفرعون أخناتون . وكان النعش بالغ الروعة والجمال، مرصعاً بالحجارة الكريمة المثبتة في الذهب ، وكانت المومياء ملفوفة برقائق من الذهب الخالص .

وانقضى فصلان من فصول الحفر، فعثرنا على مدفن الفرعون حرمحب الذي كان مدفناً فاخراً ولكنه نهب في العصور القديمة. وقد وجدنا بقرب مدخل هذا المدفن حجرة منقورة في الصخر، دفن فيها كلب الفرعون وقرده الأثيران عنده ، وكانا قد حنطا ، ولكن اللصوص الذين نهبوا القبر في العصور القديمة جردوهما من لفائف التحنيط ، ثم وضعوهما من قبيل الهزل متقابلين يمس أنف الكلب أنف صاحبه القرد، وقد وقف المستر ديفس يحدق في هذين الصديقين المتصاحبان منذ القدم وقال : « لقد مضت ثلاثة آلاف سنة قبل أن تقع عين أحد من الناس على هذه السخرية » .

وكذلك سار بحثنا شتاء بعد شتاء، ولكن المستر ديفس مات بعد زمن ، فحل لورد كرنارفون محله واستعان بالمستر هوارد كارتر ، وهو من الباحثين المجربين، وبعد سنوات من البحث الذي لاطائل تحته ، كشف مدخل توت عنخ أمون الذي كان يحوى أعظم مجموعة وأفخرها من الآثار القديمة التي كشفت في مصر ، ومدفن كل فرعون كان يحوى مجموعة تضارعها فخامة وقيمة ، ولكن مدفن توت عنخ أمون كان المدفن الوحيد الذي لم تمسسه يد قدماء اللصوص .

وأنت ترى في حجرة الجواهر في دار الآثار في القاهرة مجموعة منها نفيسة لاتقدر بثمن ، ومعظمها قد وجد في حفريات تولاها الباحثون ، بيد أن طائفة غير يسيرة منها وجدت اتفاقاً وعفواً ، فثمة مجموعة من الجواهر وآنية الذهب والفضة وجدها أحد المصريين وهو ماض على ظهر حماره، فقد كبا الحمار فسقط راكبه فإذا رأسه في كوم من التراب المتخلخل ، فذهل ساعة نهض فإذا في إحدى يديه سوار من ذهب وفي الأخرى إناء من فضة .

وفي خلال السنوات الأولى التي قضيتها في مصر، كنت كثيراً ما ألتقي بالدكتور جرنفل والدكتور هنت ، وهما من علماء جامعة أكسفورد ، وقد ظفرا بشهرة يستحقانها .

وقد وجد هذان العالمان أن التوابيت التى ترجع إلى عهد الإغريق مصنوعة من ضرب من الورق المقوى المؤلف من الأوراق التى تنبذ ، فنزعا هذه الأوراق بعضها عن بعض ، ثم وصلا أجزاءها بعضها ببعض ، وأنعما على العالم بمجلد فى إثر مجلد من الرسائل الخاصة ومن الوثائق ومن القطع الأدبية ذات الشأن .

وكنت حين أمسك أحد الآثار القديمة المكشوفة يستبد بى شعور بالعجب من نضارتها وجدّتها وأذكر أننى رأيت مرة جديلة شعر قد موّجت ثم عقصت وقد كانت تلك الجديلة لملكة من الملكات الأولى فى مصر منذ خمسة آلاف سنة ، ولكن الجديلة لاتزال متموجة كما كانت ساعة رفعت عنها القيان أناملهن الماهرة .

أتصدق هذا ؟

إن الذين يحبون الكلاب قوم قد استبد بهم شعور النقص والضعف ، فكلٌّ منهم يريد أن يكون شيئاً ذا شأن ، ومن اليسير أن تكون شيئاً ذا شأن فى نظر كلب . [صحيفة « بوسطن ترانسكربت »]

أظنّ أن هكسلى هو الذى قال إنه لو تم لستة من القردة أن تنقر كما يتفق لها على مفاتيح ست من الآلات الكاتبة ملايين الملايين من السنين ، لاستطاعت على الدهر أن تكتب جميع الكتب التى فى مكتبة المتحف البريطانى. [جيمس جينز].

أقدر من العجول

دعى العلم المشهور وليم ر . وب إلى المحاضرة فى إحدى الجامعات عن «منزلة الآداب فى التعليم». وكان الرجل الذى تقدّمهُ يرى أنه لاينبغى أن تكون المنزلة الأولى فى التعليم للآداب بل للتربية العملية النافعة قال : « إن مانحتاج إليه هو مناهج عملية . فالشيء الذى أريد ابنى أن يعرفه هو أن يحلب البقرة مثلا » .

فلما جاء دور وب قال : « هذا رأى عظيم . أما أنا فأريد لابنى أن يكون قادراً أن يحلب بقرة ، بيد أننى أريده أيضاً أن يكون قادراً أن يصنع أشياء أخرى لا تكون العجول أقدر منه على حسن صنعها » . [الدكتور رمسن بيرو]

نِقْمة آمون رَع

إدجار ولاس

مختصرة من مجلة "ماك كولنز"

وقف الترجمان المهيب الطلعة يرقب تلك الفئة القليلة من أولئك الأوربيين ذوى القبعات الذين يتولون أمر الحفر عن قبر توت عنخ آمون ، ثم التفت إلى رفيقه، وهو مراسل صحيفة إنجليزية ، وقال له : « سوف يجدون فيه الذهب والموت » .

فأجفل المراسل وسأله لم ذلك ؟

فقال الترجمان : « لأن أولئك الأرباب القدماء لايزالون أحياء . وهذا الرجل » — وأومأ بإصبعه إلى القبر إيماءة المزدرى : « كان هذا الرجل كافراً بالأرباب القدامى، ولم يقلع عن غيّه ويهتدِ إلا بعد فوات الوقت. وقد أغضب كبير الأرباب آمون رع » .

وقد قصّ بعضهم على اللورد كرنارفون هذه القصة ، فلم يسخر منها ، إذ كان رجلا حكيماً رزيناً ، بل قال له من فوره جاداً فى لهجته : « ربما كان ذلك حقاً » .

والحقيقة العجيبة هى أن كل مومياء تزعم الأساطير أنها مومياء « منحوسة » ، فهى مومياء رجل حارب الأرباب المكرمين. لقد دفن توت عنخ آمون باحتفال رائع تام الشعائر ، ولكنهم لم يرسموا صورة رَعْ الملوّنة بالأصفر على مقدم القارب الذى يضم جثمانه الملفف بالأكفان ، ولم يرسموا على الألواح صور أربابهم : تم ، وشو ، وتفنوت ، وسبْ ، ومت ، وأوزيريس ، وإيزيس ، وسوتى ، ونفتيس ، ولم يدهنوها بزيت الصنوبر ، فلم تدخل الرحمة فى هذا الكهف الموصد حيث وسّد جثمان الملك الشاب ، بل هو فى قلق عظيم. فمع أن توت عنخ آمون كان قد عجل لكى يردّ الأرباب المهجورة إلى محراب عبادتها ، وغير اسمه الذى سماه به آباؤه لكى يبلغ مرضاتها ، إلا أن الأرباب القدامى الجاثمين على سور الجحيم لم يكونوا راضين عنه ، وصبُّوا عليه غضبهم فاستقرّ فى الحجرة المظلمة التى وضع فيها الهيكل المحنط لهذا الكافر .

وسوف يأتى على الناس يوم يعرفون فيه أن للفكر قواماً كقوام المادة ، وأن الحب والبغض شيئان محسوسان كأشعة الشمس ، ويومئذ نعرف أن القصص التى ننبذها لأنها أساطير أو وساوس رجال من الصوفية البله

المتوهين ، أشـياء لها أصل ثابت قائم على الحقائق المعقولة . نعم ، قد يكون غير صحيح أن المقت يطبق على وادى الملوك إطباق السحاب على الأرض ، أو أنه يتمثل شبحاً منتقباً لا يُرَى فيذود كل دخيل يريد أن يقتحم على أسرار الموتى — ولكنه موجود حاضر ، مؤثر فى الحوادث ، باق على الزمن .

وينظر بعض عقلاء العلماء إلى الحفر عن الآثار نظرة استنكار ، وأمثال هؤلاء القوم لا يؤمنون بالأشباح ، ولكنهم لا ينكرون احتمال وجود بعض الظواهر النفسانية .

فى الناس رجال ونساء مجلبة للنحس — وهل يشك فى ذلك أحد ؟ ومن الناس من يدخل البيت أو المكتب حاملاً طائر شؤم أو يمن . فهذا « المجهول » الذى يوجد تلك الظاهرة سرٌّ من الأسرار لم يكشف عنه اللثام بعد .

وفى قبر توت عنخ آمون استكن أعتى « مجهول » — هو الموت .

كان يعاون اللورد كرنارفون ، هوارد كارتر ، وكاتم سره دك بثل ، والأثرى الفرنسى م . بنيديت الذى كان أميناً فى دار الآثار فى القاهرة ، و م . بازانوفا — فلم يبق منهم حياً سوى رجل واحد ، مات بعد زمن طويل .

ولما فتح القبر دخله أيضاً رجلان من عليه القوم هما : الكولونل أوبرى هربرت أخو كرنارفون لأمه ، والآخر إيفلين هوايت : فما كاد أوبرى هربرت يلج الغار الذى فيه القبر حتى أخذته رعدة وكف عن السير وكره أن يمضى فى مسيره ، وقال : « كنت أتمنى أن يكون كرنارفون لم يعثر على هذا القبر ، وسوف يحل بأسرتنا شرٌّ مخوف » . فلم تكد تنقضى السنة حتى كان قد مات .

فلما أزيل الباب ولج القبر كرنارفون وعلى ثغره ابتسامة وسخرية ، فقال الكاتب الأثرى آرثر وجول : « ليته لم يضحك — سـوف يقضى نحبه قبل أن تنقضى ستة أسابيع » . وجاء شىء فلسع كرنارفون على خده ، فأدركته المنية ولما يُرفع الستر عن سائر تحف هذا القبر .

أما إيفلين هوايت العالم بالآثار المصرية القديمة ، فقد انقلب رجلا آخر بعد أن تم فتح القبر ، حتى صار كأنه إنسانٌ قد لزمه شبحٌ خفىٌّ مفزع لا يتركه ، فلم تمض سنة حتى انتحر . وكتب فى الرسالة التى خلفها لأهله : « لقد أدركتنى اللعنة الماحقة » .

واستقدمت الحكومة المصرية السير أرشيبولد دجلاس ريد المتخصص فى الأشعة ، ليأخذ صورة المومياء بالأشعة السينية . فلم تمض السنة حتى فاضت نفسه .

وهذا الأستاذ لافلير من جامعة ماكجيل

كان أول عالم أمريكي تولى دراسة « غرفة الموت » ، فلم يفارق الأقصر حياً .

فانظر إلى شبان وشيب ، ورجال فى عنفوان العمر — رجال لا تتردد شركات التأمين لحظة فى قبول التأمين على حياتهم ، يموتون ميتة غامضة مفجعة . ولم ينج من رؤساء العمل سوى هوارد كارتر . وماتكاد تجد عاملا دخل هذا القبر إلا وقد طواه الردى فى غلائله السود .

وقد زار القبر سبعة من الكتاب الفرنسيين وصحفيٌّ واحد ، فورد حياض الموت ستة منهم فى بحر سنتين . ولما أماطوا اللثام عن وجه توت عنخ آمون وجدوا عليه علامة — كانت أشبه شيء وأقربه إلى العلامة التى بقيت ظاهرة على وجه اللورد كرنارفون بعد مماته .

ويوم فتحوا القبر خرجت منه ناشرٌ ، وهى الحية المقدسة عند قدماء المصريين ، ويممت شطر دار هوارد كارتر وفتكت بأعز شيء لديه ، وهو كنارٌ كان يحمله كارتر معه حيثما نزل . والناشرُ أندر الحيات وجوداً فى مصر .

وقد زار القبر وولف جويل ، فما انقضت سنة حتى وافاه الحمام . وأخرج جاى جولد من القبر وهو منهوكٌ عليلٌ ، ولم يلبث أن قضى . فلا تكاد تجد رجلا زار هذا القبر إلا أصابته نائبة من النوائب .

وإن أشد الناس ارتياباً وشكا ليقرّ بأن ثمة شيئاً غير الاتفاق والمصادفة ، فى الحوادث التى تعقب الدنوّ من أنفه قطعة من القطع التى استخرجت من هذا القبر ، حتى إن القطع التى أودعت فى دار الآثار المصريه ظلت « تعمل عملها » ، فالخدم الذين كانوا يتعهدون هذه المعروضات قد أصابهم المرض أو أدركهم الموت لغير علة معلومة .

ولقد كان العالم المشهور الدكتور ماردوس يعتقد أن فتح قبر توت عنخ آمون سوف يحمل فى طياته نذير الموت . وهو الذى قال : « لقد كان فى أيدى المصريين القدماء ، منذ ٧٠٠٠ سنة ، سرٌّ غامضٌ ييسر لهم أن يحوطوا مومياء موتاهم بقوة من القوى الجبارة ليس لنا بها أدنى علم » .

السعادة عطرٌ ، لن تستطيع أن تُفيضه على الناس دون أن تعلق بك قطرات منه .

[إمرسون]

تحصّن من الأنفلونزا

لويس ماتوكس ميلر
مختصرة من مجلة "هايجيا"

في وسعك أن تقلل احتمال إصابتك بالأنفلونزا إلى أدنى حد حتى ولو تفشى المرض فصار وباء عاماً ، فقد صنع لقاح جديد يقي من الأنفلونزا في ٧٥ في المئة من الحالات ، وهو متاح للناس مهيأ لكي ينتفع به الطبيب في تحصينك وتحصين أهلك . ويعتقد أكثر الثقاة أن حقنة واحدة منه تكفي لتحصين الجسم طول فصل الشتاء ، وثمنه خمسة وعشرون قرشاً .

وقد عمدت طائفة من الشركات الكبيرة إلى تحصين موظفها بهذه الحقنة الواقية ، ويرى مديروها أن نفقة الحقن قليلة إذا قيست بما يخسرونه من أيام العمل في الشتاء الذي يتفشى فيه وباؤها . ويقول رجال الصحة العامة إن هذا التلقيح حقيق بالتقدير والعناية في تحصين أطفال المدارس وعمال المصانع والمتاجر .

كان الكفاح ضد فيروس الأنفلونزا مديداً باعثاً على اليأس ، فلما نشبت الحرب قدم مشروع كفاح الأنفلونزا على مشروعات أخرى كثيرة في دوائر البحث الطبي .

وكان ثلاثة من الباحثين الإنجليز قد عزلوا الفيروس الذي يسبب ضرب « ا » من ضروب الأنفلونزا ، وذلك في سنة ١٩٣٣ ، فما انقضت ست سنوات حتى صنع علماء أمريكا لقاحاً للتجربة يبشر بإحداث بعض المناعة ضد ذلك الضرب الشائع من الأنفلونزا ، ولكنه كان غير مجدٍ ضد سواه من ضروب الأنفلونزا التي لم تزل مجهولة الجوهر .

ثم تمكن رائدان من رواد مكافحة الأنفلونزا ، هما الدكتور توماس فرنسيس والدكتور ت . ب . ماجيل ، من عزل فيروس الضرب « ب » من ضروب الأنفلونزا . وقد تم ذلك لكل منهما على حدة ، ثم ابتكرا طريقة تتيح لهما أن يدمجا الفيروسين في لقاح واق واحد . وكانت الخطوة التالية أن يقوم الدليل على نفع هذا اللقاح ، فتولت سلطات الجيش الأمريكي تجارب واسعة شملت ١٢٫٥٠٠ من الجنود في شتاء ١٩٤٣ — ١٩٤٤ ، وكان وباء الأنفلونزا على أشده ، فأجدى اللقاح جدواه .

فكفلت هذه التجربة اقتناع الجيش بنفعه ، فلما كان خريف ١٩٤٥ أمر كبير الأطباء بتلقيح جميع رجال الجيش المقيمين في الولايات المتحدة . فلما جاء الشتاء وفد معه وباء الأنفلونزا من الضرب « ب »

وكان يقيم في جامعة مشيجن وجوارها

٦٠٠ من الجنـد و ١١٠٠ من البحارة ، فحقن الفريق الأول ولم يحقن الفريق الثانى ، فبلغت إصابات الأنفلونزا بين البحارة قرابة ١٠ فى المئة ، أما الإصابات بين الجند فلم تزد على واحد فى المئة سوى شىء قليل .

فكل امرىء يعلم أنه عرضة للإصابة بالأنفلونزا ينبغى له أن يحقن بهـذا اللقاح مرة كل سنة . ويقول الخبراء إنه متى بلغ عدد المحصنين به من الناس مبلغاً كافياً ، فقد تصبح الأنفلونزا المتفشية كالوباء فى خبر كان .

هموم الآباء !

لى صاحبان كلاهما كاتب مشهور : وليم شبرد وفلويد جيبنز ، فلما كانا فى شبابهما كان جيبنز مخبراً فى صحيفة يتولى شبرد تحرير أخبارها ، وكان الاشتغال بالصحافة قد فتن جيبنز وظن أنه صائر إلى النجاح ، فلذلك ذهل يومَ ناداه شبرد وقال : « أنت شر مخبر فى العالم . فاخرج من هنا وانصرف عن الصحافة فلا خير فيك » . فخرج جيبنز ووجد من فوره عملا فى صحيفة أخرى ، ولكنه لم يلتق بشبرد حتى صارا كلاهما من أذيع الكتاب صيتاً . فقد اتفق لهما أن كانا يحاضران فى نفس المدينة ، فإذا هما بعد الفراغ من المحاضرة فى القطار نفسه . فقال شبرد : « أتذكر يوم طردتك ؟ » فصاح جيبنز : « أذكر؟ وما زلت أتوق إلى لقياك منذ عشرين سنة ! » فقال شبرد : « إذن، دعنى أروى لك سبب طردك :فقدوفد على فى المكتب زائر كريم وقال لى : عندكم هنا مخبر شاب ، أفلا تسدى إلىّ خدمة ؟ اطرده . فقلت للرجل : ومن أنت ؟ فقال أنا صحفىّ ، ولست أريد أن يصير هذا الشاب صحفياً . وأنا أبوه . »

كان اسم الفتاتين مارى وأبجيل . وكانت مارى أكبرهما وقد خطبت لشاب له مستقبل زاهر يدعى رتشرد وكان أبواها يحبانه . وأما أبجيل فقد خطبها شاب يدعى جون ، ولكن أبويها كانا يتنكران له لأنه من أسرة غير معروفة . ثم تزوجت الفتاتان فى حفلة واحدة وكانت مارى يوم الحفلة مزهوّة برجلها ، وأما أبجيل فقـد أحست أن أبويها ينظران إليها غير راضيين . بيد أن التاريخ يذكر أن زوج أبجيل كان جون أدمز ، فهى المرأة الوحيدة فى تاريخ أمريكا ، التى كانت زوجة لرئيس الولايات المتحدة وأماً لرئيس آخر .

ومع ذلك فقد ساور الهم أباها كما ساور أبا جيبنز ، فقد أراد الأبوان كلاهما أن ينقذ ولده من أن يرتكب خطأً كان فى رأيه الذى حنكته الأيام ، خطأً جسيما . [بروس بارتون]

لا أزال أحب البط

ت . ماك كين داونز
مختصرة من مجلة « أتلانتيك منثلي »

كنت في صغري مولعاً بتربية البطّ ، وما زلت بعد هذه السنين الطوال أحبها وتملأ قلبي حبوراً . فلما عدتُ إلى وطني بعد هذه الحرب عاجزاً عن مزاولة الأعمال قلتُ لنفسي : لماذا لا أعود فأربي البطّ ؟

وأكثر البطّ الذي يُربى كثير الضجيج مجلبة لسخط الجيران، وتربيته متعبة مشغلة لما يتطلبه من محاضن ومفارخ . بيد أن بطي الذي كان عندي في صغري كان من البط المسكوفي، وهو يتنادى بألحان عذبة مردّدة فلا يجلب سخط الجيران . ومن مزايا هذه البط أنها كثيرة الفراخ ، حسنة الرعاية لصغارها ، تسرح في طلب طعامها ، وبذلك لا تحتاج إلا إلى قليل من الحبوب أو الطعام المصنوع لها خاصة ، فضلا عن أنها ضخام الأبدان ، لحم صدورها وافر، ولحم أجنحتها طيب المذاق . فحزمتُ أمري واشتريت سرباً من البط المسكوفي .

كان لا بدّ لي قبل أن أطلق سَراحها أن أدبر ما يجعلها عاجزة عن الفرار ، فإنها طيورٌ شديدة الطيران . فسألت امرأتي أن تعاونني على قصّ أجنحتها ، ولكن امرأتي فتاة من بنات المدن لا عهد لها بتربية الحيوان ، وهي أيضاً رقيقة مرهفة الحسّ ، فقالت لي إنها لن تُلقي يداً في تعذيب هذه الطيور التي لا تدفع عن نفسها . فأخذت أحتال في أن أبين لها أن قصّ بعض قوادم الريش الطوال المعينة على الطيران، إنما يمنع الطائر عن اعتداله في طيرانه ، وليس فيه من الإيلام أكثر مما في قص المرء شعره . فلم تقتنع كل الاقتناع ، ولكنها رضيت أن تمسك لي البط حتى أقص قوادمه، وعندئذ أخذها العجب لما رأت من قوة أبدانها ، بل إنها حين أخذت بين يديها بطة ذكراً لم تستطع أن تمسكه ، فاضطرت أن تأخذ هي مني المقص وتوليت أنا إمساكهُ، فقد كان بطةً شديد الأسر .

فما كدنا نطلق سراحَ البطّ حتى بسعى يدلف إلى غدير الماء ، وكنا لا نزال في زمن الشتاء ، وعلى الماء طبقة رقيقة من الجمد ، ففتحت لها فيه ثغرة حتى تستطيع أن تشرب، بيد أن هذه الطيور التي لم يمض على جلبها من المنطقة الاستوائية في جنوب أمريكا سوى بضع سنين ، غطست من فورها في الماء القارس المتجمع في أول بركة وقعت عليها

عيونها . ولم تلبث أن تنفَّشت وانتفضت ، وضربت المـاء بأجنحتها ، وجعلت تغطس وتدور فى الغدير تحت الماء حتى ذاب الثلج وانشق عنها .

ولما كانت حديثة العهد بمكانها ، فقد صرتُ أغلق عليها بيتها ليلا حتى تهتدى وتتعلم أين مكان طعامها. ومنذ تعوّدت ذلك لم تبت ليلة قط تحت سقيفتها، فكان آخر شىء أراهُ كلّ ليلة حين أفتح نافذة غرفتى هو جماعة الطيور البيض نائمة على حافة الغدير ، قائمة على ساق واحدة ، لاوية رؤوسها إلى خلف، قد أراحتها على الريش الناعم المتكاثف على أعطافها . وكان يبدو عليها أنها وادعة مرتاحة تحت المطر والثلج والرياح .

وكان أول ما فعله البط أن دبر أمره حتى استتبت شرائع جماعته ، وشريعة صغار البط هى فض النزاع بالقتال . بيد أنى لم أر قتالا يدور بين البط الذى اتخذته ، ولست أدرى كيف دبروا أمرهم حتى استتب نظامهم على هذا الوجه . وكان قائد البط هو أصغرهم وأقلهم ، مع ذلك أراه يستطيع ، بل أراه يعضّ أية بطة عضة قاسية، فلا أرى المعضوضَ يحاول أن يثأر أو يدفع عن نفسه . وكان مكتوباً على أضعف البط أن يخضع لاستبداد البط جميعه كما يخضع لاستبداد البطة الذكر. وربما كان للقوة والعافية شأن فى هذا الأمر . والبط المسكوفى يمتاز ببقعة خالية من الريش فى وجهه ، لونها أحمرُ زاهٍ . وتدل شدة الحمرة على ما تتمتع به البطة من قوة ، ومعنى ذلك أن كل بطة تحمل الآية الدالة على قوتها . فسيدة البط هى أزهاها حمرة وجه .

وإذا جاء الطعام حرّم البطة الذكر على سائر البط أن يصيب منه شيئاً حتى ينطفىء سعارُ جوعه. وكان هذا يجعل امرأتى تتميز من الغيظ، فقد كانت أنثى متعصبة للأنوثة. فإذا فرغ البطة الذكر من طعامه جاءت سيدة البطّ بعده فأكلت وحدها بلا مشارك .

ومن البين أن سيدة البط هى أول من صبا إليها البطة الذكر بحبه . فهى أول من تضع من البط بيضها ، وأوّل من ينفلق بيضها عن صغارها . أما سائر إناث البط اللواتى هن أدنى منها مرتبة ، فلا تحاول أن تثور على المنزلة الحسيسة التى هى فيها ، فتلك قسمتها وقضاء الله السابق فيها، فالثورة عليه عبث لا يجدى وفسوقٌ عن أمر الله .

وسفاد البط يتم غالباً وهن فى المـاء ، وإناث البطّ تطفو طفوّاً ظاهراً على الماء ، بيد أن ثقل البطة الذكر كافٍ فى إغراقها كل الإغراق تحت الماء . وقد تأدّت إلىّ مرة صرخات عاليـة من امرأتى تستنجد بى : «أقبل ! فهذا الذكر يحاول أن يغرق إحدى الإناث. أدركها» ، ولكنى استطعت أن أقنعها

بأن لا خوف على الأنثى، فبضربة أو ضربتين من كفيها المفرطحتين فى جوف الماء سوف تخرج سالمة طافية . ولا تزال امرأتى تعدّ هذا الخلق من ذكر البطّ خلقاً منكراً ، ولكن إناث البط لا تكاد تلقى بالاً إليه .

ولما أخذ النهار يطول وأخذت الشمس تزداد حرارة ، بدأ زمن البيض . ويومئذ وجدتْ سيدة البط الأثيرة عُشاً من القش فى مكان منعزل ، فلما بدأت تبيض بقيت فيه طول أيامها بلا انقطاع ،فوضعت سبع عشرة بيضة فى ١٧ يوما على التتابع . فلما فرغت من وضع بيضها جميعاً ظلت تقضى وقتاً طويلا واقفة فوقه لا جاثمة عليه ، ومن يومئذ تبدل صوتها فصار فيه صريرٌ خفيٌّ يَنهى عنها سائر البط ، ويستجيب له زوجها حين تدعوه . ولكنها إذا فزعت هجرت عشها من فورها وتركت بيضها بارداً لايجد مايدفئه .

ثم يأتى يومٌ فتراها جاثمةً على البيض فجأة منبطحة بكلّ بدنها ، ناشرةً ريشها على مدّه مااستطاعت،فهى لن تفارق بعد اليوم عشها إذا دنامنها مايفزعها، بل ترسل صرخة تحذير وتنقر وتعض كل يد تمتد إلى مكانها . لقد تغيرت وتبدل حالها ، فلو وضعت لها حجارة مكان البيض لجثمت عليها وحضنتها ، فهى لا تعبأ بهذا البيض شيئاً ، ولو سقطت من العش بيضة لتركتها تسقط غير حافلة بها .

وكذلك تبدأ خمسة أسابيع كلها ملل تقضيها حبيسة فى مكان واحد . ولا بد لها عندئذ من أن تتململ وتتحرك قليلا ولا ريب . وهذه الحركات التى تأتى فى الغالب عفواً تهيء للبيض شيئاً من الحركة حتى يكون فى وضع ينال فيه جميع البيض من الدفء مايحتاج إليه حتى ينضج للإفراخ . وترى البطة عنــدئذ فى أكثر وقتهــا كأنها فى حلم بين النائمة والمستيقظة .

نعم ، إنه لاغنى لها عن أن تخرج أحياناً فى طلب طعامها ، وقد كنت أوفر لها كل ما تحتاج إليــه من زاد ، فمن أجل ذلك لم تكن تغيب عن عشها سوى بضع دقائق ، ولكنها كانت تخرج مرة على الأقل كل يوم للرياضة ، فتراها عندئذ قد انطلقت ناكسة الرأس حثيثة العدو مُيَمّــمة شطر الغدير . فإذا بلغته رمت بنفسها فيه وأخذت تغطس وتعوم حتى تأخذ لنفسها أعظم نصيب من الاستمتاع . ومن أعجب ماتراه عينك عندئذ ذلك الشحوب البالغ الذى يكسو لحم وجهها العارى من الريش حين تغادر عشها ، ثم تلك الحمرة القانية التى ارتدت إليه سريعاً بعد دقائق من الرياضة العنيفة .

وفى أيام حضانة البيض يصبح ريشها أقل مناعة على نفاذ الماء فيه ، فمن أجل ذلك تراها إذا أخذت تعوم بدأ الماء يثقلها رويداً رويداً وترى الذى يغطس من بدنها فى الماء يزداد

شيئاً فشيئاً ، وأخيراً لا يكاد يطفو من بدنها فوق الماء إلا رأسها وعنقها. فالآن إما أن تخرج من الماء ناجية بنفسها وإلا فهو الغرق. فتراها بعدئذ واقفة على حافة الغدير تنفض الماء عن ريشها حتى يجف ، ولكن مقداراً غير يسير من الماء يبقى عالقاً بريشها فتعود به إلى عشها فيكون لبيضها عوضاً مما تبخر منه .

وبعد خمسة أسابيع كاملة يأتى اليوم المشهود ، فإذا الذى تحس به تحتها ليس بيضاً مدوّراً صلباً بل أجساداً صغيرة ناعمة عليها الزغب تتحرك من تحتها . فإذا كانت يومئذ متروكة بلا وقاء ولا حراسة ، فالساعات القليلة التى تلى انفلاق البيض هى أخطر وقت فى زمن الحضانة ، فإن البطة فى زمن حضانتها لا تنبعث منها رائحة ، وهى تحرص كل الحرص على أن يكون كل ماحول عشها نظيفاً نقياً من كل قذر . ولكن هذا البيض المتفلق يحتوى على أغشية ورقائق كانت غذاء ووقاء للفرخ قبل انفلاق البيضة عنه ، فهى تقودها خارجة بها من العش الذى سيبقى منذ الآن ينفث رائحة خليقة أن تجتذب إليها ثعلباً أو نمساً يجوس فى طلب الفريسة .

ولا يكاد يجف ريش الفراخ وتجتمع لها الطاقة على اللحاق بأمها، حتى ترى الأم تقودها خارجة بها من العش الذى سيبقى منذ اليوم خالياً مهجوراً . إنه لمنظر رائع أن ترى هذه البطة الناصعة البياض تتهادى سائرة على مهل ، وذيلها العريض الطويل مبسوط على مدّه ليقى صغارها من وقدة الشمس ومن كل عين ناظرة إليها من عل ، وأن ترى هذا الحشد الحاشد من الفراخ الزُّغب تمشى راجفة متعثرة فى بساط العشب ، وكلها تحاول غاية جهدها أن تستظل فى كنف هذا الذيل العريض الوافر وتسير عامدة مصممة إلى الغدير ، وتنغمس فى مائه غير جافلة ولا مترددة ، وتظل تتواثب هنا وهنا لتصيد بعض الحشرات الطائرة . وتخال الأم عندئذ كأنها بارجة ضخمة متهادية يحرسها ويحف بها سرب من المدمرات الصغيرة ذاهبة جائية لا تخضع لأمر أو نظام .

وفى تلك الليلة حين كانت إناث البط تعد العُدّة للمبيت على شاطىء الغدير ، رأيت ريشها وَرْداً لامعاً فى أشعة المغيب ، وعندئذ سرحت بأفكارى إلى يوم أرى هذه الصغار قد كبرت واستوت . نعم لا مهرب من أن يموت بعضها ، ولكن أكثرها سوف يبقى . وقد عاهدت الله أن يكون غير هذا الجيل عرضة للذبح والطبخ والنار المنضجة ، أما هذا الجيل الأول فلا ، ثم لا . وسأَسِمها بوَسْم لا يزول ولا يحول حتى لا تمتد إليها يدٌ خاطئة . وسأحرص ما استطعت على أن تقضى أيامها ناعمة إلى أن يوافيها أجلها ، لا تُرَاع ولا تذعَر .

قصة جهاد الدكتور نلز لارسن فى جزائر هوائى :
« أسمى ما بلغه الطب فى الريف من تقدم »

" أطفال المزرعة بخير "

بليك كلارك
مختصرة من مجلة " هايجيا "



« لست أخشى أن يقضى الطفل نحبه يا دكتور ، فقد أصبح أطفال المزارع جميعاً بخير » .

هذه كلمات شابة فى المخاض تثنى بها على الدكتور نلز بول لارسن ، وهو طبيب أمريكى ولد فى السويد ، وما فتىء منذ عشرين سنة يكافح الموت الذى يغتال الأطفال فى جزائر هوائى . وقد استطاع بجهده الذى لا ينقطع ، أن يتيح لزوجات العمال فى مزارع السكر من الرعاية الطبية المحكمة ما لا يتاح مثله لأغنى النساء فى بعض المدن . وقد كان العام الماضى هو خامس أربعة أعوام متوالية سجل فيها رجال الصحة فى هذه المزارع أقل معدل لوفيات الأطفال الرضع فى العالم كله – ١٨ وفاة بين كل ألف طفل فى العام الأول من عمرهم . وأقرب معدل إليه كان معدل ولاية كونكتيكت الأمريكية حيث بلغ ٢٩٫٦ فى الألف .

من الأمثال السائرة فى إسكندناوة مثل مؤداه أن السويدى كشجرة الصنوبر – مظهره جاف قاس ، ولكن قلبه يزخر بالحنان . ونلز لارسن آية حية على صدق هذا القول . فقد ذهب إلى هنولولو منذ ربع قرن أو نحوه ليتولى إدارة مستشفى كوين ، وكان زاخر النشاط مبدعاً ، فسره أن ينتفع بكل دقيقة من فراغه . فطاف فى نواحى جبال هوائى ، فسجل محاسنها فى رسوم بارعة ، وقضى ساعات كثيرة يغوص فى أعماق البحر وبيده آلة التصوير ، فصور مشاهد عجيبة . وكان يحب النزهة مع زوجته وولديه على شواطىء الجزيرة ، ففى هوائى سوى الجهاد أشياء لا تحصى تستأثر باهتمام المرء .

بيد أن قلبه فاض رحمة حين اطلع

على أحوال العمال فى هوائى ، ففى كل عام يموت ٤٥ فى كل مئة ألف منهم بمرض البريبرى وحده، وهو مرض يمكن توقيه . أما نزلات المعدة والأمعاء ، وهى مما يمكن توقيه أيضاً ،فكانت تحصد منهم أضعاف ذلك ، وقد مات نحو ٦٠٠ طفل دون الثانية من عمرهم بالإسهال الناشيء من سوء الغذاء أو سوء التدبير الصحى . وكانت كلُّ أمٍّ فى المزرعة الوسط ، تتوقع هلاك كثير من أولادها ، وكان السل يصيب العمال الذين قل غذاؤهم بمعدل ٨٠٠ فى كل مئة ألف كل سنة ، ويودى بمئة وستين من المصابين. وهذه حالة لا تطاق فى نظر الطبيب الشاب ، وهوائى بلد من أصح بلاد العالم .

دُعى لارسن ليخطب فى الاجتماع الذى تعقده جمعية زرّاع القصب كل سنة ، وكان أعضاؤها الأغنياء المحافظون يتوقعون أن يستمعوا إلى بحث فى تقدم الطب الحديث ، فذهلوا ساعة رأوا الخطيب الأشقر الوثيق التركيب يتكلم وفى عينه بريق الغضب ، فيصف سوء الحال فى بعض مزارعهم، وقد ختم كلامه بنداءٍ بليغ يدعوهم أن ينشئوا مركزاً صحيًّا للمزارع ، قال : « قد أثبت العلماء فى محطات التجارب أن تحسين المحاصيل يجدى عليكم ، فدعونى أبين لكم أن تحسين صحة الناس وأحوالهم يجدى عليكم أيضاً » .

فوقف أحد أعضاء الجمعية وقال بصفاقة : « ليس من شأننا أن نتولى أمر الصحة العامة. والعمل الذى نزاولهُ فيهِ تنافسٌ قوىٌّ ، فلا يسعنا أن ننفق على مشروعات لا تثمر » .

فسأله لارسن : « ما عدد أعواد القصب التى يستطيع العامل المريض أن يقطعها ؟ وهل فى وسع رجل مهموم على زوجته وطفله أن يحسن عمله فى الحقل ؟ »، وحثَّ الزراع على أن يتيحوا للعمال خطة لتحسين الصحة تستغرق سنة ونصف سنة . قال : « فإذا لم تفض الخطة إلى خفض نفقة محصول القصب ، أهملت الخطة كلها » ، فقبلوا جميعاً على هذا الأساس .

وكذلك كان . وفى سنة ١٩٢٩ تولى لارسن فى مزرعة إيوا ، على مسيرة عشرين ميلا من هنولولو ، عملا ضخماً دون أن ينصرف عن عمله فى المستشفى .

فأكب على فحص سجلات وفيات الأطفال والأمهات فحصاً دقيقاً ، فراعته كثرة الوفيات التى تبين أن مردّها إلى تواتر الحمل، وليس لذلك سوى علاج واحد ـــ زيادة المدة بين ولادة وولادة . وهذا رأى ينطوى على خطر فى جماعة شديدة التمسك بفرائض الدين .

وانبرت له طائفة قوية من الناس تقول : « إن منع الحمل تحدٍّ لمشيئة الله » .

فردّ لارسن : « أفي وسعنا أن نظنّ أنّ الله جلّ جلاله يحبس رحمته عن عباده فيرضى لامرأة تكاد تهلك من تواتر الولادة، أن تلد طفلا ضعيفاً كل سنة بدلا من أن تلد طفلا صحيحاً معافى كل سنتين » .

وذهب لارسن يعلم عمال القصب أساليب الأبوّة الرشيدة ، وصارت الحوامل من زوجات العمّال تلقى من الرعاية الطبية ماتلقاه زوجات المديرين . وكانت الحامل تنقل بالسيارة كل شهر إلى المركز الصحى لفحصها وتعليمها . وحث النساء جميعاً على أن يلدن فى مستشفى المزرعة لا فى الأكواخ الزريّة غير الصحية . وقد تولى الأطباء والممرضات المدرّبات توليد ٩٠ فى المئة منهنّ فى السنة الأولى بدلا من القوابل الجاهلات.

وأعد رجال المركز الصحى طعاماً محكم التركيب يوافق حاجة كل طفل ، ووضعوه فى زجاجات معقمة ، وكانوا يسلمون الأم كلّ يوم ما يكفى حاجة وليدها فى بحر ٢٤ ساعة . فإذا أتم الرضيع حوله الأول ، ضمّ إلى هذا الطعام حساء تكثر فيه المواد التى تولد الحرارة والفيتامينات والأملاح المعدنية .

وطفق لارسن وهو يحث الأمهات على زيادة الانتفاع باللبن وما يصنع منه ، يفاجىء معامل الألبان فى هنولولو بزيارته ، فيلفى الأحوال الصحية فيها تهول النفوس — فبدأ معركة جديدة . وقد عمدت إحدى الصحف إلى نشر خبر حملته ، فجعلت عنوانه : «لبن هنولولو يفتك بالأطفال » ، وأيدته فى مقال افتتاحى شديد اللهجة ، فوفق فى النهاية إلى سن قانون يصلح مافسد ، وتولى تنفيذه مفتشون من أهل المعرفة والقدرة .

وعلى أن لارسن كان يدعو الناس إلى أكل طعام كامل العناصر وقاية لهم من المرض، فقد ظل العمال من اليابانيين والفلبينيين يجلسون إلى قصاع ممتلئة بالأرز الأبيض المقشور ، ويهملون الثمار والخضر . وقد تبين لارسن أن إيثار الأرز مرجعه الأول إلى أنه أرخص طعام متاح لهم ، فالأسرة الوسط المؤلفة من ستة أشخاص ، يبلغ دخلها كل يوم ٦٥ قرشاً — فكان دخلا لايكفيها للحصول على طعام صحى .

فراح لارسن يستعين بالرسوم الملونة حتى يبين للعمال لِمَ تحتاج أبدانهم إلى أصناف من الطعام تحميهم من المرض ، وأقنع مدير مخزن المزرعة بأن يبيع العمال تلك الأصناف بغير ربح ، وغرست أشجار الموز والمانجو والكمثرى والجوافة فى أفنية بيوتهم ، وأغريت الأسر بأن تزرع الخضر فى حدائقها، وأنشئت مزرعة للفسائل يأخذون منها خير أنواعها بأقل من تكاليفها .

وقد أعطى كل تلميذ فى المدرسة كتاباً فيه صور هزلية ملوّنة تمثل أشخاصاً أصيبوا بوجع الأسنان أو وجع البطن حين أكلوا الطعام الذى لايلائمهم ، فإذا ما أكلوا الطعام الحافل بالمواد الزلالية الواقية ، رأيتهم — فى صور الكتاب — يتوثبون قوة ومرحاً .
وغرست حديقة فى أرض المدرسة ، وجنيت الخضر الغضّة فأكلت فى « السلطة » أو طبخت طاجناً لذيذاً . وصارت المدرسة تقدم لتلاميذها طعاماً صحياً فى الغداء مقابل ١٢ مليماً .

فلم تكد تنقضى ١٧ شهراً منذ بدأت التجربة ، حتى قال نلز لارسن لمديرى المزرعة ، مزهوًّا بما تم : إن معدل وفيات الأطفال فى مزرعة إيوا قد هبط من ١٧٤٫٤ إلى ٧٢ ، ثم إن المواليد وإن قل عددهم ، فقد زاد عدد من بقى منهم حيًّا معافىً .

ثم أخرج رسماً بيانياً يبين ماتمّ لجماعة مختارة من العمال أعطيت من الأطعمة الواقية ضعف المقدار الذى كانت تصيبه من قبل : فقد نقصت أيام تعطلهم عن العمل بسبب المرض إلى نصف أيام التعطل بين سائر العمال للسبب نفسه . وختم لارسن حديثه فقال : « إن الخطة الصحية القويمة ليست هبة توهب بغير ثمن ولا مضيعة لمال صاحب المزرعة ، فالعامل يوفى نفقاتها بزيادة أيام عمله كل شهر » .

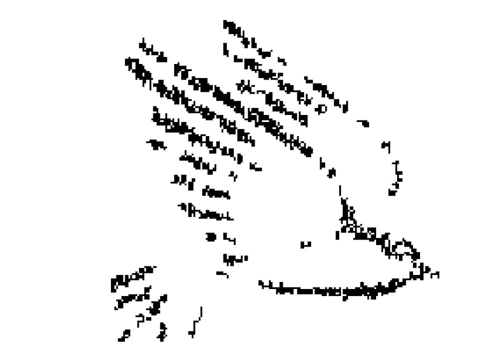
وتوافد الأطباء والممرضات من كل فجّ فى هوائى على مركز إيوا الصحى ليشاهدوا عيادات العناية بالحوامل ورعاية الأطفال والمشتل والحدائق ، وليدرسوا الرسوم البيانية الخاصة بالإحصاء والأغذية . فلما عادوا إلى مزارعهم جعلت روح إيوا تنتشر فى الجزائر انتشاراً سريعاً .

وأنت ترى اليوم ٦٤ مستوصفاً و ٣٤ مستشفى تسدى الخدمة الصحية لأربع وثلاثين مزرعة . وثمة ٣٨ طبيباً و٨٦ ممرضة وقفوا عنايتهم على المزارع ، ويتعاون معهم الأطباء الأحرار ، فيحوطون أهل هذه المزارع برعاية طبية تفوق نظائرها فى معظم الجماعات التى تقطن الريف . ويزور المزارع مرة كل شهر أطباء متخصصون فى أمراض الحلق والعين والأذن والأنف ، فيعالجون العمال الذين أفردهم أطباء المزارع للعلاج . ويزورها أيضاً بانتظام متخصصون فى الأمراض المعدية وأمراض العظام والطب النفسى . ويتنقل بين القرى جهاز للأشعة السينية فى حملة واسعة النطاق لمكافحة السل ، وقد نقص عدد الذين أصيبوا به من عمال المزارع إلى النصف منذ ١٩٣٥ .

وأصحاب المزارع يجنون ربحاً طيباً من المال الذى ينفقونه كل سنة على صحة كل عامل

— وهو ١٧ ريالا . وأصبح التخلف عن العمل لا يزيد على ٥ فى المئـة ، وبلغ عدد العمال الذين لم يكونوا فى حاجة إلى العلاج ٧٥،١ فى المئة فى السنة الماضية ، وبلغ عدد الذين ذهبوا إلى المستشـفى مرة واحدة ٢١،٧ فى المئة ، والذين ذهبوا إليه مرتين ١،٢ فى المئة .

وقد أشرف نلز لارسن على التقاعد بعد حياة زاخرة بالعمل ، بيد أنه يرجو أن يرى قبل أن يتقاعد ، خطة هوائى الصحية قد صارت خطة عامة فى المحيط الهادئ وبلاد الشرق . وما تم له فى حياته مَثَل رائع على مايدخل فى وسع رجل واحد صادق العزيمة أن يفعله . ومنذ عهد قريب اجتمعت جمعية أطباء مزارع السكر وأعلنت للناس : « إن الفضل فى إنشاء أرقى طراز من الرعاية الصحية فى الريف وتنسيق أعماله ، إنما يعود إلى الدكتور نلز لارسن » .



بين النقمة والرحمة

دهب صحفى شاب إلى برناردشو وطلب منه أن يجيب على بعض أسئلة يوجهها إليه ، فرضى شو بذلك مشترطاً أن تكون الأسئلة « معقولة » . فلما اطلع عليها أعدّ ردوده فملأت صحيفتين كاملتين من كتاب ، ثم طلب من الصحفى أن يذكر له قيمة المكافأة عن هذه الأجوبة ، ففوجىء الصحفى بهذا الطلب واعتذر بأنه لا يستطيع أن يعرض عليه مكافأة ما ، فسخط شو سخطاً شديداً وندّد بوقاحة الذين ينتظرون منه أن ينعم على الناس بألف من كلماته الثمينة بغير جزاء . ثم قطب ما بين حاجبيه وسأل الشاب : « كم مرتبك ؟ » فرد الشاب قائلاً : « خمسة جنيهات فى الأسبوع » .

فقال شو : « خمسة جنيهات ؟ ! هذه نذالة . اذهب إلى رئيسك وقل له إن هذا الحديث مباح له بغير جزاء منه ، إذا زاد مرتبك جنيهين فى الأسبوع » . فذهب الصحفى وعاد فى اليوم الثانى فقال إن رئيسه لم يرضَ أن يزيد مرتبه أكثر من جنيه واحد فى الأسبوع . فضحك شو وقال : « زيادة قليلة ، ولكنها خير من لاشىء » وأعطاه الأجوبة .

[صحيفة « هرالدتريبيون »]

صابون جديد « لارغوة له » يجعل الماء أقدر
على إذابة الأقذار ، وييسر عمل أهل البيت .

طريقة جديدة لإزالة القذر

هارلند مانشستر

مختصرة من مجلة "الإعلان والبيع"

في كثير من المطابخ ترى مناشف الصحون معلقة لا تستعمل ، على حين ترى أكواب الزجاج وآنية الخزف تجفّ فإذا هي لامعة ليس عليها أثر من ماء . وتنظر في أحواض الحمّامات فلا تلقى عليها حلقات من بقايا الأوضار ، وهذه بقع القذر على السجاجيد والأثاث والخشب تزول لوقتها ، وكل ذلك بفضل مواد جديدة للتنظيف ، هي « صابون لارغوة له » أو هي « صابون لاصابون فيه » لأنها خالية من الشحوم والزيوت التي تعد أهمّ أجزاء الصابون المألوف.

وهذه المواد التي تزيل الأقذار تكون سوائل ومساحيق وجوامد ، وتحمل أسماء تجارية متعددة . وقد قل الصابون في الحرب، فأتيحت فرصة عظيمة لتجربتها على أيدى ربات البيوت ، وما ثبت من مزاياها يضمن بقاءها ودوام الانتفاع بها .

و « المنظّف » مادة تضيفها كالصابون إلى الماء لكي يعينه على إزالة القذر والزيت . ويتمّ فعل « المنظّف » بقضائه على التنافر بين الماء والقذر الدهنى ، حتى يستطيع الماء أن يذيب القذر ويحتفظ بدقائقه معلقة في الماء ، فيغسل مع الماء الذى ذاب فيه .

و « المنظف » يجعل الماء أقدر على إحداث البلل . وإذا كنت تظن أن للماء قدرة عظيمة على إحداث البلل فاسكب قليلا منه على سطح مصقول وانظر كيف يتجمع الماء قطيرات قطيرات ، لما بين جزيئاته من تماسك عند السطح . ثم أضف قطرات قليلة من مادة « منظفة » ، فلا تلبث حتى ترى الماء قد انتشر غشاء رقيقاً فينفذ إلى أدق الشقوق والثقوب .

وبعض « المنظفات » الجديدة أفضل جداً من الصابون المألوف في غسل المنسوجات الرقيقة المصنوعة من الصوف أو الحرير أو الألياف الصناعية . وهى خالية من المواد القلوية ، ولا تترك في القماش بقية من صابون، وبعضها كفيل بأن يغسل في خمس دقائق مما يستغرق غسله بالصابون ثلث ساعة . وهى لا تترك آثاراً وخطوطاً كما يفعل الصابون ، فتصلح خاصةً لغسل زجاج النوافذ والسيارات وغيرها من السطوح الناعمة اللامعة .

والمنظفات الخالية من الصابون ، خليقة أن تظفر بإقبال الذين يعيشون في أرض

...ؤها عسرٌ في إحداث رغوة الصابون ، فالشحم في الصابون المألوف يتحد بالجير أو المغنسيوم في الماء العسر ، فتتركب أكدار لا تذوب . أما الصابون الجديد الخالي من الصابون ، فيذيب هذه المعادن :

وأول ما نشأت المنظفات الحديثة في الحرب العالميــة الأولى ، يوم بحث الكيميائيون الألمان عن بديل من الصابون بعد أن قلت الشحوم اللازمة لصنعه . فلما وضعت الحرب أوزارها وجدت مصانع النسيج أن هــذه المنظفات خير من الصابون أو القلويات القوية الكاوية ، في كثير من أعمال تنظيف المنسوجات ، فجعلوا ينتفعون بها في بَلِّ القماش حتى يتيسر له أن يمتص الأصباغ امتصاصاً سريعاً متساوياً . أما الناس فلم يسمعوا بذكر المنظفات الجديدة إلا يوم ظهرت في منظفات الشعر التي لا رغوة لها (شامبو) .

بيد أن فئة قليلة من الناس أدركت منافع هذه المركبات الجديدة ، فبحثت مصانع المواد الكيميائية عن أحسن الطرق لعرضها على الجماهير عرضاً رائعاً مشوقاً . وقد وجدوا أنه إذا صُبّ قليل من « المنظف الجديد » في بركة ماء تعوم فيها بطة ، فإن البطة تغرق . ذلك بأن المادة المنظفة تخترق ما يغشى ريش البط من غشاء زيتي يرد الماء عن ريشها ، وكان الزيت يحفظ خلال هذا الريش قدراً من الهواء يكفل للبطة قدرتها على العوم .

وقد عرضت هذه المواد عرضاً باهراً في نيويورك سنة ١٩٣٦ ليلة افتتحت المسرحية التي ألفتها كليربوث لوس ، وكان عنوانها : «النساء» ، وكان من أشخاصها سيدة تجلس في حوض الحمام اثنتي عشرة دقيقة تحيط بها رغوة الصابون ، ولم يكن بدٌّ من أن تظلّ الرغوة ظاهرة طوال تلك الفترة ، فإن لم تفعل هوت الرواية إلى حضيض الإخفاق . وكان الصابون المألوف عاجزاً عن تحقيق ذلك ، فاستعانوا بإحدى هذه المواد فولدت أطباقاً من الفقاقيع الدائمة ، وسرعان ما حسّن « حمام الفقاقيع » وبيع لربات البيوت .

فلما نشبت الحرب العالمية الثانية ، احتاجت القوات المسلحة إلى صابون يصلح للاستعمال في الماء العسر والماء اليَسَر ، والعذب والملح ، والسخن والبارد على السواء ، للغسل والحلاقة وغسل الثياب وتنظيف ملابس الجند وعدتهم من البقع الدهنية — فلم يجدوا سوى المنظفات الجديدة لسد هذه الحاجة ، فمزجت بالصابون حتى تصير قطعــة يسهل الانتفاع بها في جميع هذه الأغراض .

وترى اليــوم مصانع المواد الكيميائية والصابون تروج ترويجاً حثيثاً للانتفاع بهذه المنظفات في ألف غرض وغرض . فشركة تصنع مسحوق « درفت » للغسيل وشامبو

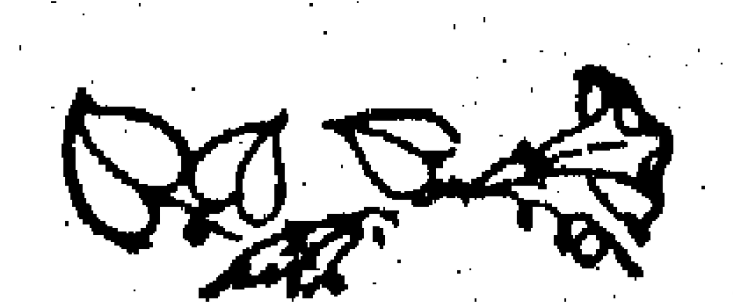
« درين » للشعر ، وشركة أخرى تصنع «ڤل» و «هالو» للغرضين نفسهما . وهذه المستحضرات تصنع من مواد كحولية مشتقة من زيت جوز الهند ، ولكن القليل من هذه الزيوت والشحوم النادرة تنتج مقداراً من المنظفات الجديدة أكبر من مقدار الصابون المألوف ، لو قصر الانتفاع بها على صنعه .

وبعض المنظفات الجديدة مشتق من النفط ، وقد صنعت إحدى شركات الأصباغ الكيمياوية مادة « ناكونول » التي دخلت في صنع قطعة من الصابون انتفع بها رجال الجيش والأسطول في التنظيف ، وهي تصنع مسحوق «سويرل» النافع في أعمال التنظيف في البيت . وينبغي للمستهلكين أن يعلموا أن هذه الضروب من المنظفات غير الصابونية المعروضة للبيع ، ليست جميعاً مما يصلح للأغراض العامة ، ففي بعضها قلويات كاوية ، ونفعها خاصٌّ محدود في أشياء كغسل السطوح المطلية .

وبعض المنظفات المركبة بالأساليب الكيميائية له رغوة كثيفة ناعمة ، وبعضها كمادة « ستيروكس » تنظف بغير رغوة ، فهي لذلك تصلح لتنظيف الآلات التي تعرقل الرغوةُ حركتها الميكانيكية .

وللمنظفات الجديدة منافع طبية ، فقد استعملت في الحرب لغسل وَضَر الزيت عن جراح البحارة إذا ماتعذر الانتفاع بالصابون. ويشير الأطباء على النساء باستعماله إذا كان صابون الغسل القاسي يضرُّ بأيديهن .

إلا أنه لاينتظر أن تحل هذه المنظفات الجديدة محل الصابون ، فهو منظف عامٌّ ميسر ، وأصلح لغسل ثياب القطن من معظم المنظفات الجديدة المعروضة للبيع الآن. وما يصنع منها الآن يبلغ مئة مليون رطل في السنة ، فهو قليل إذا قيس بملايين الأرطال من الصابون المألوف . بيد أن مصانع المنظفات الجديدة بدأت تتسع ، وستضاعف ما تصنعه منها خلال سنة . وهذه المنظفات لم تكد تبدأ حياتها ، فرجال العلم والكيمياء يعرفون ألفي مادة كيميائية منظفة ، وهم مجدون اليوم في بحثهم عن مواد أحسن وأرخص لإزالة القذر .



لا تتزوج طمعاً في المال ، فاقتراضه أهون . [مثل أسكتلندي]

فنان الحياة

آن مورو لندبرج

عرفته سنة وأكثر قليلا ، وإن كنت قد سمعت به قبل ذلك بزمن طويل . وقد انطلق إدوارد شلدون في الحياة وهو شاب كالشهاب في سرعته، فبدأ حياته في نهاية القرن الماضي محبوًّا بكل ما يقدره العالم ويعتز به : حسن الهيئة ، والعقل ، والمواهب ، والمكانة ، وألف رواية مسرحية أحرزت نجاحاً باهراً وهو لايزال طالباً في جامعة هارفرد . وقبل أن يبلغ الثلاثين تجلت عبقريته في سلسلة من الروايات قد تعدّ اليوم قديمة ، ولكنها حين مثلت ، راعت ، وأدهشت ، وسحرت جمهور المسارح .

وقد كان يبدو أنه مقسوم له أن يكون ذا مستقبل باهر حين أصيب في أخريات العقد الثالث من عمره بضرب من النقرس أليم لا ينفك يتفاقم ، فظلع أولا ثم أقعد ، وصار يحمل على كرسي ذي عجلتين ، وأخيراً تخشّب وأصبح رَهْن المحبس في فراشه بقية عمره. وكأنما لم يكن هذا البلاء فوق ما تحتمله طاقة إنسان واحد ، فكفّ بصره أيضاً في أخريات العقد الرابع من عمره .

فلم يبق لإدوارد شلدون الآن سوى أذنيه يتلقى بهما شيئا من أنباء دنيا الناس، وإلا صوته الذي يصل ما بينهما . وفي أخريات حياته حين رأيته لأول مرة كان هناك خطر من أن يفقد هذا السبب الأخير من الاتصال ، لأن جهاز التنفس أصيب بعلة جعلت من العسير عليه أن يكون صوته فوق الهمس . وقد كان أصدقاؤه يدعون الله أن لا يفقد صوته أيضاً قبل مماته، ولكن إدوارد شلدون كان قد وطّن نفسه على مواجهة هذا الاحتمال ، فقد تهيأ لتعلم رموز مورس ولاستخدام ما بقي له من القدرة في السيطرة على إحدى ذراعيه ، لكي يعبر عما في نفسه بعلامات وإشارات برقية . ومن حسن الحظ أنه لم تكتب عليه هذه المحنة الأخيرة ، فظل إلى النهاية يتكلم بصوت ضعيف بعض الشيء .

وكان يرقد على فراشه بلا حراك في غرفة بنيويورك ، فيسمع قدراً هائلاً من كتب الأدب يُقرأ عليه ، ومن الصحف اليومية أيضاً من كل لون سياسي . وكان يستقبل أصدقاءه، وكثيرون منهم مشهورون في عالم

المسرح الذى نفض يده منه ، فكان يلقى بنفسه فى عباب حياتهم وتآليفهم ومشاكلهم. وكان المؤلفون يقرأون عليه رواياتهم ، والممثلون يباحثونه فى أدوارهم ، فينقد وينقح روايات غيره ، ويعاون فى تأليفها ، وقلما كان ينال جانباً من الفضل فى الجهد الجسيم الذى يقوم به وهكذا توهجت مطامحه التى جعلت سيرته شعلة ساطعة ، وفاضت على حياة أصدقائه فأضاءتها.

وأتذكر أنى كنت ذات يوم راقدة على سريرى فى المستشفى بعد الوضع ، وكنا فى زمن الخريف والشمس تتدفق على الغرفة من النافذة ، بيد أن أوراق الشجر التى مسها الصقيع فى الليل كانت صفراء ساكنة على أغصانها فى ذلك الجوّ الذهبى المتوهج . فدخلت علىّ الممرضة ببرقية من إدوارد شلدون يقول فيها: « هذا صباح جميل، وأنا واثق أنك أنت وابنتك سعيدتان » .

فأفعمت نفسى سروراً بما كان من مشاطرته إياى فى إحساسى هذه المشاطرة السحرية الخاطفة .

ثم خطر لى فجأة ، وقد صدمنى الخاطر حتى كدت أبكى : « ولكن كيف يعرف أن الصباح جميل ؟ إن الرجل الذى بعث بهذه البرقية أعمى لم يبصر شجرة منذ عشرين عاماً » .

وأنا أتذكر كل التذكر أول مرة رأيته فيها ، وكنت أشعر بشىء من التهيب وأنا فى المصعد إلى مسكنه ، وأسأل نفسى فى اضطراب : أترى سيفتح الله علىّ بالكلام المناسب ؟ وكيف أقدر أن أكلم رجلا كهذا ؟ وقابلتنى ممرضة ، وقادتنى إلى غرفة طويلة تؤدى إلى السطح وعلى جانبيها النوافذ وفى ناحية الغرفة — قبالة النافذتين — منضدة عظيمة ، عليها أكداس من الكتب ترتفع إلى سبع أقدام أو ثمان — كتب جديدة كان « يقرأها » وفى آخر الغرفة سرير عال أشبه بالنعش ، فوقه مظلة كالتى تكون فوق العرش . وكان الرجل الراقد تحت هذه المظلة المصنوعة من المخمل ، قد تغطى بشملة فارسية مطرزة تطريزاً دقيقا بألوان مختلفة من الأحمر والبنى ، ولم يكن يبدو منه سوى رأسه وكتفيه ، وكان فى ثياب مونقة ، كأنما رقد ليستريح بضع دقائق ليس إلا ، وكانت عيناه معصوبتين ، فحيانى حين دخلت بهمسة خافتة .

ومضت بى الممرضة إلى الكرسى المريح والمنضدة الصغيرة الموضوعة إلى جانب السرير ، حيث كان الشاى أو الغداء يقدم دائماً لضيوفه وإن كان هو لا يشاركهم فيه . على أن إدوارد شلدون بادرنى قبل أن أجلس بكلمات أنست إليها نفسى فأعانتنى

على تخطى تلك الهوة من التهيب التى تفصل بين اثنين يلتقيان لأول مرة .

ثم قال مشـيراً إلى كتاب لى قرأه : « خبريني يا مسز لندبرج : هل استطعت أن تظفرى بتلك الكسرة من الخبز الفرنسى وتلك القطعة من الجبن اللتين كنت تفكرين فيهما وأنت طائرة فوق جبال الألب ؟ »

فضحكت ، فقد مدّ إلىّ سبباً من المودّة كان لا غنى عنه حتى اجتزت تلك الهوة التى بيننا . وظللنا نتحدث طول فترة العصر .

والمرء كما قلت ، يزوره متهيّباً أول مرة لما سمعه عنه، أو لأنه سئل أن يذهب إليه ، أو لأنه يزوره من باب العطف ، ولكنه بعد ذلك يزوره من أجل نفسه ليقضى حاجة فى قلبه ، ويكلمه كما يكلم صديقاً قديماً فى كل موضوع : فى الحياة وفى الأدب ، والسياسة أو الأخلاق ، أى لكى يعرف كيف يحيي حياة صالحة . وفى إحـدى المرات دارت بيننا مناقشة طويلة أوحت بها عبارة بسكال عن الرجال « أهل الاعتدال » ، فتشابهنا فى العطف على الرجل الذى يقف فى « الوسط » : ذلك الرجل المعتدل الذى لا ينظم فى سلك هذه الطائفة المتطرفة أو تلك ، والذى لا يعنف قط فى حكمه أو يسرف فى مدحه ، ويتواضع فى تقدير رأيه ، ولا يحكم على الدنيا ولا على معظم زملائه الآدميين ، بالحسن المحض أو بالقبح المحض ، بل بين بين . فاجترأت على القول بأن الموقف المثالى فى تقدير الإنسان الناقد هو « الحكم بالحسن المحض أو القبح المحض فيما يتعلق به هو نفسه ، وبالتوسط بينهما فيما يتعلق ببقية العالم » .

فقال شلدون مصححاً بسرعة : « كلا ، بل يجب أن تتوسطى بين الحسن والقبح فيما يتعلق بنفسك أيضاً ــ يجب أن تتسامحى مع نفسك كذلك . وهذا أصعب شىء » .

وكان سخياً جداً بالنصـيحة والتشجيع والحثّ والنقد . على أنه كان يسمح لك أن تبذل له أيضاً مما عندك (وهذا أحذق ضرب من الجود) ، وكان يعرف كيف يتلقى ما تبذله بسماحة تجعل المنحة أثمن . وكان من أبعث الأشياء على السرور أن تحمل إليه شيئاً ــ كتباً وجدتها ، أو قطعاً من الشعر ، أو نبذاً من الفلسفة ، أو كتاباً عن صوفى من القرن السابع عشر ، أو ديوان شعر حديث ، أو آراء فى الحياة أبداها جندى قابله المرء فى القطار ، أو ما سمعه من طفل فى سيارة مدرسية . وكان يتلقى كل هـذا بشغف ولهفة ، وكان ترحيبه الصادق يفيض جمالا على كل ما يحمل المرء إليه ، وما أكثر ما يلقى المرء نقيض هذا من الناس ، ويرى كيف تذْوى الهبات تحت عين متلقّيها الفاحصة . والمرء أشبه بطفل يكرّ راجعاً عن الشاطىء بجوهرة

وقع عليها عند انحسار المدّ ، فإذا بها تنقلب حجراً في كف من تُهْدَى إليه . أما إدوارد شلدون فكل شيء تهديه إليه كان يكتسب جمالا من حسن تقديره . فإذا نظرت من خلال هذه الأعماق الصافية ، فإن أصداف البحر تصبح لآلىء ، والحجارة تبدو كالجواهر .

كلا ، ما كان ينبغي أن يقلقني أنه ليس عندي ما أقوله لهذا الرجل . وقد كان المرء دائماً يتكلم معه أكثر مما ينبغي ، ويمكث عنده أكثر مما يجب ، ثم كان ينصرف وقد نشطت نفسه وانتعشت ، وانكشفت لعقله مئة طريق جديدة ، مع اليقين الهادىء بأن في الوقت متسعاً عظيماً للسير فيها جميعاً . وكانت الدنيا تنفتح أبوابها من جدران غرفته الأربعة القائمة كالسدود .

ولم يكن قط يذكر عجزه أو يشير إليه أية إشارة ، وكان شديد الحرص على أن يبث في الأذهان ويقرر فيها أنه كأي إنسان آخر . وكان السحر الذي يفيضه على حجرة نومه من القوة بحيث تكف عن التفكير في أنه مريض مُثْبَت . وكان يخيل إليك — كما قال صبي صغير بعد أن زاره لأول مرة — إنه « أمير تحيط به هالة من السحر » . وكان يتكلم عن « قراءة » الكتب « ورؤية » الناس بكلام من قرأ ومن رأى ، وهو شيء مستحيل عليه مادياً . ولكنه لم يكن يتكلم هكذا عن غرور ، بل ليعفي أصدقاءه في اعتقادي من الشعور الملحّ بما يعاني من المصاعب . وكان مثل هذا الشعور خليقاً أن يكون حجازاً بينه وبينهم — أو جسراً . وكلاهما كان حقيقاً أن يكون بغيضاً إليه ، وكان قميناً أن يمقت الظن بأن الناس يزورونه من أجل آفته أو برغم آفته ، وما كان أحد من الناس يفعل ذلك .

ولو أنك سألتهم لماذا يزورونه ، وما هي القوة الدافعة التي تجتذبهم إليه ، لقال كثيرون منهم فيما أعتقد ما معناه : « إنه يفهمني . وليس ثمّ من يفهمني مثله » . وهذا صحيح ، ففي كل شيء في متناول إدراكه كانت له قوى لطيفة . ولم يقتصر الأمر على أنه أحدّ سمعه وأرهفه إلى درجة نادرة (فكثيراً ما كان يعرف طول قامة الزائر من الارتفاع الذي ينحدر منه صوته) ، بل كان يبدو كأنه أنمى مدارك أخرى لا يعرفها الإنسان العادي المواهب . وما تكاد تدخل عليه حتى يدرك ظاهر أمرك وباطنه ، وكان يراك كلاً كاملا ، وتشعر وأنت عنده أنك كلٌّ كامل . وقد تحققت له كلمة فيدروس الروماني : « لقد اتفق ظاهر الإنسان وباطنه »

وليس معنى هذا أنه لم يكن يعبأ بالظاهر ، كلاّ ، فإنه لم يكن يستخف بالعالم المادي ، وكان

يدرك ما فيه من مفاتن وجمال، وكان يغتبط بما يسمع من أوصاف فصوله المتغـــيرة ، فـكان شديد الحفاوة بأنباء الزهر والنبات وتغير ألوانه ونوّاره فى زمن الخريف أو الشتاء أو الربيع . وقد كتبت إليه مرة رسالة أصف فيها يوماً من أيام الربيع فى الريف، فأبرق إلىّ يقول : « يسرّنى أنك تستطيعين أن ترقدى فى ظل شجرة » !

وإذا كان قد استطاع أن يحتفظ بشعوره بجمال العالم الذى يحيط به ، فإنه لم يغفل عما فيه من قبح وتعقيد ومتاعب . وإذا ذهب إليه المرء ببعض مشاكله وحـدثه بها أو لم يحدثه ، فإنه ينصرف عنه وقد حُلّ أكثرها أو على الأصح تحللت فى حضرته . فما كان من الضرورى دائماً أن تذكرها ، وكان الأرجح أن تنزل هـذه المشاكل بين يديه إلى منزلتها الحقيقية . وقد يبدد متاعبك الكاذبة بإحـدى دعاباته القارصـة ، أما المشاكل والمتاعب الحقيقية ، فإنه ما كان يقلل من شأنها قط، وإن كانت دون ما يعانيه هو بمراحل . وكان لدقة إدراكه يتبين موضع الألم فى نفسك ، ثم كأنه يجسه جسّ الطبيب ويقول لك : « هنا موضع الألم » ثم يصف العلاج بحكمة وإحكام . وكان يستطيع أن يكون صارماً أيضاً فى نصحه ، فكان يقول لى أحياناً : « هذا فعل ضميرك التزمتّ مرة أخرى ! إن الضمير شىء حسن إذا كان يحفزك إلى العمل ، ولكنه فظيع إذا صرفك عن عملك الحقيقى . وهو كالقلق ، والقلق شىء بديع إذا حرّك النفس ودفعها إلى عمل شىء ، ولكنه إذا لم يفعل ذلك ، أكل النفس أكلاً . ولقد كانت حماسة المتشددين فى الدين هى أروع صفاتهم » .

كلا ، لقد كان يرى ظاهر الرجل العامل فى مظاهر نشاطه .

وقد قال بعضهم مرة : « ولكنه يرانا أجمل مما نحن جداً . ولنفرض أن عينيه فتحتا فأبصرنا كما نحن — أما كان خليقاً أن يخيب ظنه ؟ »

ولست أعتقد هذا ، فقد كان قادراً على أن يرى الإنسان الباطن من خلال الإنسان الظاهر ، وكان فهمه للإنسان الباطن هو آية الآيات، وهو مبعث الشكران له ، وكما قال سانت أكسوبرى فى أحد كتبه : « العين عمياء، فالمرء لا يستطيع أن يبصر إلا بالقلب ». وكان إدوارد شلدون يبصر بقلبه ، وكان يرى الناس بعين الحب ، حتى أولئك الذين هو بهم حديث عهد مثلى. فكان لهذا يراهم لا كما هم فحسب، بل كما يحاولون أن يكونوا، وكما أريد لهم أن يكونوا أيضاً ، فصار عند الكثيرين ذا رأى مؤثر فى حياتهم .

وصاحب الرأى المؤثر يعكس لك حياتك كما تعكسها المرآة . نعم ، ولكنها حياتك كما تبدو وهى فى نظام واتساق ، بل فى جمال . وهو بهذه القدرة يبلغ منزلة الفنان المبدع ، ويؤدى وظيفة الفنان كما حللها الشاعر أو دين ، فيهتدى « إلى النظام الكامن فى الفوضى الظاهرة » فى حياتك ، ويكشف عن الجمال الموجود وإن كان غير مرئى . وليس هذا من الخداع ، ولكنه من الاهتداء والكشف ، وهو أيضاً عمل من أعمال الإبداع . وقد اضطر أن ينفض يده من الإبداع الفنى فى أشخاص المسرحيات ، فصار يفعل ذلك بالأحياء . والعمل البديع الذى خلفه وراءه وكان المسرح أداته وواسطته ، تمّ واكتمل حين اتخذ الحياة نفسها أداته .

وفى آخر مرة زرته فيها ، قرأت له من كتاب « المقطوعات الأربع » للشاعر ت . س . إليوت ، وما زلت أسمع همسته الضعيفة : « اقرئى هذا مرة ثانية » ، وأظن أنى قرأت قصيدة إليوت « إيست كوكر » ثلاث مرات ، وهى تدور حول الأبد والحياة الأبدية .

وفى هذا الجو تركته واعدة كعادتى بأن أعود إليه قريباً ، ولكنه لم يقدر لى أن أراه مرة أخرى .

والذين عرفوه — حتى أنا التى لم تعرفه إلا فترة وجيزة — خامرتهم عواطف شتى حين سمعوا بموته الهادىء المفاجىء . فكان هناك أولا ذلك الألم الطبيعى الذى يستبدّ بالمرء حين يفقد صديقاً ورفيقاً مثله (فقد أصبح حتما علينا منذ اليوم أن نقوم مقامه فنتولى بأنفسنا تجديد أنفسنا) . ثم أخذنا العجب لشخصية رجل عرفناه ، فلما استأثر الله به أضاءت صورته وتجلّت كأبين ما تكون . ثم غزانا الشعور بما ألقى على كواهلنا من تبعة معرفة مثل هذا الرجل — أما التبعة العامة فأنْ نعرِّف الناس به ، وأن ندْخِل كل من نستطيع من الناس فى الجو الذى كان يحيي فيه . وأما التبعة الخاصة فهى أشقهما ، لأنها تقتضى كل من عرفه أن يظل يعيش فى جو تلك الغرفة التى عاش هو فيها ، وهذا معناه أن نحيي فى ذلك الجو الذى لا يعرف زمناً ، والذى كان شلدون يخلقه حوله . وذلك يتطلب ما يكاد يكون مستحيلاً : أى أن يعيش المرء منا فى اللحظة العابرة وكأنها الأبد .

أما شلدن نفسه فما يساورنا شك فى أنه كاد يجعل اللحظة العابرة فى حياته كأنها الأبد . لقد فنى الجسد وبقيت الروح ، وحقق شلدون كلمة الشاعر إليوت :

« موتى هو بدء حياتى »

أتفهم طبيعة ولدك ؟

جريس آدمز

مختصرة من مجلة "سكريبنر"

الطفل من أوساط الأطفال مخلوق أنه تستبدُّ به الأثرة ، عنيدٌ ، نسّاءٌ ، قاس ، لا يخضع لمنطق ، وهو أيضاً كريه الدعابة فاسد الذوق. والطفل العادى يكون هو ما هو ، لا لأنهم أساءوا تربيته ، أو قمعوا مواهبهُ وشعورهُ بيد من حديد ، بل لأنه طفلٌ عادىٌّ وحسب. وقد يبلغ من مشابهة معظمنا لهُ مبلغاً لا يسرّنا أن نقره أو نعترف به . ولولا التجارب التى غيرتنا على مرّ السنين لكنا أدنى شبهاً إليه . فحماية الطفل فى سنواته الأولى ، وتنحيته عن التجارب التى تصهره وتؤدبه ، إنما تمدُّ زمن خصائص الطفولة حتى يتجاوز الحد الطبيعى الذى تبدأ عندهُ فى التبدُّل إلى أن تصير خصائص أشدّ مطابقة لحياة الكبار .

بيد أن الطفل العادىّ متصف بفضائل توازى خصائصه الأخرى ، وإحداها أنهُ أقدر مخلوق حىٍّ على التعلم . ومن أقوى الدوافع المحرّكة له رغبتهُ فى محاكاة الكبار. فالمسألة التى ينبغى لنا أن نفصل فيها هى : من خير معلم للطفل — أهى التجارب الطارئة عليه والبيئة التى يعيش فيها وأصحابه من الأطفال ذوى الأفكار المبلبلة، أم الكبار من أهل الحكمة وذوى السلطان ؟

ولو سُئل الطفل نفسه لما ساورنى شك فى أنهُ يجيب بأنه يؤثر الكبار . أما الكبار الذين لهم عندهُ أعلى منزلة ، فهم أهل الثقة والحزم الشاعرين بقدرتهم وسلطانهم فى هذا العالم — الشرطى والمدرّسة الصارمة، والأب الحازم المغيظ . يدلك على ذلك ما تتبينه حين ترى صغاراً مستغرقين فى ألعاب المحاكاة التى يؤثرونها . فطبيعة الطفل الصادقة تتوق إلى أن يحفّ بها كبارٌ من أهل القوة والسلطان. وأنت إذا بحثت عن رغبة أصيلة يستوى فيها جميع الصغار وجدت أنها الرغبة فى الشعور بالاستقرار والأمان .

ومن التجارب التى تحمل كل طفل عادىّ على أن يرتعد ويصيح خوفاً ، شعورهُ بأنه فى خطر — كأن يسقط ، أو أن تحمله يدان ضعيفتان فيحسُّ بضعفهما عن حمله ،

ظلت جريس أدمز مساعدة لطبيب نفسى سبع سنوات وتخصصت فى حل معضلات الصغار من أبناء الأغنياء، وقد ألفت كتاب: « علم النفس أهو علم أم خرافة » .

فإذا ما شبّ الصغار رأيتهم يستشعرون الخوف نفسهُ حين يجدون أنفسهم وحدهم بغير معين في بيئة لم يألفوها. أو بين جماعة من الأغراب، والطفل يستشعر مثل هذا الكرب إذا ألفى نفسه بغير عوْن عقلي أو أدبي، كأن يواجه حالة لا يُجديه في علاجها ما تعلمه من قواعد أو ما تعوّدهُ من عادات.

والأطفال يتشبثون أشد التشبث بما ألفوه. فالطفل الذي ألف قصة تروى لهُ على نحو بعينه يثور على راويها، إذا ما انحرف عن الرواية التي ألِفها بمقدار كلمة واحدة. فإذا ما شبّ وصار قادراً أن يلعب مع لِداته، تراهُ يأبى عليهم إلا أن يتبعوا كلّ قاعدة من قواعد اللعب مهما كانت سخيفة. وفي وسعك أن تحمله على أن يعمل عملا بغيضاً إليه، وأن يستشعر اللذة في عمله، إذا خلعت على العمل ثوب الفخامة والتعقيد.

وليس بغريب أن ترى طفلا يسألك أغرب الأسئلة، بيد أنه يسألك هذه الأسئلة العجيبة، لا لأنه ظامئ إلى معرفة كلّ جديد، بل لأنه يودّ أن تؤيد ما يراهُ بعينيه أو يسمعه بأذنيه. فإذا ما سأل: «لماذا كانت المباني عالية»؟ أو: «لماذا كان الثلج بارداً» أو: «لماذا كان الليل مظلماً دائماً» — فهو لا يفعل ذلك لأنه يريد تعليلا علمياً معقولا، ولا هو يستزيدك حقائق عنها لا يعرفها، ولكنهُ على الأكثر يتوسل إليك أن تجعله يطمئنّ إلى أن ما لاحظه بنفسه صدقٌ وحقٌّ. وحقيقة الأمر أنه إنما يقصد بهذه الأسئلة ما يلي: «أنا أرى هذه المباني عالية، أفلا تراها أنت كذلك؟» و «هل يبلغ الثلج دائماً هذا المبلغ من شدّة البرد؟» و «حقاً إن السماء تظلم كلّ ليلة، أليس ذلك كذلك؟». وأبعث الأجوبة على رضاه، كما تعلم المربيات والأمهات، هو أن تقول له: «لأنها كذلك. إن المباني عالية لأنها عالية»، وهكذا. فهذا الجواب خليق أن يعزّز شعوره بالطمأنينة العقلية، لأنه يشعره بالثقة بأن ما يراهُ من رأى في هذا العالم مطابق لآراء الكبار الذين هم أعلم منهُ وأحكم.

والطفل مخلوق صغير تحيره الدنيا فيجدّ في سعيه إلى استكشاف كنهها، وكيف ينبغي له أن يكون موقفه حيالها، فهو أقلّ شغفاً بالحرية منهُ بالطمأنينة. وقليل من أطفالنا اليوم من تراهُ معرضاً لخطر القمع الشديد القاسي. والآباء الذين قرأوا عن عُقد النفس وخطر القمع، حتى صاروا يخشون أن يؤدبوا أطفالهم ويخضعوهم للنظام، إنما يسلبون الطفل شيئاً هو عنده أهم من الحرية وأنفس — إنهم يسلبونهُ شعور الطمأنينة الذي ينالهُ من اعتقاده أنه يعرف كيف يواجه كلّ حالة تطرأ عليه، وكيف يلبس لها لبوسها.

آلافٌ مؤلَّفة مِن الأسرار

س . لستر ووكر

مختصرة من مجلة " هاربرز "

كتب أحدهم منذ عهد قريب إلى قيادة سلاح الطيران الأمريكى يقول إنه علم أن أمريكا قد ظفرت بمجموعة من الأسرار الحربية الألمانية ، وأن طائفة كبيرة منها معروضة للبيع ، وطلب أن يرسلوا إليه كل ما عندهم عن المحرّكات النفاثة الألمانية . فردَّ عليه قسم وثائق الطيران فى القيادة : يؤسفنا أن نرد طلبك ــ فزنة هذه الوثائق تبلغ خمسين طنًّا .

وهذه الأطنان الخمسون ليست سوى جزءٍ يسير من الأخبار التى جمعت فبلغت مبلغاً ضخماً . وأنت ترى المختصين يفرزون مواد تزن عشرات الألوف من الأطنان ، تكاد تشمل جميع أسرار ألمانيا النازية فى العلم والصناعة والحرب ، وهذه الأطنان تضم مليوناً من الأشياء التى تنبغى دراستها .

فى سنة ١٩٤٤ أنشأ المجلس المشترك لرؤساء أركان الحرب طائفة من الجماعات المدنية العسكرية لتسير فى أثر الجيوش الغازية، فتدخل ألمانيا وتجمع الحقائق الجوهرية للانتفاع بها فى حرب اليابان فى أول فرصة . وقد تمَّ على أيدى هذه الجماعات آيات عجيبة من الذكاء والجلد . وقد سمعت جماعة مؤلفة من رجلين إشاعة مؤداها أن الوثائق التى عهد إليها أن تجدها قد تكون مخبأة فى جبل ، فراد الرجلان تلك المنطقة بسيارة جيب ، فعثرا ذات يوم على درب فى غابة وقد علق على مدخله إنذار وتحذير من الألغام ، فلم يثنهما ذلك عن اقتحام الطريق شبراً شبراً ، فمرّا بسلام . ثم وجدا عند مدخل مخبأ مبنى بالآبرق فى سفح أكمة ، إنذاراً آخر : « فتح المخبأ يحدث انفجاراً » .

فى وسع من يريد أن يظفر الآن بهذه الأسرار الحربية النازية لقاء بضعة ريالات . والانتفاع بها يوفر سنوات من عناء البحث فى شئون الصناعة والحرب .

ويقول أحدهما : « فاقترعنا بقطعة من النقد على من يتولى فتحه ، فربط الخاسر حبل السيارة بباب المخبأ وحبس أنفاسه وداس على كباس البنزين » .

فنزع الباب من مفاصله ولكن لم يحدث انفجار ، فوجدا ملفات الأسرار فى المخبأ .

وقد أودع المكتب الألماني لوثائق المخترعات بعض المخترعات السرية المسجلة في جوف منجم في هيرنجن عمقه ١٦٠٠ قدم، ثم كدس عليها أسطوانات ممتلئة بالأكسجين السائل. فلما وجدت هذه الوثائق لم تكن قراءتها متعذرة، ولكنها كانت بالية يخشى عليها من التفتت ساعة يخرجونها من جوف المنجم إلى سطح الأرض. فأنزلوا إلى القرار جماعة ليصوروا هذه الوثائق حيث هي على فلم دقيق.

وقد أخذ بعض الوثائق من كهف همار الخاص في جبل في هالين، ومع أن جانب الجبل كان قد نسف فوق مدخل الكهف فانهال صخره وترابه عليه، فقد عثر عليه الباحثون.

ولا يزال هذا البحث جاريا في أوربة على قدم وساق، وتتولاه جماعة عددها أربعمئة أو خمسمئة نفس. فترى في مدينة هوخست مئة من الذين يختصرون فحوى الوثائق، يسعون سعياً شديداً حتى يظلوا سابقين لأربعين آلة من آلات التصوير التي تصور كل شهر ما يزيد على ١٠٠,٠٠٠ قدم من الفلم الدقيق.

ومن الأسرار التي وقفوا عليها، جهاز للأشعة تحت الحمراء صنعه الألمان للرؤية في الليل، والمولد الكهربائي الصغير الذي يدير ذلك الجهاز. فكان في وسع قواد السيارات الألمانية أن يطلقوا العنان لسياراتهم في الظلام الدامس، وأن يروا الأجسام التي تبعد عنهم مئتي متر كأنهم في رائعة النهار. وأما الدبابات المزودة بهذه الأجهزة فكانت تتبين الأهداف على بعد ميلين، فإذا استعمل القناص الألماني أحدها لكشف العدو، وزوده بمولد كهربائي يرفع قوة التيار الذي يسري في مصباح كشاف مألوف، استطاع أن يُردي عدوه في سواد الليل البهيم. وقد قال لي مرشدي: «وقد انتفع الأمريكيون بهذا السر في معركة جزيرة أوكيناوى، فذهل اليابانيون».

وقد كشفت آلة لنسج الريون (الحرير الصناعي) تزيد الإنتاج ١٥٠ في المئة بالقياس إلى سعة الأرض التي ركبت عليها آلات النسج، وأما المنسج فيصنع جوارب لا تنسل. وثمة اكتشاف آخر هو أن تموّج ألياف الريون بإضافة بروتين السمك إليها، فتصير كالصوف مظهراً ودفئاً ومقاومة للبلى.

ولعل أعظم طائفة من أسرار الصناعة كان ما وجدوه في الشركة الألمانية العظيمة «إ. ج. فاربن إندسترى» وهي شركة لا يقتصر ما تصنعه على المواد الكيميائية والعقاقير والأصباغ وحسب، بل تصنع أيضاً منتجات فلزية، وتصنع المطاط الصناعي واللدائن. وقد قال أحد الأمريكيين من المشتغلين بصناعة الأصباغ: «إن هذه الأسرار تشتمل على

تركيب خمسين ألف صبغ أو أكثر، وعلى أساليب صنعها . وكثير من هذه الأصباغ أجود وأثبت من أصباغنا ، وألوان طائفة كبيرة منها مما عجزنا نحن عن صنعه من قبل » .

إن تعقيم اللبن بالأشعة فوق البنفسجية قد منى بالإخفاق فى غير ألمانيا من بلاد الله، أما الألمان فقد اهتدوا إلى الوسيلة لتحقيقه باستعمال أنابيب مضيئة عظيمة الطول ، وإلى تعزيزه بڤيتامين « د » فى الوقت نفسه . وقد تم لهم أيضاً ما كان يعد مُنية كل رجل يصنع الزبد : آلة تصنع الزبد صنعاً مستمراً. واستحدثوا طرقاً جديدة لحفظ الطعام وتبريده ، وبلغوا فى إتقانها مبلغاً مكن الغواصات من أن ترحل من ألمانيا إلى المحيط الهادى وتقيم فيه شهرين تعمل ماتعمل ثم تعود إلى ألمانيا دون أن تحتاج إلى التزوّد بالطعام . خذ مثلا على ذلك رغيفاً من الخبز الطازج خرج لساعته من الفرن ، فغُمس فى مادة من اللدائن ، ثم جفف ثم غمس ثانية ، ثم سخن نصف ساعة على حرارة ١٤٠ سنتجراد — فلو فضضت غلافه بعد ثمانية أشهر لوجدته صالحاً للأكل .

وقد قال أحد أطباء الجيش الأمريكى : « من الأسرار فى هذه المجموعة التى انتزعت من الألمان ،مايعدُّه الطب الأمريكى مراحل انقلاب — كالأسلوب فى الألمانى علاج الذين يتعرضون للبرد زمناً طويلاً ، وهذا التعرض مميتٌ فى الغالب » .

فى أثناء البحث الذى أفضى إلى هذا الاكتشاف ، أميط اللثام عن أن المجربين النازيين عرّضوا للبرد سبعة من معتقلى داخاو حتى جمدوا فماتوا ، ولكن هذا الأسلوب الألمانى غيّر معظم الآراء الطبية فى هذا الموضوع . ففى كل تجربة كللت بالنجاح من هذه التجارب المخيفة ، كان الرجل الذى يجمده البرد يغمس على الفور فى ماء ساخن . وهذه هى الطريقة التى أخذ بها الطب اليوم بوجه عام .

وقد كشف أهل البحث الطبى من الألمان طريقة لصنع بلاسمة الدم بالتركيب الكيميائى للتجارة ، وهى كفيلة بأن تبقى على الإنسان رَمَقه حتى يسعف بالعلاج فى مستشفى . وقد وفق الألمان دون غيرهم إلى صنع مقادير كبيرة من الأدرينيكروم (وهو نتيجة أكسدة الأدرينالين) فانتفعوا به انتفاعاً موفقاً فى مكافحة ضغط الدم العالى .

وليس ثمة ماهو أعظم أثراً فى المستقبل من الأسرار التى كشفها الألمان عن قوة القذائف الصاروخية والقذائف الموجّهة . وقد صرح خبراء سلاح الطيران الأمريكى

بأن النازى كانوا فى ذلك الميدان سابقين لأمريكا بعشر سنوات .

فيوم انتهت الحرب كان عند الألمان ١٣٨ ضرباً من القذائف الموجّهة تصنع فى المصانع أو تدرس فى معامل البحث ، وهى تنتفع بكل وسيلة معروفة من وسائل السيطرة عن بعد والتفجير عن بعد. فقذيفتهم المرقومة «ا ــ ٤ صاروخ» كانت فى طريقها إلى الإنتاج الوافر يوم وضعت الحرب أوزارها ، وكانت زنتها ٢٤ ألف رطل ، وتقطع ٢٣٠ ميلا ، وترتفع ٦٠ ميلا فى الفضاء ويبلغ أقصى سرعتها ٣٧٣٥ ميلا فى الساعة ، وكانت تسدّد بالراديو ، أو تستعين بأجهزة من نوع الدوّامة (جيرسكوب) فتسدّد نفسها إلى الهدف . ولما كانت سرعتها أعظم من سرعة الصوت ، فما كان أحد يسمع صوتها قبل أن تنقضّ. أما «الصاروخ ا ــ ٩» الذى كان فى دور الإعداد ، فكان أضخم منها ــ زنته ٢٩ ألف رطل ــ وكان مداه ٣٠٠٠ ميل وكانت سرعته التى لا تصدق ٥٨٧٠ ميلا فى الساعة .

وقد بدأ الألمان يصنعون قاذفة بعيدة المدى تحركها الصواريخ ، ولكنهم لم يتمّوها لأن الحرب انتهت بأسرع مما كانوا يتوقعون. ولو تم صنع هذه القاذفة لكانت قادرة أن تطير من ألمانيا إلى نيويورك فى أربعين دقيقة ! وقد صممت ليقودها طيار جالس فى حجرة يماثل ضغط الهواء فيها ضغط الهواء قرب سطح الأرض ، ولتركب متن الهواء على ١٥٤ ميلا فوق سطح البحر . وكان الألمان يأملون أن يدمّروا أية مدينة على سطح الأرض فى بضعة أيام متى تمّ لهم صنع مئةٍ من هذه القاذفات .

لم تكد تنقضى عشرة أيام على تسليم اليابان حتى أمر الرئيس ترومان بأن تنشر الأسرار الحربية التى انتزعت من الألمان ، وأن تنشر أيضاً الأسرار الحربية الأمريكية العلمية والصناعية التى فى يد مجالس الحرب الأمريكية اللهم إلا القليل منها . وسوف يستغرق إعداد هذه المواد للانتفاع العام بها سنوات كثيرة . وقد عمد مكتب الخدمات الفنية إلى نشر بيان أسبوعى يدل على ما صار متاحاً منها ، ويمكن الظفر بهذا البيان مقابل اشتراك معين.

وقد بلغ الطلب من رجال العلم والهندسة والصناعة والتجارة مبلغاً عظيماً ، ومعدل ما يطلب كل يوم بلغ ألف مادة . فشركة بندكس تطلب اختراعاً لتغيير الأسطوانات ، ومطاحن بلزبرى تطلب أساليب الألمان فى إنتاج الدقيق والخبز ، وشركة كندل تطلب المركّبات التى تطرد الحشرات . أما الهيئة التى لا يشبع لها نهم فهى هيئة

« أمتورج » ـــ هيئة التجارة الخارجية للاتحاد السوفيتى ، فقد أرسل الروس فى شهر مايو طلباً واحداً قيمته ٥٥٩٤ ريالا ونصف ريال ـ ثمن ألفى تقرير من تقارير الأسرار الحربية . ويكادون يشترون دون استثناء كل تقرير ينشر .

وقد اطلع أحد رجال الصناعة الأمريكية على التقرير الكامل عن صناعة الألياف الصناعية فى ألمانيا فقال :

« إن قيمة هذا التقرير فى نظر شركتى تعدل ٢٠ مليون ريال ، لو أتيح لها أن تستأثر به دون غيرها » .

ولكن كل امرىء يستطيع اليوم إذا أراد ، أن يظفر بهذا التقرير وغيره من الأخبار التى كانت أسراراً مكتمة ، لقاء بضعة ريالات . فجميع الأسرار الحربية تصبح ، ساعة تنشر ، ملكا مشاعاً لكل طالب من أىّ أمة كان .

****

هم الفنانه

هذه قصة حدثت يوم الزلزال الكبير فى مدينة سان فرنسسكو منذ نحو أربعين سنة ، فقد استبدّ الذعر بنزّال فندق سان فرنسيس ، الذى هزه الزلزال فجعل يميد كأنه صارى سفينة فى بحر مضطرب ، فأخذوا يفرّون ، وإذا برجل يهرول نازلا على السلم الكبير ، وقد تجلّى الرعب فى عينيه الواسعتين وعلى جبهته ، ولكنه ظل مع ذلك يدمدم : دو ، رى ، مى ، فا ، صول ... ثم يعيدها .

وهرعت سيّدة إلى كاتب التسجيل وصاحت به : « انظر إلى هذا الرجل ـــ لقد جُنّ ، فخير لك أن تأمر بنقله إلى المستشفى على عجل » .

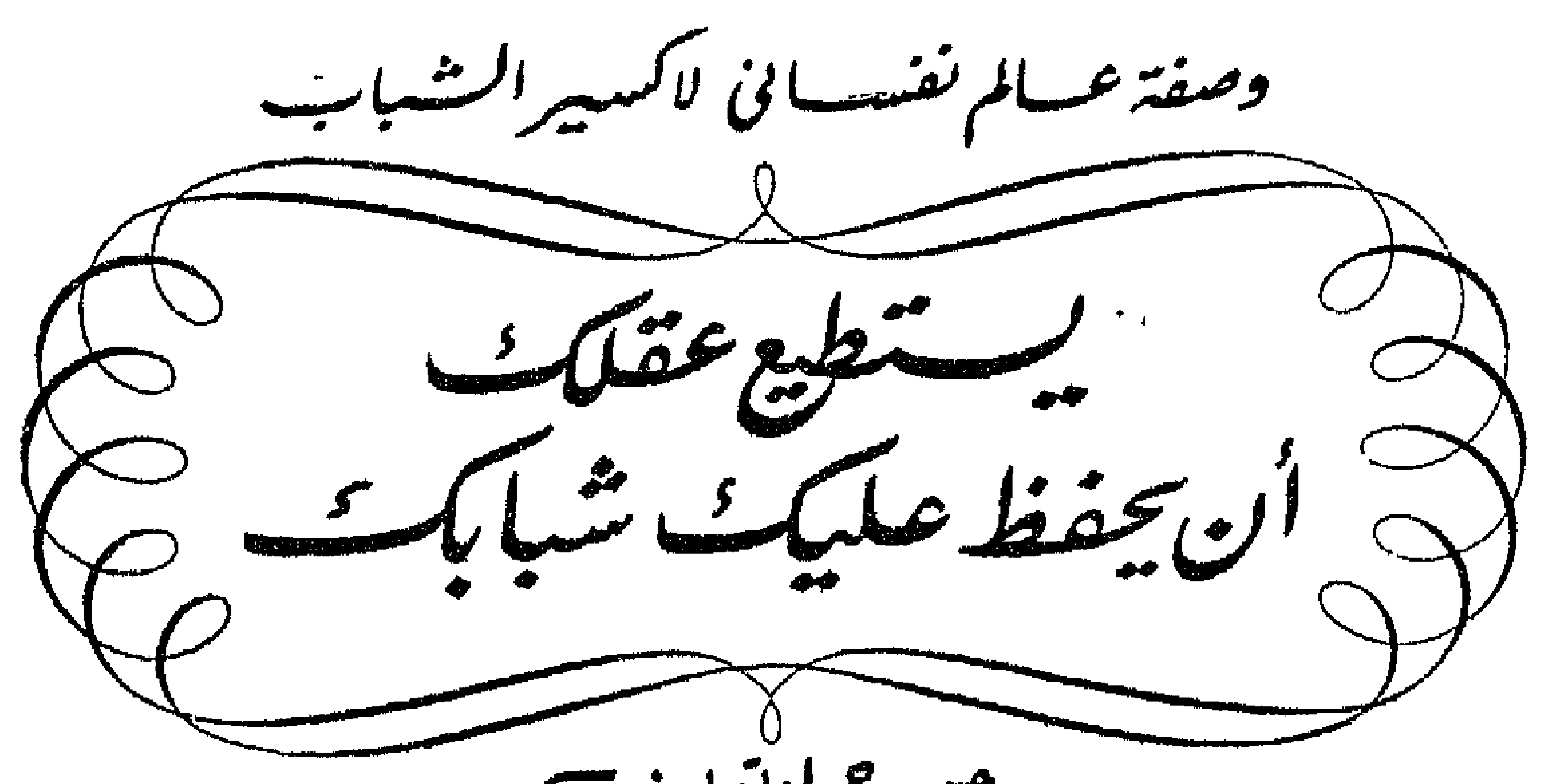
فرد الكاتب عليها : « ياسيدتى العزيزة ، هذا الرجل هو المغنى العظيم كاروزو ، وكلُّ ما به أنه لا يزال يمتحن صوته خشية أن يفقده فى هذه الكارثة التى ألمت بنا » .

للضوء ضغط !

لو كان فى الوسع أن تسخن قذيفة مدفع حتى تصير حرارتها كحرارة جوف الشمس ـــ ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ درجة ، لكان ضغط الضوء الذى تشعُّه كافياً لطرح أى رجل على الأرض متى صار على ٥٠ ميلاً منها .

[روبرت ربلى فى كتابه « صدق أو لاتصدق »]

وصفة عالم نفساني لاكسير الشباب



جورج لوتون

مختصرة من
"ذى أميريكان مجازين"

إنه الخـــوف من الشيخوخة يستطيع أن يستـولى عليك فى أى سن تقريباً . ولما كنت عالماً نفسانياً مختصاً بمسائل الشيوخ ، فإنى وجدت أن عدداً كبيراً ممن يستشيروننى لا يزالون فى العقد الرابع من عمرهم ، وهم رجال ونساء يقلقهم شبح الشيخوخة المقترب ، ويودّون أن يعرفوا كيف يردّونه . والذى أقوله لهم يمكن أن يقرأه وينتفع به أى واحد فيما بين السابعة عشرة والسبعين من العمر ، إذا سرّه أن يظل شاباً .

على أنه قد يحسن ، قبل أن أفضى إليك برأيى ، أن نعرّف بعض الألفاظ . فالسن لا تقاس بعدد السنين التى عشتها ، والزمن بحساب حياة الأبدان غير الزمن بحساب الساعة . وكلما تكدست الأعوام ، أبطأ حساب الأبدان ، وكلما علت سنك ، أبطأت شيخوختك. وبدنك لا يتغير فيما بين الثلاثين والأربعين بقدر ما يتغير فيما بين الخامسة والعشرين والثلاثين ، ولا فيما بين الخامسة والخمسين والخامسة والسبعين كما يتغير فيما بين الأربعين والخامسة والخمسين .

وسبب آخر يجعل التقويم غير ذى دلالة صحيحة على السن ، ذلك أن أجزاء مختلفة منك تشيخ بسرعة متفاوتة ، فلعل عينيك بدأتا تهرمان فى العاشرة ، وسمعك يثقل حوالى العشرين ، وعسى أن تكون قوة عقلك وقدرتك على الاستجابة للمؤثرات ، أو قوى تناسلك ، قد جاوزت ذروتها فى نحو الثلاثين .

غير أن عقلك لا يزال فى شبابه وماضياً فى النمو وأنت فى الخمسين ، وهو لا يبلغ ذروته إلا بعد عشر سنوات أخرى . ومن الستين فصاعداً تأخذ قدرة عقلك فى الهبوط ببطء شديد إلى سن الثمانين .

وفى الثمانين من العمر تستطيع أن تكون

منتجاً من الوجهة العقلية كما كنت في الثلاثين، ومن حقك أن تكون أوفر معرفة وعلماً. وكثيراً ما يعاني الكبار بعض الضعف في الذاكرة، ولكن الخيال المنشيء لا يهرم. وفضلا عن ذلك فإننا مع ارتفاع السن تنمو بصيرتنا ويتسع نطاق إحاطتنا بالأمور، وتزداد قوى الإدراك والتقدير. وبفضل ذخيرتنا من التجارب تعظم مقدرتنا على تدبير الحلول للمسائل العويصة، وباختصار نستفيد الحكمة، وهذا هو السبب في أن الطبيب الهرم، ورجل القانون المحنك، والصانع المجرب يستطيعون عادة أن يثبتوا أمام منافسيهم الذين هم أصغر منهم وأنشط.

ولا تخطيء فتخلط بين قلة نضج العاطفة وبين الشباب الصحيح، فإن الشاب حقاً هو الناضج. أما الذين يأبون — من الرجال والنساء — أن تنضج عواطفهم، فإن هؤلاء هم عادة أول من يهرمون. والسبب في أن بعض الناس حين يكبرون، يرتدون إلى طفولة ثانيــة، هو أنهم لم يشبّوا قط بالمعنى الصحيح عن طفولتهم الأولى، وليس تكلّفك أن تبدو أصيجداً مما أنت إلا دليلا محققا على أنك لم تنل حظك من نموّ العاطفة.

ووصفتي للاحتفاظ بالشباب بسيطة: احصر خواطرك فيما بقي منك شابًّا نامياً، عقلك. أبق عقلك متنبهاً تظل شاباً أبداً. وهذه أيام حافلة بما يحرك النفوس، فوجه عنايتك إلى العالم المحيط بك، واحرص على أن تتعلم كل يوم شيئاً واحــداً جديداً على الأقل.

وأهم من ذلك أن لا « تستقرّ ». وقد ألف العلماء النفسانيون أن يروا ضربين متناقضين من الشخصية يظهران في منتصف العقد الرابع من العمر. فبعض الرجال والنساء، وإن كانوا مهتمّين بأسرهم وأعمالهم، لا يفتأون يوسعون نطاق اهتمامهم فيتتبعون الصحف والمجلات، ويشغلون أنفسهم بالهوايات المنتجــة، مفضلين منها ما يحتاج إلى أيديهم فضلا عن عقولهم.

وثم ضرب آخر من الناس يشرع في الخامسة والثلاثين، في السير على نهج ممل ولكنه مريح، فهو يقوم بعمله يوما بعد يوم، ويرجع إلى بيته، ويتعشى، ويلقي نظرة على صفحة الألعاب الرياضية أو نبذ الفكاهة، ويستمع قليلا إلى الراديو، ثم يأوي إلى فراشه، وتقوم زوجته بشئون البيت، وتتعهد الأطفال، وتصغي إلى الروايات الرخيصــة، وتقرأ أحياناً قصة غرامية، وتذهب إلى النادي للتسلي.

فأما الذين هم من الضرب الأول فيزدادون شــباباً على ارتفاع السن، وأما الرجال

والنساء من الضرب الثانى فهؤلاء قد بلغوا شفا الهاوية ، فإذا لم يغيّروا ما بهم ، فإنهم يهرمون وهم فى الخامسة والأربعين .

وبغض النظر عن سنك ، فإن الفرصة التى تجعل حياتك أمتع لم تفتك بعد . أعرف سيدة استطاعت فى الخمسين من عمرها ، ومن غير أن تكون لها تجربة سابقة ، أن تصبح رسامة بارزة . وأعرف مهندساً كهربائياً متقاعداً صار فناناً خبيراً بصناعة الفخار عالى الأجر . ومن زبائنى امرأة فى السبعين توهم أبناؤها أنها ينبغى أن تضع نفسها على الرفّ ، بيد أنها صارت تدير مدرسة ناجحة للطبخ تعلم فيها الزوجات .

ونحّ عن ذهنك الظن بأنك فى أى سن أكبر من أن ترجع إلى المدرسة : أعرف رجلا دخل كلية الطب وهو فى السبعين ، ونال إجازته مع درجة الشرف ، وأصبح طبيباً مشهوراً . ودخل رجل آخر مدرسة الحقوق فى الحادية والسبعين ، وهو الآن محام نشيط . وعادت امرأة فى كاليفورنيا ـ فى الحادية والتسعين من عمرها ـ إلى المدرسة لتتلقى منهجاً فى تاريخ أمريكا . وأعرف امرأة تعلمت التصوير فى السابعة والسبعين ، وأقامت معرضاً خاصاً بها فى الثمانين ، وهى الآن فى السادسة والثمانين ولا تزال ماضية فى عملها . فالوقت الذى يتيح لك أن تضيف كفاية جديدة ، إلى ما لك الآن من كفايات ، لا ينتهى أبداً .

ومن السهل ـ بغض النظر عن عدد السنين ـ أن يحتفظ بالشباب أولئك الذين يتطلعون إلى المستقبل ، وفى وسعك أن تفعل ذلك إذا عنيت بأن تجرب . فاحرص على أن يظل عقلك مستيقظاً ونشيطاً . وهذا هو إكسير الشباب الوحيد المضمون الأثر .

قوة الملاحظة

أراد أستاذ جامعة أن يبين لطلابه قيمة قوة الملاحظة ، فأعد ملء كأس من مزيج يحتوى على الجاز والخردل وزيت الخروع ، ثم غمس إصبعه فى هذا المزيج الكريه ولعقها بلسانه ، ثم أمر بأن تُدار الكأس على الطلاب وأن يفعل كلٌّ منهم مافعله هو ، فبان الاشمئزاز فى وجوههم . فلما عادت الكأس إليه قال : « ياسادة ، أظنُّ أنكم لم تنتفعوا بما فُطرتم عليه من قوة الملاحظة . فالإصبع التى غمستها فى المزيج كانت غير الإصبع التى لعقتها » . [ولفرد جرنفل]

رأيتُ ملكَ الجحيم

هاريسون فورمان

مختصرة من مجلة "هاربرز"

ظللت سنوات وأقاصيص السحر في أرض التبت المحرمة تستهويني وتفتنني، فلما انتهى عملي في بيع الطائرات الحربية للحكومة الصينية، اعتزمت أن أمحص هذه الأقاصيص، وجهزت بعثة للتصوير السينمائي، وسافرت بها إلى التركستان الشرقية الصينية، ثم أفضينا إلى جبال التبت. وكنت قد اصطحبت معي شابين فقتلهما رجال العصابات، ولكني وجدت لي صاحباً ودليلاً هو ساحر شيخ من أهل التبت اسمه « شيراب ». وقد عدّني من قرنائه في السحر، لما رآه من براعتي الخارقة في طرد الأرواح الخبيثة عن الأبدان بالأملاح المسهلة وزيت الخروع والمراهم والمساحيق، وأخذ يلقنني بعض أسرار فنون السحر في التبت.

تنكرت في زي ساحر من أهل التبت ودخلت الغابة المقدسة في رادجا جومبا مع الشيخ شيراب، فإذا أمارات الفزع تتجلى عليه، فلو انكشف تنكري فلربما أقدم زملاؤه السحرة على قتلنا جميعاً.

فعاهدته قائلا: « إذا حاق بنا مكروه فثق بأنني سأقسم بأغلظ الأيمان على أني لم أرك قط من قبل ».

وبلغنا، والشمس تميل إلى الغروب، رقعة جرداء في الغابة حيث جلست حلقة من السحرة يسودهم الصمت، ولا يسمع لهم إلا همس بين الحين والحين، وبذلنا ما استطعنا حتى لا نثير ريبتهم، واتخذنا لنا مكاناً في الحلقة، فما زادوا على أن ألقوا إلينا نظرة عاجلة، فكدت أحسّ برفيقي وهو يتنفس الصعداء. وأخذت أنعم النظر في أقرب السحرة إليّ عن يساري، فرأيت له وجهاً دمياً قذراً، وضفائر من شعر أسود معقودة على رأسه كالثعابين، وخيل إليّ أنها مباءة تألفها جميع صنوف الهوامّ. وكانت له عينان سوداوان كالفحم شاخصتان ثابتتان تنظران في جوف الفضاء نظرة المنوّم.

وهذا الساحر هو وسائر إخوانه من

هاريسون فورمان من الرواد الأميركين الذي جابو مجاهل آسية وكتبوا عنها.

أتباع « البونيـة » وهى مذهب وثنى كان سائداً فى التبت قبل البوذية . وعمل رجال الدين (اللاما) فى البوذية هو الوساطة بين البشر وآلهة الخير ، وأما عند البونية فعملهم هو استرضاء آلهة الشر وتسكين غضبها . وماسعيت إلى هؤلاء السحرة إلا لأشهدهذه الأرواح الشريرة وهى تتجسم على الأرض .

وأخذت رياح المغيب تعول بين أوراق الشجر كأنما تعلن قدوم الآلهة المخيفـة التى يترقبها الحاضرون ، أما أنا فكنت لشكى وريبتى فيها واثقاً بأن قدومها لن يتحقق .

ثم انفلت من فرجة بين الأشجار رجل طوال مهيب الطلعة هو دروك شم الساحر الأكبر ، ودخل الساحة وَرَقِيَ حجراً عالياً وتربّع فوقه ، واستقبلنا بوجه صامت ونظرة نافذة لا يفوتها شىء حيثما امتدت . ولاحظت أن فوق الحجر عن يمينـه عظم فخذ بشرى وعلى يساره جمجمة إنسـان .

وأطبق الغسـق ومرّت لحظات خيم علينا فيها صمت عميق . وكأنما رأى السحرة إشارة — ولو أننى لم أر أنا شيئاً — فإذا بهم يبدأون فى التمايل إلى الأمام وإلى الخلف ، وهم يرتلون ثلاثا بصوت أجش كلمة واحدة هى — يامنتا كا ! . يامنتا كا ! . يامنتا كا ! .

إذن فإن أول من يستحضرونه من آلهتهم هو الإله ياما ملك الجحيم .

وبعد أن ردّد الجمع تلك الكلمة ثالث مرة رفع الساحر الأكبر العظم البشرى إلى شفتيه ، فإذا هو بوق انبعثت منه نغمة حزينة سرت فى أرجاء الغابة ، ثم رفع الجمجمة فإذا هى كأس شراب . وكان الشيخ شيراب قد بصّرنى من قبل بمغزى ما أراه من شعائر ، ففهمت معنى شرب الساحر من الجمجمة ، إذ إنهم ألفوا منذ قديم الزمان أن يقدموا قرباناً من البشر للآلهة ، فالسـائل الذى شربه الساحر الأكبر لم يكن إلادماً بشرياً .

ووضع السـاحر الأكبر كأسـه وعاد السحرة إلى ترتيلهم :

— يامنتا كا ! . يامنتا كا ! . يامنتا كا ! .

وطأطأ الجميع رؤوسهم وحذوتُ حذوهم وإن أخذت أراقبهم بطرف عينى وأنا منتبه أريد أن أكتشف حيلهم ، وأسائل نفسى : ترى كيف يبدأونها ؟ فإذا كنت غير مؤمن بالجن والشياطين ، فأنا أضعف إيماناً بأنهم يظهرون للناس . وعقدت العزم على أن أقوم طوال هذه الشعائر بدور العالم الباحث عن الحق . ونفخ الساحر الأكبر مرة أخرى فى البوق وشرب من الكأس ، وزاد تمايل السحرة وهم يرتلون :

— يامنتا كا ! . يامنتا كا ! . يامنتا كا ! .

وأسرعوا فى تمايلهم درجة بعد درجة ، وأخـذت أنا أيضاً أتمايل وأرتل معهم ،

فأحسست بأن شيئاً قد تغلغل فى جســدى وخالط دمى . ولست أدرى كنه هذا الشىء، ولكنى أحسست بوجوده فىّ ، وأصبحت أقل بعداً من الشك والريبة ، وأكثر قرباً من السحرة الذين زعمتُ أنى واحد منهم. فلما أحسست ذلك غضبت ، إذ كنت أرفض أن أترك نفسى تستجيب للتنـويم ، فأرى أشياء يحكم عقلى بأنها لا يمكن أن تحدث .

ولم أجهـل أنى قد أستجيب للتنويم ، وكان تفسير كل ما يحدث فى الغابة المقدسة مردُّه — فى اعتقادى — إلى هذا التنويم. ولكن من أى نوع هو ؟ هل هو تنويم الجماعات ؟ أترانا نرى نحن جميعاً أشـياء تتمثل فى ذهن رجل آخر ؟ أم هو الإيحاء الذاتى فيرى كل منا ما يجول بذهنه هو وحده؟

وبدأ ينبعث من أفواه الحاضرين صوت أجش وهمهمة خافتة رتيبة فقلت لنفسى: «ليت شعرى أتراهم يعرفون طريقة أمثل من هذه الهمهمة تمهيداً لتنويم أحد من الناس ؟ ولكن من يدرينى لعل تمنُّع الشيخ شيراب عن مصاحبتى إلى الغابة لم يكن حيلة وخداعاً ، ولعل السحرة لا يبغون تنويمى حتى أخرج إلى النـاس فأروى لهم الأعاجيب عن بلاد التبت » .

واستمر الترتيـــل الرتيب ، وبقيت الرؤوس مطأطئة ، فشعرت بجسمى يدبّ فيه الخدر، ولكن هيهات لهم أن يخدعونى ، فكل ما حدث حتى ذلك الوقت إن هو إلا مقدمات التنويم، فهو تنويم ساذج بسيط.

ثم تبين لى أنى غير منصف ، فكيف أمنى النفس بالوقوف على شعائر سحرهم ، وأنا صارف عنها بصرى وسمعى وإحساسى؟ أفليس من الجائز استحضار الجن إذا كانت هناك جن ؟ ومن أكون أنا حتى أسمح لنفسى بالشك فى أقوال أهل التبت ؟

فتنبهت ، وتلفت حولى متحيراً ، فلم يبق لى سبيل إلى أن أنكر أن شيئاً عجيباً لم أعهد مثله فى حياتى قد حلّ بالغابة المقدســة ، وأحسست أن هذا الشىء العجيب قد تملك جسدى كأنى أصبحت فى قبضـة أيدٍ خفية على رغم منى . فجاهدت أن أتملص من قبضة هذا الإحساس ، ولم يمدّنى علمى فى تفسير تلك الظاهرة .

ونظرت إلى الساحر الأكبر وهو على الصخرة ــ إنه رجل مقدّس مَرْهوب ــ ، وأدركت أنه يجاهد للسيطرة علىّ وعلى باقى الحاضرين ، وَهَبّتْ إرادتى تمانعــــه ، وتملكنى شعور واضح بهذه المعركة الناشبة بيننا ، وكأن أرواحنا قد فارقت أجسادنا وانتقلت إلى وسط الساحة واشتبكت معه فى صراع ذَوداً عن اختيارها وإرادتها .

وركزت تفكيرى فى صدّ سلطان هذا

الساحر الأكبر، وبذلت فى ذلك غاية جهدى، ولكن أفكارى أخذت تشرد شيئاً فشيئاً إذ علت همهمة المرتلين حولى ، وسرى إيقاعها الرتيب فى عروقى ، وفى عقلى ، وفى روحى :

يامنتاكا ! . يامنتاكا ! . يامنتاكا ! .

ثم أخذ السحرة يتمايلون على مهل ذات اليمين وذات اليسار ، وترتيلهم يرتفع درجة بعد درجة ، وجعلت أتذكر كل ما قاله لى الشيخ شيراب عن المشهد الذى سوف أراه . نعم ، سأبصر ياما ملك الجحيم وحاشيته وأتباعه من الجن والشياطين . وجعلت أرقب الرقعة التى ينتظر أن تظهر فيها الشياطين ، كما يزعم السحرة ، وأنا أحاول أن أرى أشياء يحكم عقلى بأنها غير موجودة.

ولا أعلم ماذا كانت عدسة التصوير خليقة أن ترى ، لو أردت أن أسجل بها مايحدث أمامى ، ولكن الذى أعلمه هو شيء ظننت أنى رأيته . نعم ، رأيت ياما ملك الجحيم وهو يتضح أمامى شيئاً فشيئاً . ولم يكن مجيئه من بين الأشجار ، فهو ليس إنساناً متنكراً من أهل التبت . نعم لم يكن شيئاً موجوداً ، وكانت الساحة خالية منذ لحظة ، ثم إذا به يظهر شيئاً فشيئاً حتى صار ماثلا أمام عينى".

ولقد رآه جميع السحرة فى وقت واحد ، فازدادت همهمة ترتيلهم حدّة فوق حدّة . ولم يكن ما تراه عيناى أضغاث أحلام ، فها أنذا أرى من وراء الساحر الأكبر أشجار الغابة الباسقة وأرى السحرة أيضاً ، وأرقبهم عن عمد لأختبر يقظتى . وخصصت بانتباهى الشيخ شيراب وهو جالس إلى جانبي وقد تلوّت على رأسه كالثعابين جدائل شعره الأسود التى يبلغ طولها ١٤ قدماً . ولكن ها هو ياما يلبى نداءنا ويظهر أمامنا، ووجدت نفسى أرتل ، ككل ساحر آخر فى الحلقة ، بإيمان وبأعمق صوت أستطيعه : ياماتتاكا !

وكان أول مارأيت منه هو عيناه الشاخصتان الجاحظتان ، وما هو إلا أن رأيتهما كأنهما عينا رجل ربْعة لا بالطويل ولا بالقصير تحدقان فينا بنظرة ملؤها الشرّ وحب الأذى . وتجمع حول العينين ضباب عجيب أخذ يتحول ويتشكل شيئاً فشيئاً ، فإذا هى أذرع ياما التى بلغت عدتها أربعا وثلاثين ذراعاً وأربعا وثلاثين يداً ، تمسك كل يد منها بآلة من آلات الدمار .

وبدأت رأسه أم الرؤوس تتشكل حول العينين ، ثم تشكلت بقية الرؤوس حتى بلغ عددها تسعاً ، يلفّها جميعاً لهيب أزرق شفاف لا تنفك ألسنته تتراقص حولها وتتواثب . ثم تجسمت الأكتاف ، يتدلى

من كل كتف عنقــود من جماجم بشرية تصطك لأقل هزة اصطكاكا مخيفاً .

وأخذت أرتعش وحوّلت نظرى عنه ، فلما أعدته إلى الساحة ثانية توقعت أن يكون ياما قد اختفى ، ولكنى رأيته أمامى يحدق فىّ بعينيه الجاحظتين ، وتبدت لى حينئذ شفتاه فإذاهما غليظتان تتفجر منهما الشهوة ، وكانت أسنانه كأنياب وحش لا عهد للأرض بأمثاله .

ولم يكن ياما إلا مقدمة الركب ، إذ تبعته بقية الشياطين ممن هم أقل منه مرتبــة ، وتبينت شيطان الشهوة — ويطلق عليه الشيخ شيراب اسم « نجووه نوخ » — وهو شيطان يتلوى ويعبر تثنّيه عن حركات الذكور والإناث فى فورة الشهوة ونزواتها . وأخذ يرقص أمامنا ، فإذا عناق الحب يبدو لأعيننا فى منظر كريه فاجر مخيف . ثم جاء بعده شيطان الجوع وقد بدت ضلوعه من تحت جلده ، وتبعه شيطان الغضب ، وهو خلق لا قوام له ، وله وجه دميم ممسوخ من شــدة الغضب ، وله جثة تتلوى ولا تثبت على حال كأنه أحد تلك الثعابين المعقودة على رؤوس السحرة . وظهرت أنواع أخرى من الجن والشياطين ثم إذا ملك الجحيم ياما يبدأ رقصة مخيفة كأنها خير ختام لهـــذا الاحتفال العجيب ، وهى أشد رقصاته بشاعة ونكراً ، فقد أخذت عناقيد الجماجم المدلاة من أكتافه تهتز وتتقارع ، وأتى بحركات يقلدفيها ساخراً مختلف آلام البشر . وخلت حينئذ أن أبخرة الموت تفعم خياشيمى .

وسألت نفسى : « ماذا عسى أن يحدث لو عجز هؤلاء السحرة عن كف شر تلك الشياطين بعد أن أتوا بها ؟ » جعلتنى هذه الفكرة وحدها أتصبب عرقاً من رأسى إلى أخمص قدمى ، إذ أصبحت أعتقد أن ياما وأتباعه حقيقةماثلة كحقيقة وجودى، وأيقنت أن ياما إذا أفلت من قبضة السحرة ، فإن الهلاك سيحيق بالتبت كلها .

وفجأة أحسست أن زملائى السحرة قد اضطربوا وتوترت أعصابهم لهــذا الخاطر نفسه ، فقد أخذت الشياطين تحاول الفكاك من أسر القوة الخفية التى تخضعهم ، وجمع السحرة عزمهم معاً لمصارعة الشياطين . وكنت لا أزال أقول إن هذا الذى أبصرته ما هو إلا من قبيل تنويم الجماعات أوالإيحاء الذاتى ، ولكنى وجدت نفسى مع هــذا أجاهد أيضاً لأضم عزمى إلى عزم السحرة حتى نقوى على صدّ طغيان هؤلاء الشياطين وكدت أهم برفع يدىّ لكى أصد الشياطين ، وأدفعها ، لولا أنى أيقنت أنهما لا تغنيان فى ذلك شيئاً ، وإنما هى روحى وحدها التى تقوى على ياما ملك الجحيم وأشياعه . وبالرغم

من كل ما زعمته عن نفسى من قبل ، لم أكن حينئذ إلا كواحــد من السحرة ، لافرق بينى وبينهم ، فكلنا على قلب رجل واحد فى قتال هذه الشياطين . أترانا نحوز النصر فى هذه المعركة ؟ وخيل إلى أن دهراً طويلا قد انقضى قبل أن يتضح لى جواب هذا السؤال ، فلما اتضح شعرت بهزة فرح تدبُّ فى كيانى .

وبدأ ياما يضمحل شيئاً فشيئاً ، وخلت أن قد مر دهر حتى اختفى ياما عن ناظرى كل الاختفاء ، ثم تبعه « نجووه نوخ » وشيطان الجوع ، وشيطان الغضب ، ثم لحقتهم بقية الشياطين على مضض ، وخلفوا وراءهم جمعاً من السحرة يواجه الساحر الأكبر دروخ شيم المتربع فوق الصخرة ، وتملكنى الشعور بأن جمعنا لوكان ينقصه رجل واحد ، لهان على ياما أن يتغلب علينا .

وتجنبت النظر إلى الآخرين ، إذ كنت أرتعد ، وظللت جالساً مخدر الجسم من هول ما رأيت ، إلى أن قام السحرة ودخلوا الغابة واختفوا فى ظلام الليل واحداً إثر واحد كما جاؤوا . ولم يبق معى إلا الشيخ شيراب فسألنى بصوت مضطرب « ما رأيك الآن ؟ » فأجبته : « ياصديقى ، إننى لا أدرى . أظن أننى رأيت ياما وأشياعه ، فأنا فى هذه اللحظة واثق أننى رأيتهم بعينى فوجدتهم كما وصفتهم أنت لى ، ولكنى لا أدرى ماذا يكون رأيى غداً » .

ولا تزال تلازمنى إلى اليوم ذكرى تلك الأطياف التى رأيتها فى الغابة المقدسة . ولست أؤمن بوجودها ، ولكنها تبدت لعينى حينما كنت تحت سلطان هذا الجمع المتمايل من السحرة ، وما زلت أقول إنه كان فى غبش تلك الغابة « شىء عجزت عن تفسيره وأنا اليوم أشد عجزاً » .

❋❋❋❋

جواب لاذع

كان فى نادى الممثلين فى نيويورك رجل يُعد من أثقل الثقلاء ، فلقى فى أحد الأيام أوليفر هرفرد الممثل فقال : « لقد أُهنت يا أوليفر أعظم إهانة ، فقد مررت لساعتى أمام تلك الجماعة الجالسة هناك ، فطرق سمعى قول أحدهم إنهُ ينزل عن خمسين ريالا لى ، لو رضيت أن أستقيل من النادى » ، فقال هرفرد : « لاتقبل مبلغاً دون مئة ريال ، وستظفر به لامحالة » .

[نيو يورك تايمز]

أواثق أنت من أنك تحب ؟

مختصرة من مجلة "لوك"

كيف تعرف أنك تحب ؟ وهل اخترت أليفك الملائم لك ؟ يقول أهل الرأى إن ازدياد نسبة الطلاق بعد الحرب زيادة مخيفة تدل دلالة واضحة على ازديادها فى السنوات العشر القادمة . ومع ذلك فعندنا الآن خبير فى مسائل الزواج يستطيع أن يعرف معرفة دقيقة كيف تكون حياة شخصين بعد الزواج ، وذلك بأن يستعين باختبار الشخصية ودراستها وتحليلها .

وهذا المستشار هو الدكتور كليفورد أدمز مدير مكتب الاستشارات الزوجية بمستوصف التعلم النفسانى التابع لكلية ولاية بنسلفانيا . وقد جهد الدكتور أدمز أن يساعد بنفسه أكثر من ٣٠٠٠ زوج من الشبان والشابات ويجنبهم الأخطاء التى تعصف بحياة كثير من الناس وتودى بزواجهم . ويقترح المستوصف القواعد الآتية لمن يزمعون الزواج : يجب أن تكون خصالهما متشابهة، وأن يكونا من بيئة واحدة، ودينهما واحداً ، وأن يستلطف كل منهما أصدقاء صاحبه ، وأن يكون ميلهما إلى أنواع متشابهة من الرياضة ، وأن يهتم كل منهما بعمل رفيقه ، وأن يتزوج الحييّ من الرجال امرأة حييّة مثله ، وأن يتزوّج الحسن العشرة بامرأة مثله .

وهو يحذر الناس من الزواج المختلط بين المختلفين فى الدين والبيئة والعنصر ، فإن نسبة الإخفاق فيه كبيرة .

وقد صنّف الدكتور أدمز فى كتابه « كيف تختار رفيقاً » قائمة الأسئلة الآتية التى يستطيع بها شخصان أن يقررا مقدار اتفاقهما فى المشارب والأهواء ، وما يرجى لزواجهما من طول البقاء .

١ : أأنتما سواء فى القدرة على حسن المعاشرة ؟ ... ... نعم ، لا

٢ : أأنتما من أصحاب الجد والمثل العليا أم أنتما من المتساهلين الذين يقنعون بالممكن ؟ ... ... نعم ، لا

٣ : هل يجد (أو تجد هى) رضى النفس فى عمله (أو عملها) ؟ ... نعم ، لا

٤ : هل هو (أو هى) فوق العشرين أو أقل

من الأربعين ؟ وهل كان متزوجاً فانفصل بالطلاق ؟ ... ... نعم ، لا

٥ : هل يعده (أو يعدها) المعارف والأصدقاء شخصاً يعتمد عليه ، لا يلتمس المعاذير أو يلجأ إلى الكذب الخبيث ؟ نعم ، لا

٦ : هل كنتما تتقابلان بانتظام مدة سنتين أو أكثر ؟ ... ... نعم ، لا

٧ : هل كانت مقابلاتكما خلواً من الشجار والمنازعات نسبيًّا ؟ ... ... نعم ، لا

٨ : هل يؤمن كل منكما بالمعتقدات الدينية نفسها تقريباً ؟ ... ... نعم ، لا

٩ : هل يوافق آباؤكما على هذا الزواج ؟ ... ... نعم ، لا

١٠ : أأنتما سواء فى الحرص على مراعاة شعائر الدين ؟ ... ... نعم ، لا

١١ : هل هو (أو هى) فى صحة جيدة ؟ ... ... نعم ، لا

١٢ : أأنتما فى حسن التودد إلى الناس سواء ؟ ... ... نعم ، لا

١٣ : هل كانت حياته (أو حياتها) خلواً من النزاع مع الوالدين ، وهل ربيا على النظام فى غير هوادة وبلا شدة ؟ ... ... نعم ، لا

١٤ : هل كان أبواه (أو أبواها) سعيدين فى الزواج ؟ ... ... نعم ، لا

١٥ : هل هو (أو هى) برئ من الغيرة والتشكك ؟ ... ... نعم ، لا

١٦ : هل هو (أو هى) ذو خلق هادئ رصين ، وبخاصة إذا كنت ممن يستخفهم الغضب بسرعة ؟ ... نعم ، لا

١٧ : هل تنظران إلى المسألة الجنسية نظرة صحيحة عادية ؟ ... ... نعم ، لا

١٨ : هل هو (أو هى) شخص معتدل لا يميل إلى إدمان الخمر أو غيرها من أنواع الإدمان ؟ ... ... نعم ، لا

١٩ : هل تشتركان معاً اشتراكا متقارباً فى التوسط بين الحرص والتهور ؟ ... نعم ، لا

٢٠ : هل تودان أن يكون لكما أطفال ؟ ... ... نعم ، لا

إذا أجبتما بنعم ستة عشر سؤالا أو أكثر من الأسئلة المتقدمة ، فإن حبكما قائم على أساس مكين . وإذا أجاب كل منكما بنعم على سبعة عشر سؤالا أو أكثر واتفقتما فى الإجابة بنعم على خمسة عشر سؤالا بالذات ، فإن زواجكما سيكون زواجاً موفقاً .



تتبارى وفود الأمم إلى القارة الجنوبية المتجمدة ، بيد أن رحلات روادها الأوائل لا تزال رائعة على الزمن .

مغامرة في القطب الجنوبي

رسل أوين

مختصرة عن كتاب "المحيط المتجمد الجنوبي"

في يوم ٢٨ مارس سنة ١٩١٦ وقف على ساحل جزيرة جرداء تكسوها الثلوج في المحيط المتجمد الجنوبي ، رجال من الإنجليز عدتهم ٢٨ رجلاً وهم يرتجفون برداً ويتهالكون يأساً ، وكانت إنجلترا مسقط رأسهم مشتبكة يومئذ في قتال منذ قرابة سنتين ، ولكن قليل منهم مَنْ كان يصرف باله إلى ذلك المعترك البعيد ، فهم أنفسهم يخوضون غمار حرب من ضرب آخر ، إذ كانوا أعضاء بعثة أوفدت لارتياد القطب — رجال خدرت أطرافهم وركبهم الوهن والمرض ، وهم يصاولون الغوائل التي رمتهم بها ١٨٠٠ ميل قطعوها في مفاوز الثلج وحشود الجمد السابح ، وثلاجات عاتية أطبقت كالشياطين على سفينتهم فحطمتها وأغرقتها منذ خمسة شهور مضت .

وكانوا منذ أيام قلائل قد ارتحلوا في ثلاثة زوارق بقيت لديهم طلباً للنجاة من محبسهم الذي طال على ذلك الجمد المتحرك ، وقادهم رئيسهم إلى جزيرة الفيل الواقعة جنوب شرق رأس هورن ، وكان لابد لهم يومئذ من أن يغادروا أيضاً هذا المثوى الموحش ، فقد هبت الأعاصير على سواحله المكشوفة للرياح ، ونزلت كالسياط على خيامهم فمزقتها شر ممزق ، وقلت مؤونتهم من لحم طائر البطريق وأعشاب البحر . ولما أمضّهم الجوع والبرد ، تلفتوا — كدأبهم فيما مضى من أيام محنتهم المنكرة — إلى الرجل الذي لولا شجاعته وثباته لما كُتب لهم البقاء . نعم ، تلفتوا إلى شاكلتون .

وإرنست شاكلتون رجل طويل عريض المنكبين ، مسنون الوجه ، على عينيه حواجب غزيرة الشعر ، يحسبه الرائي صخرة جاثمة من تلك الصخور التي يعتصم بها الناس حين تتبدد الآمال . ولكن شاكلتون أصبح صخرة نالت منها الأعاصير ، فهذه جبهة قد تخددتها الغضون ، ووجه شاحب ، وهذه مناكب طالما حملت عبء النوازل ، فإذا بها قد تقوست حتى صار كأنه شيخ مهدم . ولقد كان لهذه الرحلة العتيّة عنده معنى أخطر مما يظنه

أحدٌ من رجاله . فإنه ينظر إلى علاقته بهم نظرة ملؤها الجد الصارم ، فهؤلاء رجال قد وثقوا به ، فأمنوه على أنفسهم ، فهو مسئول عنهم ، وإنه ليحسُّ بذلك إحساساً تاماً . وكانوا يسمونه « الفتى الحريص » وهو لقب عرف به منذ كان يعمل فى الأسطول التجارى البريطانى، ولكن وجهه لم ينطق قط بما يدل على التردّد ، بل إنه اليوم أشد عزماً ومضاءً .

وكاشف شاكلتون رفقاءه بخطته وقال لهم : « ينبغى لنا أن نصل إلى مكان يتاح لنا أن نجد فيه سفينة » ،والقيام برحلة طويلة فى زورق صغير مخاطرة لايرتجى نجاحها ، ولكنه طلب من رجاله أن يتطوع لها من يشاء منهم ، فلم يبق فيهم أحد إلا لبى نداءه ، فاهتزت نفس شاكلتون أيما اهتزاز ولم يسعهُ إلا أن يتمتم : « شكراً لكم أيها الرجال » .

ووقع الاختيار على خمسة رجال للقيام برحلة طولها ألف ميل فى أشد بحار العالم هياجاً ، وفى قارب لايزيد طوله على ٢٢ قدماً حتى يبلغوا به جورجيا الجنوبية . أما هؤلاء الرجال فهم : ورسلى ربان سفينتهم التى تحطمت ، وتوم كرين ، وتيموثى ماكرثى ، وماك نيش النجار،وفنسنت رئيس البحارة ، وبدأوا بترميم زورقهم الصغير الخفيف المسمى « جيمس كرد » ، ثم قووا جوانب جوفه بصارية أخذت من زورق آخر ، ثم تأهبوا للإقلاع بعد هذه المهمة الشاقة .

وقد سقط رجلان من الزورق عند إنزاله إلى البحرْ ، ثم خرمت إحدى الصخور جانبه فسدوا الثقب بسدادة من حديد . وأخيراً تيسر لهم نقل مؤونتهم إلى الزورق وأقلعوا به ، فبدأت رحلة لعلها أعظم ما عرفت البحار من رحلة خاض لججها العاتية زورق صغير .

وكان ركابه يعلمون أنهم فى ريب من أن يصلوا إلى الأرض المعمورة . أما المتخلفون من الرجال،فكانوا يعلمون أن مصيرهم الهلاك إذا لم يبلغ الزورق غايته ، فجلسوا يتحدثون عن أمرهم إذا عاد إليهم الزورق بعد شهر .

وجلس شاكلتون أول ليلة وهم فى البحر إلى جانب ورسلى صاحب الدفة ، ووضع ذراعه على كتفه حتى يسرى دفء أحدهما إلى صاحبه. وتلاعبت الأمواج بالزورق ،وهبت عليهم رياح باردة ، واقتصر طعامهم على اللبن الساخن كل أربع ساعات مرة ، فإذا طلع النهار عدلوا عنه إلى حساء ساخن مركز دسم ، وأخذ الزورق يشق طريقه بجهد جهيد .

وهبت عاصفة أرجعته القهقرى حتى كاد يبلغ المكان الذى أقلع منه ، فكانت خيبة أمل بالغة ، وقال شاكلتون :

« لوحدث لى حادث ، وهؤلاء الرجال صابرون هناك ينتظرون عودتى ، لأحسست بأنى مجرم قاتل » .

ولكن الزورق مضى على سَننه ، وكان الرجل منهم لايستطيع أن يجتاز باطن الزورق إلا بعد أن يزحف على أكداس الأثقال وأوعية المؤونة. وأما الراحة الوحيدة التى يجدها بعد هذا التعب، فهى كيس مبتلّ يدس فيه جسده المنهوك لينام . وأصبح الرقاد طلباً للنوم لايقل عذاباً عن مشقة الهبوب من النوم ، وكان الرجال جميعاً يؤثرون البقاء على سطح الزورق ، وهم يتناوبون فى نزح المياه التى تتسرب إليه .

وكتب شاكلتون فيما بعد : « كانت تبدو لنا كل موجة قادمة علينا كأنها جبل شاهق ، وإذا بالزورق يرتفع فجأة وتتدافعه الأعاصير. وحيثما تلفتنا رأينا أميالاً مترامية ممتدة ، وسلسلة لا تنتهى من تلال وأودية شهب الألوان. وكان رشاش الماء يبلنا بلاً كل ثلاث دقائق أو أربع ، ثم تنحط علينا الأمواج فنحس كأنما غرّ تحت شلال من الماء . ثم قبل أن تنهدّ علينا الموجة التالية ، لا نعدم أمواجاً أخرى صغيرة تعلو الزورق وتبلل ثيابنا ، وظللنا على ذلك ليلاً ونهاراً . وكان البرد قارساً » .

وخدرت سيقانهم وأقدامهم، وتجمد الماء على القلوع فأزاله الرجال ثلاث مرات ، وكثيراً ما أوشك بعضهم على السقوط فى البحر ، إذ لم يكن لهم ما يتعلقون به سوى شقوق يشقونها فى الجمد المتجمع ويتشبثون بها بأصابعهم المتصلبة ، والقبض على الثلج عذاب لا يطيقه الرجل أكثر من أربع دقائق ، فكان نكالا مبرحاً ، ولكن كان لابد لهم من ذلك لئلا يغرق الزورق تحت ثقل الثلج . وألقوا بمجذافين فى البحر تخفيفاً عن الزورق ، كما ألقيت أكياس مصنوعة من جلد الوعول ، كان صوفها المتطاير عذاباً لهم ، فقد كانوا يلتقطونه من الحساء واللبن ، بل لقد تغلغل فى المضخة ، وأصاب عيونهم وأنوفهم ، حتى أصبحت الشعرة المبتلة شيئاً بغيضاً إلى نفوسهم .

وتقرّحت أيديهم وأقدامهم وأخذت تدمى بغير انقطاع من جراء اضطرارهم إلى الزحف فوق الأثقال المتراكمة فى باطن الزورق . فذات ليلة فرغ ورسلى من نوبته فى قيادة الدفة ، فحاول أن يقيم ظهره فلم يستطع ، فحملوه إلى باطن الزورق وبسطوا له جسمه وأخذوا يدلكونه حتى دبت فيه الحياة ، ثم دسوه فى كيس النوم . وقد أطبق عليهم زمهرير أشد من السعير عذاباً ، ولكن لم يكن لهم مفرّ من مواصلة الرحلة .

ثم مرت بهم لحظة ملؤها الخطر ، وكان

شاكلتون يتولى حينئذ أمر الدفة ، فهاج البحر وانهمر الثلج واكفهر الجوّ ، ورأى شاكلتون شيئاً حسبه رقعة من سماء صافية ، قال : « فهتفت بالرجال إن السحب ستنقشع ، ثم أدركت أن ما أبصرته ليس إلا زبد أضخم موجة رأيتها فى حياتى ، وصحت : « بالله عليكم تشبثوا بالزورق ، فهى مسرعة إلينا » ثم مرت فترة ترقّب خلتها طالت ساعات ، فحملت زورقنا وطوّحت به كأنه هو عود فى بحر خضم ، ولكن الزورق ظل طافياً ولا أدرى لماذا ، وأخذ يغالب ضغط الموجة الهائلة ويترنح لصدمتها ، وشرعنا ننزح الماء بنشاط امرىء يجاهد للنجاة من الهلاك ، وقضينا عشر دقائق ونحن فى شك من سلامتنا ، وأخيراً أحسسنا كأن الحياة دبت من جديد فى زورقنا »

ولم تفارق البشاشة شاكلتون برغم آلام عرق النسا ، وفتح آخر مزادة ماء كانت لديهم ، فوجد ماءها ملحاً يزيدهم عطشاً إذا شربوه . وكان ورسلى لا يستطيع أن يقف حتى يتبين لهم موقفهم بآلة الرصد إلا إذا أعانه رجلان حتى لا يقع من الزورق ، وتسنى له ذات ليلة بالرغم من الضباب الدائم الذى حجب الشمس ، أن يتبين أحد المواقع فإذا به جورجيا الجنوبية !

وهبّ فى تلك الليلة إعصار مخيف قذف بالزورق نحو الشاطىء ، واشتد عطشهم من جراء الماء الملح الذى كانوا يتجرعونه على مضض وتشققت منه شفاههم ، وتعالى رذاذ الأمواج فوق الزورق ، وأخذت الرياح تزمجر بمثل هدير الطائرات ، واتجه سير الزورق شطر جزيرة صغيرة والأمواج تدفعه بلا هوادة ، وحاروا فى أمرهم : أينزلون على الساحل أم يدورون حول الجزيرة لعلهم يجدون فيه مرفأ هادئاً ؟ وقال ورسلى : « سوف يرسو زورقنا على الساحل » فأجابه شاكلتون : « لابد من أن يرسو مهما يكن من شىء » .

واقترح شاكلتون فى اليوم التالى أن يرسو الزورق على الساحل ، وأن يجتاز ركابه الجزيرة حتى يبلغوا محطة صيد الحوت فى الجانب الآخر . وما كان ليدخل فى علم بشر ماذا تضمر هذه الثلاجات وجبال جورجيا الجنوبية التى تغطيها الثلوج ، ولكن شاكلتون أصرّ على تجربة ذلك الطريق ، إذ لو دار الزورق حول الجزيرة وتحطم على صخورها لمات الرجال المخلّفون فى جزيرة الفيل . فنزلوا على الساحل ووجدوا كهفاً ، وصادوا صغار طائر البطريق وذبحوها ، وبلغ الجوع بالرجال حتى أكلوا أيضاً عظامها . ثم وجدوا بالقرب منهم جدولا كان مذاقه فى حلوقهم كالشهد . وهيأوا لأنفسهم فراشاً

بتغطية الصخور بورق الشجر والأعشاب ، وتسنى لهم لأول مرة منذ أسبوعين ، أن يصيبوا شيئاً من الراحة والنوم .

وفي يوم ١٩ مايو سنة ١٩١٦ صحا الجوّ وتلألأ القمر ، وبدأ شاكلتون وكرين وورسلي رحلتهم لاجتياز الجزيرة ، وخلفوا وراءهم ثلاثة من رفاقهم لعجزهم عن متابعة السير ، وحمل الراحلون معهم مؤونة ثلاثة أيام ، وموقد بترول ، وبوصلة ، وكرونومترا و٩٠ قدماً من الحبال ، ومعولاً للاستعانة به في تهيئة مواضع لأقدامهم في الثلج ، وثبتوا مسامير في نعالهم ليسهل عليهم تسلق الثلوج . وقاد ورسلي أصحابه مسترشداً بالبوصلة ، وربطوا أنفسهم معا بالحبال ، وقد ساروا في دروب فإذا هي مسدودة ، وانتهى بهم المطاف إلى الرجوع إلى ساحل البحر ، ولكنهم أعادوا الكرة . ووقفوا ذات مرة يتمايلون على حافة هوة حفرتها في الثلوج تلك الرياح العاوية ، وكان عمقها ٢٠٠ قدم وعرضها مثل ذلك أيضاً ، فتراجعوا عنها ، وأخذ كل رجل منهم ينظر إلى زميله ، فلم يخفَ عليهم ماذا كان يحدث لهم لو هبّ عليهم إعصار مفاجىء ، إذن لقذف بهم إلى قرار الهوة . وانتهى بهم السير إلى نتوء بارز شاهق ، حتى إن الرجل منهم كان إذا استوى عليه تسنى له أن يجلس عليه ويدلى رجليه من كلا جانبيه . وقطع عليهم الضباب والظلام طريق العودة ، فإذا لم يتابعوا السير جمدت أبدانهم من شدة البرد ، وإذا أرادوا تهيئة درَج في الثلج للنزول على المنحدر فذلك عمل بطيء لا ترتجى منه فائدة ، فقال شاكلتون بعد هنيهة : « إنها مخاطرة عظيمة ، ولكن علينا أن نقدم عليها ، فلننزلق على هذا المنحدر » .

والانزلاق إلى مثل تلك الهوة في الظلام شيء لا يُعلم مصيره ، فقد تعترض الطريق صخرة يكون فيها الهلاك محققاً . فقال ورسلي : « فليكن ما تقول » ، وردد كرين نفس الكلمة .

وقال ورسلي فيما بعد يذكر ما حدث لهم : « لَفّ كل منا نصيبه من الحبل حتى صار كوسادة تصلح للانزلاق ، وجلس شاكلتون على درجة محفورة في الثلج وأحطت عنقه بيدى من خلف ، وفعل كرين معى مثل ذلك حتى أصبحنا كأننا جسد واحد ، ثم اندفع شاكلتون وهوى .

«وانطلقنا في الفضاء كالرصاصة المقذوفة ، ومرت برهة قفّ فيها شعر رأسي ، ثم أحسست فجأة بانتعاش يملأ نفسي وأدركت أنني أبتسم ، ووجدت لذلك نشوة هائلة ، وكنا ننحدر على سفح الهوة بسرعة ميل في الدقيقة ، وأخذت أصيح من فرط النشوة ،

ووجدت زميلىّ يصيحان أيضاً ، وبدا لنا أن انزلاقنا مأمون الغبة ، وهزأنا بالمخاوف التى تفضى إلى تحطمنا على الصخور .

« وأخذت سرعة انحدارنا تقل شيئاً فشيئاً حتى هبطنا على فراش وثير من الثلج عند سفح الجبل ، فوقفنا وأخذ كل منا يصافح أخاه .

« وقال شاكلتون بهدوء : « إنها لمتعة أن نجرب هذا الانزلاق مراراً » ، ولحسن الحظ كانت مخاطرتنا هذه المرة مجدية » .

ولما وصل ثلاثتهم إلى محطة صيد الحوت بعد أن اجتازوا جورجيا الجنوبية فى ٣٦ ساعة ، كان قد بلغ الشَّعَثُ منهم مبلغاً حتى أنكرهم رئيس المحطة ، وهو الذى كان قد احتفى بهم منذ سنتين ، فقد شاب شعر شاكلتون . ولما عاد ورسلى إلى مرسى الزورق لإنقاذ زملائه الثلاثة لم يعرفوه هم أيضاً ، إذ أصبح رجلاً آخر بعد أن استحم وحلق لحيته وارتدى ثياباً تليق به .

وقد وجدوا الرجال المخلفين فى جزيرة الفيل فى عافية ، اللهم إلا واحداً منهم بُتِرت أصابعه ، وقد عاش هؤلاء الرجال أربعة أشهر ونصف محتمين بقاربين مقلوبين ، تهب عليهم الأعاصير وتقذفهم بالثلوج من قمم الجبال . وهكذا انتهت آخر رحلة طويلة قام بها شاكلتون ، وقد مات وهو على وشك القيام برحلة أخرى . وإن مغامراته الجريئة فى البر والبحر لتذكرنا بالوصف الذى عرف به « إن أردت للقيادة رجلاً عالماً فعليك بسكوت ، وإن أردت لها رجلاً نشيطاً قديراً فعليك بأمندنسن ، أما إذا وقعت فى مأزق لا مخرج منه فاسجد لربك واسأله أن يُرسل إليك شاكلتون » .

كلمات العظماء الأخيرة

بيرون : « الآن ينبغى أن أنام » .

كيتس : « أحسُّ أن الأزهار قد أخذت تنمو وتتفتح أكمامها على جثمانى » .

ثورو : « أفارق العالم غير آسف » .

رابليه : « أسدلوا الستار ، فقد تمت المهزلة »

بتهوفن (وقد كان أصمَّ فى سنواته الأخيرة ، وألف ألحاناً كثيرة عجز عن سماعها) : « سوف أسمع فى الآخرة » .

ثيودرو روزفلت : « أرجوكم أن تطفئوا الأنوار » .

أسرار

إليـنور رايس • مختصرة من مجلة "يور لايف"

كان لصديقتي إيمي مكانة في قلبي ، فلما أنبأتني بما بينها وبين زوجها من شقاق همّني الأمر حتى فاتحت صديقتي سو في شأنه . وسو أهل للثقة ، فهي لا تصرف وقتها في القيل والقال ، وقلت لها : « لقد أسرّته إليّ ثقة بي ، فاكتميه » . فقالت : « بلا ريب ، ولك أن تطمئني إليّ » .

ولقيت إيمي بعد أسبوعين وذراعها في ذراع زوجها ، كأنهما تصافيا ، فحييتهما ، فذهلت حين رأيتهما لا يعبآن بتحيتي كأن لم يعرفاني قط ، فأمسكت ذراعها وقلت : « لا أعلم سرّ هذا الجفاء ، ولكنني لن أدعكما تشيحان عني دون أن أعرف السبب » .

فثارت ثورة إيمي وقالت : « أسررتُ إليك بما بيني وبين زوجي ولم أنبيء به أحداً سواك من الناس ، فرحت تذيعين الخبر يمينا وشمالا ، ولولا حسن الطالع لقضيت على زواجنا قضاء مبرماً » .

إنني لم أخبر أحداً سوى صديقتي سو ، وعرفت أنها لم تذع الخبر ، ولكنها حدّثت به زوجها لا غير . قالت : « إنني أفضي إلى زوجي بكل شيء ، ألا ترين أن النساء جميعاً يفضين إلى أزواجهن بكلّ شيء ؟ »

فعزمت أن أتقصىّ الحقيقة فما وجدت مشقة ، ومن العجب أن أحداً لم يذع بالسرّ ، ولكن كلا منهم كتمه على طريقته في كتمان الأسرار ، غير أن كلا منهم اهتم بقصة إيمي حبًّا لها ولزوجها ، فتحدّث سرًّا مع صديق لهُ يثق به .

فقد روى زوج سو الخبر لشريكه ، فرواهُ هذا لزوجته ، فروته لأعز صديقاتها ، فروته هذه لزوجها الذي يعمل في مكتب دان زوج إيمي . وذات صباح ربّت هذا الرجل على كتف دان وواساهُ فيما سمعهُ عن متاعبه.

فتعلمت درساً كلفني ثمناً فادحاً . فقد خسرت صديقتين ، وكان ما حدث خليقاً أن يدمر سعادتهما . ومثل هذا كثير ، وهو يتم دون أن يقصد المرء أن يسيء إلى غيره .

وحين أسمع اليوم أحداً يقول : « هذا سرٌّ مكتوم ، فلا تذكريه لأحد » أغير الموضوع . وقد كنت أحب القيل والقال ، ولكنني أعرف الآن أن الطريقة الوحيدة لكتمان السرّ ، سرّك وسرّ غيرك ، هي أن لا تفشيهُ لأحدٍ من الناس . ولا تستثنِ .

مجاهد في سبيل الحكم الطاهر

كارل دتسر

مختصرة من مجلة "ذى بروجرسيف"

شنّ حرباً على الرشوة وفساد الحكم فرفعه الناس من خمول الذكر إلى منصب الحاكم في ثلاث سنوات .

في اليوم الأول من هذه السنة تقلّد « كيم سيجلر » زمام الحكم في ولاية مشيجن الأمريكية . والحاكم الجديد رجلٌ في الثانية والخمسين من عمره ، كان محامياً في مدينة صغيرة ، فذاع صيته بأنه امرؤ يغضب للحق غضبة مزلزلة ، وأن جام غضبه ينصبّ على موظفي الولاية المرتشين ، وعلى الرجال الذين يرشونهم ، فترى أشرار أهل الولاية تأخذهم رعدة عندما يذكر اسمه ، وترى خيارهم يغتبطون بما يرون ويسمعون .

ففي ثلاث سنوات مشهودة سار الغضب للحقّ بهذا الرجل من خمول الذكر إلى أعلى منصب في الولاية ، وقد تمكن خلال هذه المدة من أن يظفر بإدانة خمسين من المرتشين من أعضاء الحزبين الجمهورى والديمقراطى ، فحكم عليهم بالسجن ، وكأن هذا النهج الخالق القوى قد فتن أعين الناس ، فإذا الناخبون في نوفمبر الماضي ينتخبونه حاكما للولاية عن الحزب الجمهورى ، على الرغم من أن سيجلر كان قد ظفر منذ عام أو أقلّ باستصدار حكم على زعيم ذلك الحزب نفسه في الولاية ، فألقى في غياهب السجن . وأغرب من هذا أن الناخبين في مناطق الريف ، الذين لايميلون في الغالب إلى أهل الأناقة من مرشحى السياسة ، هبّوا إلى تأييده بأكثرية بلغت ٨٠ في المئة ، وكانت الأكثرية التي نالها في الولاية كلها ٣٥٠ ألف صوت ، وهى أكثرية لم تعهد فيها من قبل .

ومن بين الرجال الذين ذهبوا ضحية سخط سيجلر وغضبته للحق والحكم الصالح ، وكيل سابق للحاكم ، واثنا عشر عضواً من أعضاء مجلس شيوخ الولاية ، وأحد عشر عضواً في مجلس نوابها ، وطائفة أخرى من

رجال النيابة والشرطة والدعاة المأجورين ، وأهل السياسة . فهؤلاء الرجال وأنصارهم كانوا جماعة قوية تألبت وهبت إلى مقاومة سيجلر فى انتخاب نوفمبر الماضى فقاومهم بغير هيئة منظمة تؤازره ، أو خطة سياسية يغرى بها الناخبين سوى وعده لهم بتطهير أداة الحكم فى الولاية . ولم يكن له مال يعتمد عليه فى حملة الانتخاب سوى ما كسبه بعرق الجبين فى المحاماة ، فلما سئل من أين له المال اللازم قال إن مكتبه يدر عليه ٣٠ ألف ريال فى السنة ، فلن يضن بها فى سبيل قضية نبيلة .

وسخط سيجلر كالألعاب النارية يبهر الناظرين ، فقى خطبه العامة وأحاديثه الخاصة يعمد إلى الألفاظ القوية اللاذعة . وقد خطب فى جماعة من كبار القوم فى إحدى ضواحى دترويت ، فأشار إلى « مزبلة الحكم فى العاصمة » وإلى « خدام الناس الذين يبيعون نفوسهم الخسيسة بالمال » ، فغص القوم بريقهم أولا ثم انطلقوا يهتفون بالموافقة على ما يقول . ثم ألقى الخطبة نفسها فى تلك الليلة دون أن يبدل حرفاً واحداً فيها فى جماعة من العمال ، فسرهم ماسمعوا أيضاً .

بدأ أهل الولاية يتسامعون بذكر « كيم سيجلر » سنة ١٩٤٣ ، فقد مضت سنوات والريبة تساور النفوس بأن فى حكومة الولاية فساداً كبيراً . وقد بدأ التحقيق فى نواحى هذا الفساد غير مرة ، ولكنه كان تحقيقاً فاتراً ، فكان ينتهى إلى حفظه أو إلى ذر الرماد فى العيون . فلما عين سيجلر نائباً عاماً للجنة المحلفين فى إحدى مقاطعات الولاية ، لم يتوقع أحد من الناس أن يسفر تحقيقه عن شىء ، فقد كانت جماعة المحققين القديمة تنشط إلى كشف الأدلة التى تشين صغار المشتغلين بالسياسة ، ولكنهم يغضون النظر عن كبارهم .

فلم يكد سيجلر يتولى منصبه الجديد حتى عزل هؤلاء المحققين جميعاً ، وأحل محلهم جماعة من شباب الشرطة فى الولاية ، فلم يعسر على هؤلاء أن يجدوا القاذورات التى ينبغى لهم أن يطهروا الولاية منها ، فكثير منها كان بادياً للعيان أو تستره غلالة رقيقة . فجعل النائب الجديد يستصدر الأوامر من المحكمة بإحضار الناس إلى التحقيق ، فعمد بعض رجال السياسة الذين أدهشهم مارأوا إلى تحذير سيجلر ، ونهوه عن أن يتمادى .

فأثار هذا التحذير غضبه وأجج نار سخطه .

وقد مر أمام لجنة المحلفين موكب من الرجال الذين استبد بهم الذعر ، وما لبث

أحد أعضاء مجلس الشيوخ فى الولاية حتى اعترف بأنه تلقى رُشى صغيرة — ثم أضاف أن غيره من زملائه قد تلقوا رُشى أكبر. ثم اعترف شيخ آخر ، ثم تبعته طائفة من النواب فاعترفوا بمثل اعترافه .

وقد بين مدير سابق لجامعة الولاية ، أنه كان وسيط الرشوة فى سنّ طائفة من القوانين . ثم تقدم صاحب صحيفة ذات مكانة تصدر فى مدينة صغيرة ، فقال إنه لم يأخذ الرشى وحسب بل دفع الرشى أيضاً . ثم جاء كبير مجلس الشيوخ ، وهو رجل فى الخامسة والسبعين رفيع المكانة بين القوم ، فاعترف بآثامه ، ثم انتحر .

وما لبث التحقيق أن شمل كثيرين من النصابين والمرابين إلى رؤساء الشركات ، وسكرتير الجمعية الطبية فى الولاية ، والممثل لجماعة أطباء العظام ، وأنصارهم والدعاة لهم . وقد تمكن سيجلر فى بحر سنتين ، من أن يدين واحداً وأربعين منهم ، وتقدم اثناعشر رجلاً آخر من المرتشين إلى هيئة المحلفين واعترفوا بما جنت أيديهم . ووجهت التهمة إلى ثمانية عشر آخرين ، فأقاموا ينتظرون تقديمهم للمحاكمة ، يوم انصرف سيجلر إلى أهمّ قضاياه .

فقد اتهم الزعيم السياسىّ فى الولاية بتآمره مع عصابة من عصابات الخمور ، وكان شاهده الأكبر ، رجلاً من أعضاء مجلس الشيوخ فى الولاية يدعى وارن هوبر الذى اعترف بأنه أخذ رشى ، ولكن هوبر خطف قبل موعد شهادته بأسبوعين ، ثم قتل بالرصاص ، وتركت جثته فى سيارة شبت فيها النار .

فتولى سيجلر بنفسه البحث عن المجرمين ، فكشف ثلاثة من رجال العصابات فى دترويت ، وأقام الدليل على أنهم تآمروا على قتل هوبر ، فأدينوا وحكم عليهم بالسجن مدة طويلة .

أما وقد قضى على الشاهد الأول الذى كان سيجلر يعتمد عليه ، فقد ألفت المحكمة نفسها مضطرة أن تحفظ القضية لعدم قيام الدليل . فهبّ خصوم سيجلر إلى مهاجمته ، وعينت لجنة من أعضاء مجلس الشيوخ فجعلت تحقق مع سيجلر ، فاتهمته بأنه بدد مال دافعى الضرائب ، وطلبت أن تطلع على سجلات هيئة المحكمين ، بما فيها الأدلة المتخذة أساساً للأحكام المنتظرة ، فتأبّى سيجلر عن إجابة هذا الطلب ، ولكن اللجنة استصدرت أمراً من المحكمة ، وظفرت بالسجلات ، ومالبث سيجلر حتى فُصل .

وقرر زيجلر أنه قد قام بنصيبه من الجهاد بعد ٢٨ شهراً من الحرب على الرشوة والفساد ، فإذا كان أهل مشيجن لا يريدونه

أن ينجز المهمة ، فلن يحدث من أجل ذلك أزمة ، فقد بلغ منه التعب ، وهو يرغب فى العودة إلى المحاماة . وشرع يعد حقائبه للسفر ، فإذا صحفيان من دترويت يدخلان عليه ، وكانا من الصحفيين الذين عهد إليهم تتبع أخبار التحقيق، فوقفا على أشياء كثيرة لم يتمكنا من نشرها ، وقد منح أحدهما جائزة بوليتسر الصحفية من أجل الرسائل التى كتبها عن هذه الفضيحة .

فسألوه : « إلى أين أيها الرجل ؟ »

فقال سيجلر : « سأعود إلى بيتى ، فقد نفضت يدى من هذا الأمر » .

فجادلاه: « لا ، لن تعود ، وكيف تنفض يدك ، ولما تُنجز إلا شطراً من مهمتك »

فقال: «ليس فى وسعى أن أصنع شيئاً»

فقالا : « بل تستطيع ، فى وسعك أن تكون حاكم مشيجن التالى، ويومئذ تستطيع أن تأخذ السبُل على هؤلاء المجرمين ، ويسرنا أن نعينك حتى تظفر بالمنصب » .

وقد ظل سيجلر يومين وهو يتردد محاولاً أن يحزم رأيه ، وكانت الرسائل والبرقيات تتوالى عليه من جميع أرجاء الولاية تحثه على مواصلة النضال ، فعزم أن يخوض معركة الانتخاب .

ولم يكن له من معين فى أول الأمر سوى المخبرين وفتاة اتخذها سكرتيرة وأخيها الصغير ، أما المشتغلون بالسياسة من الحزبين فقد تجاهلوه ولم يعبأوا به .

وكان أهل مشيجن يجهلون أصله ونشأته حتى فى يوم الانتخاب — فلم يدروا أنه ولد فى مزرعة فى ولاية أخرى، وأنه قضى حداثته فى كوخ حقير ، أو أنه صار أفّاقاً بين أيام المدرسة الثانوية وأيام الدراسة فى الجامعة ، فجعل يطوف هنا وهناك ويكسب رزقه اليسير من طريق الملاكمة . وكان سيجلر لايدرى مالهذه النشأة من وقع فى نفوس الناخبين ، فأهمل الإشارة إليها فى الدعوة إلى انتخابه .

وقد درس سيجلر القانون فى مدرسة دترويت ، فكان يدرس فى النهار ويشتغل فى مصنع فورد فى الليل ، وبدأ يمارس المحاماة فى قرية لايزيد سكانها على خمسة آلاف نفس ، وانتخب ثلاث مرات مدعياً للمقاطعة عن الحزب الديمقراطى ، ولم يخسر سوى قضية واحدة فى ست سنوات . فلما صار وندل ولكى رئيسَ الحزب الجمهورى انصرف سيجلر عن الديمقراطيين إلى الجمهوريين ، ورشح نفسه لمجلس الشيوخ ، ولمنصب النائب العام ، فهزم هزيمة منكرة فى الحالين .

فلما تقدم لمنصب الحاكم ، أعلن أنه من أتباع الحزب الجمهورى، وظفر بالترشيح عن

الحزب متغلباً على ثلاثة من المنافسين المشهورين. ومن ثمَّ بدأ النضال مع مرشح الحزب الديمقراطىّ ، وهو حاكمٌ سابق للولاية ، طاهر اليدين يفعل مايقول ، وظنَّ زعماء الحزب الديمقراطى أنهم يستطيعون أن ينتفعوا بما أثر عن سيجلر من سخط على فساد الحكم ، فأقنعوا مرشحهم بأن يعلن : « لست ساخطاً على أحد » ، فكان رد سيجلر: « أما أنا فسخطى لاحدود له ، أنا ساخط على المجرمين الذين يتولون مناصب الحكم ، وعلى الأشرار ورؤساء العصابات الذين يظنون أن الولاية ملك يمينهم »

وجعل يطوّف فى الولاية طولا وعرضاً يحدث الناخبين ، عند ملتقى الطرقات وفى ميادين المحاكم ، ويعقد اجتماعات صغيرة بدلاً من الحفلات الكبيرة التى تلقى فيها الخطب الرنانة. وكان يقول لمن يلقاهم من الناس: « أود أن أسمع آراءكم عن حكومة الولاية وقد جئتكم لكى أجيب عمّا تريدون أن توجهوه إلىَّ من الأسئلة » .

وبهذا الأسلوب الساحر نال مودتهم ، فكان إذا مادار الحديث على الأشرار القائمين فى مناصب الحكم ، لا يُعفِى من لسانه أحداً يستحق الملامة ، ثم يسدد نظره إلى عيون الناس من حوله ويقول : « الذنب ذنبكم ، فلو عنينا جميعاً ــ أنا وأنتم ــ بما يجب علينا ، لما انتهت الأمور إلى هذه العاقبة الوخيمة »

وصارت الاجتماعات التى يعقدها كأنها اجتماعات دينية ، وكثيراً ماحدث بعد الفراغ من حديثه أن تقدم رجال ونساء من أوساط الناس ، وألقوا بدريهماتهم ، حتى يستعين بها سيجلر على توفية نفقات الانتخاب ، وأما سيجلر فلم يطلب منهم مالاً ، فقد كان حسبه أن يحدثهم عن الحكومة الصالحة .

وهو الآن فى كرسى الحاكم ، وسوف يلقى فى سجن مشيجن بطائفة أخرى من المرتشين والمجرمين والأشرار ، وفى وسع أهل الولاية أن يثقوا بأن « كيم سيجلر » متى سمع بقصة جديدة عن فساد الحكم والرشوة ، فإن نار غضبه سوف تتضرم لتأكل كل شرّير مفسد .

مُلَّ المقامُ ، فكم أعاشرُ أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها !
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعَدَوْا مصالحها وهم أُجَراؤها
[أبو العلاء المعرى]

ربما ندم من تزوج ، أما من لم يتزوج فلا مناص له من الندم .
[مثل تشيكوسلوفاكى]

كيف يداوى الحيوان أمراضه وأوجاعه ؟

أمنا الطبيعة أعلم...

أرشيبولد رتلدج

مختصرة من مجلة "فرجينيا كوارترلي"

لما كنت في الريف كنت مولعاً بتربية طائفة من الحيوانات الوحشية وتأليفها ، فكان من بينها خشف، هو ولد ظبية من الظباء البيض الأذناب . وذات يوم مرّ بجانب حاجز من الأسلاك الشائكة فأحدثت في جنبه جرحاً رغيباً ، فأخذته من فوري وغسلت الجرح بالماء المعقم وضمدته بالضمادات ، غير أن مريضي هذا نزع الضمادات وألقاها ، وجعل يلعق مكان الجرح مترفقاً لكي ينحّي عنه الشعر الذي كان يغطيه ، حتى تركه كله معرضاً للهواء وضوء الشمس . وظل هذا الخشف يتعهد جرحه بنفسه ، فلم يلبث أن برأ مما أصابه .

والظاهر أن الطيور والحيوانات تعلم حق العلم أيّ الأعشاب أقدر على إبراء كل مرض بعينه ، وقد اهتدى أسلافنا الأوائل وقدماء الهنود الحمر إلى معرفة أصول الطب بمراقبتهم الحيوانات وهي تسعى إلى النبات الذي تتداوى به من جرح أو حمى أو سوء هضم ، وبملاحظتهم دُباً ينبش الأرض ليستخرج جذور نبات السرخس، وبمراعاتهم الديكة الرومية الوحشية في زمن الأمطار وهي تُكرِه صغارها على أكل ورق نباتات التوابل ، وبرؤيتهم ذئباً لدغته حية وهو يمضغ جذور نبات الترياق (اللوف العطرى) مضغ الواثق بالشفاء .

وقد يأخذك العجب لسباع الطير آكلة الجيف كيف لاتعتريها العلل من هذا الطعام؟ ولاعجب ، فإن الطبيعة قد جعلت النسر أصلع الهامة لاريش عليها ، وجعلته يتشدد في تنقية منقاره الضخم مما يعلق به . وفضلا عن ذلك ، أني لاأعرف طائراً سوى النسر يحرص على أن يختار مكاناً عالياً ضاحياً للشمس ، فيجثم فوقه ناشراً جناحيه طلباً لتنقية ريشه من كل درَن ، فإن سيرته في الحياة تقتضيه أشد الحرص على النظافة والتطهر ، وإنه لحريص عليهما .

وللطيور ، والحيوانات جميعاً مواقيت تستحم فيها ، لا لتنفي عن أبدانها ما علق بها من الطفيليات وحسب ، بل لترد عن نفسها أيضاً كل ما تخشاه من أسباب الأمراض . ولها في استحمامها طرائق مختلفة — فهي

تستحم بالماء والشمس والطين والتراب . ومن عادة الذئب الأغبر أن يستحم بالمياه الكبريتية الدافئة فتخفف عنه بعض الأوجاع والآلام التي تصحب تقدمه في السن . ومن عادة السُّمانى والطَّيْهوج المطوّق (نوع من رتبة الدجاج) والديك الرومى الوحشى، أن تستحم متمرغة فى التراب لتتقى بذلك غوائل الهوامّ التى تعلق بأبدانها .

والطيور والحيوانات إذا أصابها جرح عمدت إلى عمل سريع سديد مُحكم ، فإذا انطبق عليها فخ أو أصابها شيء جعل إحدى قوائمها تنخلع وتتدلى من جراء كسر فى العظم ، لم تتردد فى بتر هذا العضو . وقد نصبت وأنا صغير فخاً من الحديد فى حديقة، فلما طلع الصباح رأيت أرنبة رابضة بجوار الفخ الذى أطبق على أحد صغارها، وكانت تتولى بتر ساقه لكى تخلصه ، ومن يومئذ حرّمت على نفسى نصب فخاخ الحديد .

وأعجب من جراءة الحيوان على بتره بعض أعضائه بنفسه ، شدة عنايته بجروحه. فجُرَذ المِسك الأمريكى (وهو حيوان مائى) يغطى مثل هذا الجرح بصمغ نبات الشوكران المخدر ، وبذلك يردّ عنه الأوضار والجراثيم التى قد تكون كامنة فى الماء الذى يسبح فيه . والدببة أيضاً تغطى جروحها بنبات التنوب الفضى أو بصمغ الشوكران، وربما دهنتها بشيء من الصلصال ، ولكن جرذ المسك لا يستعمل الصلصال فيما أعلم ، لأنه يعرف أن الماء يذيبه . أما السعلاة (قرد شبيه بالإنسان) والبعام (الشمبنزى) والغورلىّ ، فإن أحدها إذا جرح اجتهد أن يحبس الدم بكفه ، ثم يحشو الجرح الفاغر ببعض مايرقأ الدم من أوراق الشجر الذكى الرائحة .

والظاهر أن بعض الطيور تدرك ضرورة اتخاذ الجبيرة للجناح المهيض أو المكسور ، وقد رأيت أنا ديكاً رومياً مهيض الجناح قد اضطجع على هيئة بعينها وأدنى منقاره من العضو المكسور ليعدله به ، وظل يجهد جهده حتى يقيم جناحه ويردّه إلى الصورة الأولى التى ينبغى أن يتماسك عليها بعد البُرء . ولقد انجبر هذا الكسر تماماً، وإن بقى الجناح مائلاً بعض الميل عن مستوى الجناح الآخر . ويعرف أهل الغابات حق المعرفة أن دجاج الأرض إذا انكسرت ساقه يتخذ للعضو المصاب جبيرة من الصلصال ، وربما قواها أحياناً ببعض الجذور ذات الألياف .

وكان عندى سنجاب طائر حبيس فى قفص كبير ، فذات ليلة علقت إحدى يديه فى شق فى القفص ، فجن جنونه وبذل جهده الجاهد فى الخلاص فانكسرت يده ، فرأيته بقى

أياماً طوالا منبطحاً على الأرض باسطاً يده على هيئة واحدة لا يغيِّرها . فهذا المخلوق المتوقد الذى لا يهدأ قد انقلب ساكناً عاكفاً على همه الأعظم فى مداواة ما أصابه ، وقد فعل ذلك بأن اعتصم بالهدوء التام وهو مستبشر خيراً فيما أظن .

وكل حيوانٍ وحشى إذا أُصيب فإنه يجعل أكبر همه التماس العزلة والخلوة التامة . ثم لا يقتصر أمره على شدة العناية بجرحه الظاهر ، بل يلتمس العلاج لأحشائه أيضاً ، فقد يحاول القىء حتى يقىء ، والأغلب أن يعمد إلى تعاطى بعض النباتات المسهلة . وكل حيوان من فصيلة السنانير وفصيلة الكلاب يعمد إلى أكل بعض العشب الأخضر إذا أثقله مرض أو نال جسمه وجع ، أما الدببة الوحشية فتأكل ثمر العليق وبعض الجذور التى تعقب ليناً فى الأحشاء . وأما الحيوانات اللبُونة ذوات الحافر والظلف والخف فقلما تحتاج إلى مسهل ، بل ربما احتاجت إلى ضده أى إلى دواء قابض ، وهى تلتمسه فى لحاء الشجر وأفنانه الرطبة العامرة بالحامض التنيك .

والحيوان إذا اعترته الحمى ، فمن دأبه أن يتطلب لنفسه مكاناً ظليلاً طلق الهواء قريباً من الماء ، ويظل قاراً ساكنا ، ويأكل قليلا ويشرب كثيراً حتى يتماثل . فإذا أصابه برد أو شبهه ، تراه يلتمس أدفأ مكان يوفق إليه تحت وهج الشمس ، حتى يستوعب بدنه أكبر قدر ممكن من الحرارة .

والحيوانات والطيور تغير ألوان طعامها تبعاً لتغير الفصول التى تقتضيها أن تلائم بينها وبين حاجاتها ، فيتم لها ذلك بغريزة سديدة لا تخطىء . ففى جنوب أمريكا مثلاً ، حيث تكثر الأخاديد التى بقيت من أعمال استخراج الفسفات ، ترى الأيايل والوعول تقطع الأميال الطوال لكى تشرب من ماء هذه الأخاديد ، وهو ماء عامر بالجير الذى يقوى نموّ قرونها .

وجميع إناث الطيور تحتاج إلى الجير الذى يعين قشرة بيضها على التكون . ومن المألوف أن يرى المرء الطيور ، حتى التى تعيش منها فى النجود ، وقد آوت فى زمن سفادها إلى حيث يوجد محار البحر ، إذ لابد لها من الجير ، وهى تعرف أين تجده .

وكل حيوان وحشى إذا هو مرض أو جرح لجأ إلى العلاج العتيق الذى هدته إليه الطبيعة : وهو العقاقير والهواء النقى ، والراحة التامة . وأنا إذا أخذنى العجب من قدرة هذه الحيوانات على علاج نفسها بنفسها ، انصرف أكبر عجبى إلى عزيمتها التى لا تتزعزع وهى تتولى علاج نفسها بنفسها .

غرائبُ الاستشفاف

إرنست هنتر رايت

مختصرة من مجلة "هاربرز"

أني وسع المرء أن « يقرأ » الفكر الذى يجول فى عقل امرىء آخر ؟ أيستطيع أن « يرى » شيئاً محجوباً عن عينيه وسائر حواسه ؟ وهل « الاستشفاف » أو « الكشف » ، حقيقة أو وهم ؟*

ليس عندى دليل ولا رأى أريدك على الأخذ به ، وإنما أريد أن أعرض طائفة من الحقائق ، ولك أن ترى رأيك فيها . ولما كانت هذه الحقائق خليقة بأن تدهشك كما أدهشتنى ، فيجمل بى أن أقول إننى قد استوثقت من صحتها .

ما أكثر الذين يحدثوننا عن أحلام قد تحققت ، ولكل امرىء تقريباً صديق يؤكد له أنه رأى رؤيا صادقة ، واثنان أو ثلاثة يؤكدون بأن هاتفاً قد أنذرهم بقرب وقوع حوادث معينة فى أماكن بعيدة . وقد تمَّ بحث شمل عشرة آلاف من صفوة الرجال والنساء ، فثبت أن ٢٥ فى المئة منهم اعترفوا بوقوع مثل هذه الحوادث لهم ، وأكثر الناس يضرب صفحاً عن أمثال هذه الروايات ، لأنها مخالفة لتجارب البشر ، فهى بعيدة الاحتمال ، ثمَّ لأنه من النادر قيام الدليل على صحتها بالبرهان أو الاستقصاء .

بيد أن هناك أشياء يصحُّ لنا أن نرويها لأن صحتها ثابتة ، ولأنها تختلف اختلافاً كبيراً عن الروايات التى لم يعززها الدليل ، وهى نتيجة طائفة كبيرة من تجارب بسيطة ، ولكنها علمية ، وأدق وأحكم من كلّ ما سبقها .

قصدت إلى جامعة ديوك فجلست إلى مائدة وجلست بإزائى فتاة قامت بعمل لا أستطيع أن أعلله ، وكان فى وسط المائدة بيننا حاجز من خشب ، بلغ من الارتفاع والسعة مبلغاً يُعجز كلاً منا عن أن يرى صاحبه ، وأمسكت بيدى رزمة فيها ٢٥ بطاقة خلطت بعضها ببعض ووضعتها على المائدة ووجوهها إلى أسفل ، وجعلت الفتاة تذكر العلامات التى على البطاقات من أعلاها إلى أسفلها ، وأنا أسجل ماتقول ، وكانت سرعتها تفوق سرعتى فى التسجيل . وقد أعدنا الكرة عشرين مرة ، وكنت كل مرة أخلط البطاقات

---

* الاستشفاف : قراءة الأفكار Telepathy
الكشف : رؤية المحجوب Clairvoyance

خلطاً جديداً، أى أن الفتاة حاولت أن تذكر العلامات على ٥٠٠ بطاقة ، وقد تمَّ كلُّ ذلك فى نصف ساعة . فلما حسبنا ما أصابت فيه وما أخطأت ، وجدنا أن نسبة الإصابة قد بلغت حدَّ العجب. ولا يمكن تعليل إصابتها بالمصادفة إلا بنسبة واحد فى ستمئة مليون .

بدأ جوزيف بانكس راين الأستاذ بجامعة ديوك هذه التجارب منذ خمس عشرة سنة ، عسى أن يعرف معرفة قاطعة أهناك شىء يسمّى استشفافاً أو كشفاً أو أى إدراك آخر خارج عن نطاق الحواس الخمس . وقد اتصلت تجاربه وسجل منها مئة ألف تجربة أو أكثر .

والتجارب المختلفة تتمُّ برزم من البطاقات فى كل منها ٢٥ بطاقة ، وعلى وجه كل بطاقة رسم من خمسة رسوم : دائرة أو مستطيل أو نجمة أو صليب أو طائفة من خطوط متماوجة ، وكان الأستاذ يطلب من كل من يتقدم للتجربة ، مهما تفاوتت أحوالهم ، طلباً واحداً : هو أن يذكر العلامة على كل منها بغير أن يراها أو يتصل بها بأية حاسة من حواسه . ولو تمَّ الأمر مصادفة ، لكان معدل الإصابة واحداً فى خمسة . وكان يريد أن يتبين هل هناك من يستطيع أن يكون معدل إصابته أكبر من معدل المصادفة ، وقد كان نصف التجارب خاصاً بالكشف ، والنصف الآخر خاصاً بالاستشفاف

فإذا أخذ المجرِّب البطاقات واحدة بعد واحدة ، ولم ينظر إليها حتى يذكر الوسيط نوع العلامة المرسومة عليها ، كان ذلك امتحاناً للكشف ، لأنَّ العلامة المرسومة كانت غير معروفة لأحد على الإطلاق . أما إذا فكر المجرِّب فى علامةٍ ما دون أن تكون هناك بطاقة بين يديه ، وطلب إلى الوسيط أن يعرف العلامة التى فكر فيها ، عُدَّ ذلك امتحاناً للاستشفاف .

وقد أسفرت هذه التجارب عن عجب من العجب ، فقد كشفت نحو عشرين رجلاً وامرأة استطاعوا أن يصيبوا فى ذكر علامات عدد كبير من البطاقات، وفى تجارب متعددة متفاوتة ، حتى ليستحيل أن تعدَّ إصابتهم من قبيل المصادفة إلا بنسبة واحد إلى عدة بلايين . وقد بلغ نجاحهم فى جملته مبلغاً يذهل العقل ، حتى لا نجد مندوحة عن التسليم بأحد أمرين : إما أن نؤمن بالكشف والاستشفاف ، وإما أن يكون كل ذلك هراءً .

كان النجاح العجيب الأول هو نجاح لنزماير، أحد طلبة جامعة ديوك . ففى التجربة التى كانت تمهيداً لامتحانه ، أصاب فى ذكر العلامات على ٢١ بطاقة من ٤٥ بطاقة.. ولو كان الأمر مصادفة لما أصاب إلا فى تسع

بطاقات. وقد جلس للتجربة فى الأيام التالية، فذكر العلامات على ٦٠٠ بطاقة فأصاب فى ٢٣٨ منها ، ولو كانت مصادفة لما زاد احتمال إصابته على نسبة واحد فى مئة دشليون . وفى تجربة أخرى أجريت على لنزماير ذكر العلامات على ٢٥ بطاقة فأصاب فى ٢١ ، وقد أصاب فى ذكر ١٥ منها على التوالى .

وقد أجريت ١١٫٢٥٠ تجربة على هوبرت بيرس من طلبة الفقه ، وقد أجرى بعضها يوم كان مريضاً أو مضطرب النفس ، فبلغ معدل إصابته فى التجارب جميعاً تسعاً فى خمس وعشرين . أما جورج زركل فقد أجريت عليه ٣٫٤٠٠ تجربة فكان معدل إصابته أحد عشر فى خمس وعشرين ، وكان معدلهما كليهما أعلى من المعدّل الذى يقررّه حساب المصادفة . ولو كانت إصابتهما مصادفة وحسب ، لكانا خليقين أن يكونا دون المعدل أو فوقه .

ولم يكن للمسافة بين الوسيط ورزمة البطاقات أثر ما فى زيادة نجاحه أو تقليله فى أغلب الحالات ، فقد أجرى بيرس ٦٠٠ تجربة وقف فيها وراء ستار ، فكان معدل نجاحه ٩ فى ٢٥ ، وأجرى ٣٠٠ تجربة وهو فى بناية غير البناية التى تضمّ المجرّب والبطاقات فكان معدل إصابته ٩٫٩ فى ٢٥ ، وأجرت سارة أوبنى وماى ترنر ٢٠٠ تجربة على بعد ٢٥٠ ميلاً من البطاقات فكان معدّل إصابتهما ١٠٫١ فى ٢٥ .

واتفق مراراً أن بلغ معدل زركل ٢٢ فى ٢٥ ، وذكر مرة واحدة العلامة الصحيحة فى ٢٦ بطاقة متوالية من خمسين، وذكر بيرس مرة واحدة العلامة الصحيحة فى ٢٥ بطاقة من رزمة تحتوى ٢٥ . ولو كان مرجع ذلك إلى المصادفة لما كان احتمال إصابته يزيد على واحد فى ٢٩٨٫٠٢٣٫٢٢٣٫٨٧٦٫٩٥٣٫١٢٥ . ولو عرض عليه هذا العدد الضخم من البطاقات وذكر علامة كل منها مرة كل نصف دقيقة ، فى عشر ساعات كل يوم من أيام السنة ، لاستغرق ذلك ٦٠٠ بليون سنة.

إن النتائج التى أسفرت عنها هذه التجارب التى عدتها ١٠٠ ألف ، تعدُّ دليلاً هائلاً . وقد بلغ من ثقة الدكتور راين وصحبه بأن الكشف والاستشفاف من الحقائق العلمية ، أنك تراهم قد انصرفوا زمناً عن إجراء تجارب أخرى غرضها إثبات هذا القول وحسب ، ولكنهم لا يزالون معنيين بالبحث، لا لكى يثبتوا وجود هذه القوى العقلية ، بل ليدركوا كنهها ، وهل فى الوسع تربيتها، وإلى أى مدى ، وكيف تفعل فعلها ، وهو أهم ما في الأمر .

فإذا سلمنا بالقدرة على الاستشفاف والكشف ، كما يسلم بهما الأستاذ راين ،

فماذا عسانا نقـول فى تعليلها ؟ أتبقى سراً محجوباً عن أفهامنا كالجاذبية والتماسك ، أم نستطيع أن نميط اللثام قليلاً عن كنهها ؟ ونحن لانزال فى ظلام دامس فلا نستطيع أن نقطع برأى، ولكن هناك أشياء نستطيع أن نذكرها حتى ينجلى الحق :

وأولها أن هذه القدرة تبدو حقاً خارجة عن نطاق الحواس ، وليس ثمة ما يدل على أنها حاسة سادسة ، وجميع الرجال والنساء الذين يتصفون بها مقتنعون بأنهم لايستطيعون أن يعرفوا لها مركزاً فى أبدانهم ، كما يعرفون أن العينين مركز لحاسة البصر، فهم يجيبون بيدنهم جملة واحدة ، ولا نستطيع أن نعلل الكشف والاستشفاف بنظرية من نظريات الإشعاع، فينبغى أن نعدّهما موهبتين عقليتين منفصلتين عن الحواسّ .

ويلوح أن هذه القوة ليست قوةً كامنة، وهذا يقضى على ظنّ متقادم بأن أول ماينبغى لمن يحسن الكشف هـو أن يستغرق فى النوم ، أو أن ينام نوماً خفيفاً ، حتى يتسنى له أن « يرى » الأشياء كما تطوف بذهنه الخالى ، بل ينبغى للوسيط أن يكون يقظاً متنبهاً . وقد ظهر فى كلّ حالة من الحالات ، أن معدل الإصابة يقلّ إذا كان الوسـيط متوعكاً أومهموماً أومتعباً أوشارد الفكر. وفى حالات كثيرة كان الوسيط يعطى وهو فى وسط سلسلة من التجارب ، حبة فيها مادة مخدرة لكى يرى المجرِّبون كيف تؤثر فى معدل إصابته، ثم يعطى حبة فيهامادة منبِّهة للغرض نفسه . وكان الرجل لايعلم فى أغلب الأحيان ما تحتويه الحبـــة التى تُقدم له ، أو ما ينتظر من تأثيرها فى قدرته .

وقد أفضى تعاطى المخدِّر فى كل مرة إلى هبوط معدّل النجاح ، وكان الهبوط على الأكثر إلى المعـدل الذى يقتضيه حساب المصادفة . أماالمادة المنبِّهة فكانت ترفع المعدل مهما كان عالياً قبل أخذها .

ويلوح أن هذه الموهبة عمل من أعمال العقل فى نشاطه ، وهى ألطف وأخفى من معظم قوانا العقلية ، ولكنها موهبة طبيعية لاتزال فى أول عهدظهورهافى النوع البشرى لا فى آخره . ولما كانت قدرة خارجة عن نطاق الحواس ، فهى أعلى مرتبة من قدرة الحواس نفسها ، ولذلك يغلب على الظن أنها تتأخر عنها فى مدارج التطور .

ويلوح أن الكشف والاستشفاف موهبة واحدة تتجـلى فى مظهرين مختلفين . وقد أثبتت التجارب حتى الآن أن كل من يتمتع بإحداها يتمتع بالأخرى أيضاً ، أما قوتهما فيه فتكون من مرتبة واحدة ، فمعدل إصابة وسيط فى تجارب الكشف الخالصة يعادل معدل إصابته فى تجارب الاستشفاف الخالصة.

فإذا صدق هذا فربما أفضى بنا إلى فرض جرىء. ففى عصور التاريخ جميعاً، وفى جميع أقطار الأرض اليوم، طوائف من خيرة الرجال والنساء وقعت لهم تجارب عقلية منوّعة عجزوا عن فهمها. فالروايات تتوالى على أن ما وقع لجان دارك وللحكيم الإيطالى سافو نارولا يقع مثله اليوم لعدد وافر من أوساط الناس، فلا يجوز لنا أن نتغاضى عنه. وهذا الضرب من التجارب يطلق عليه وصف (باراسيكولوجى) أى التجارب النفسية التى نعجز عن تعليلها. وهذا هو الموضوع الذى اتخذه الأستاذ راين ميداناً لبحثه، وإنه ليتوق هو ومعاونوه إلى أن يفحصوا هذا الضرب من التجارب ويمتحنوها بكل امتحان يقتضيه العلم. وهو يظن أنه قد أقام الدليل على أن كل امرىء يستطيع أن يستطلع بعض الاستطلاع ما يحفّ به دون أن يستعين بحواسه. وعنده ما يحمله على الاعتقاد بأن فى وسع كل إنسان أن يُبين عن قليل أو كثير من هذه المقدرة متى ألمّ ببعض الأحوال الدقيقة التى تسمح بتكشفها، إلا أنه قد حصر أكثر بحثه حتى اليوم فى رجال ونساء تتجلى فيهم هذه الموهبة، وهذا صواب.

ومما يجدر بالذكر أن كلاًّ من الوسطاء الثمانية الذين تتجلى فيه قدرة الإدراك بغير الحواس، هم من أسر فى كل منها فردٌ أو أكثر من الذين وقعت لهم هذه التجارب «الباراسيكولوجية». وقد كان لأحدهم أمٌّ وخالٌ تهتف بهما الهواتف. وكان لآخر أب يَرَى بعض الرؤى الصادقة، وقد رأى أبوه وأمه رؤيا فتمت كما رأياها. وكان لثالث أمٌّ لها قدرة غير عادية على الكشف، وكانت تظن أنها مؤاخية «لأرواح» شتى. ولما كان الدكتور راين، لم يعثر على وسيط ممتاز ليس له قريب وقعت له حوادث من هذا القبيل، فيلوح أن هذه المواهب الغريبة تنحدر وراثة فى الأسر.

أما الفرض الجرىء فهو هذا: لما كان البحث قد عزل ظاهرتى الاستشفاف والكشف وهما أشيع الظواهر الباراسيكولوجية، ودلّ على أنهما شىء واحد، ولما كان الرجال والنساء اللذان تتجليان فيهم لهم من أهلهم الأدنين من هو عرضة للتجارب المختلفة التى من هذا القبيل، فربما نجد فى هاتين الحقيقتين سرّ الألغاز العقلية الكثيرة التى ما فتئت تحيّر الناس منذ قديم الزمان.

كيف تقولين: "تعالَ إلىَّ"؟

أنستولى أبوست • مختصرة من صحيفة "بلتيمور صنداى صن"

روى لى أحد رجال المسرح أنهُ ألفى نفسه ذات يوم فى مأزق حرج ، فقد كان لأحد أصحابه فضلٌ عليه ، فجاءته ابنة ذلك الرجل تطلب دوراً فى مسرحية جديدة يُعدّها ، ولم يكن للفتاة تجربة سابقة فى التمثيل . فقال لها : « أعطيك الدور إذا وسعك أن تقولى كلمتين وحسب على وجه يرضينى » . فقالت : « أنا واثقة أنى أستطيع ، فما هما » .

فقال : « إن الكلمتين هما : تعالَ إلىّ » ، وينبغى لك أن تقوليهما ثلاث مرات . أما فى المرة الأولى فتصوّرى أنك فتاة سريعة الغضب ، وأنك مدلهة بحبّ شابّ ، وأنك فرغت لساعتك من شجار معه وأمرته أن يدعك وشأنك إلى الأبد . وها هو ذا قد سار إلى الباب مطأطىء الرأس ، فتلمحين فى جيبه شكل مسدّس فتظنين أنه سوف ينتحر ، وإذا بك تتحققين فجأة أنه الدنيا كلها فى عينك ، فيستبد بك الذعر وتأنيب الضمير فتهتفين به : « تعال إلىّ » .

« ثم تصوّرى أنك أمٌّ ولك ولد صغير فى الرابعة من عمره ، وقد ألبسته ثوباً جديداً وأمرته أن ينتظر أمام البيت ، فعصاك وخرج إلى الشارع ، وإذا بسيارة نقل تظهر فتكاد تدهسه ، وها هو ذا ملقى فى الشارع ، وثوبه الجديد يعلوهُ الوحل ، فهزك الخوف والذعر ، ثم غمرك الفرح بأنه لا يزال حياً ، واستبدّ بك الغضب لأنه عصى أمرك — كل هذا أريد أن أسمعه منك حين تقولين : « تعال إلىّ » .

« وأخيراً تصوّرى أنك زوجة صاحب مصرف صغير فى قرية ، وأن المصرف قد أفلس ، وإذا على باب بيتك جمهور من الذين خسروا ودائعهم ، وهم غضاب يودون لو يمزقون زوجك إرباً إرباً ، ولكنه سبقهم فأطلق الرصاص على رأسه ، وها هو ذا مضرّج بدمه على الأرض ، ثم تفتحين الباب ، فأسمعينى كيف تقولين لقائد الجمهور الصاخب : « تعال إلىّ »

« أتستطعين أن تقولى هاتين الكلمتين ، كما وصفت ؟ »

فرفعت إليه الفتاة عينين براقتين وقالت : « لا ، لا أستطيع ذلك كله وحدى ، ولكننى أستطيع إذا توليت توجيهى . قل أنت الكلمتين كما ينبغى ، وأنا أتبعك ، أترضى ؟ » فأعطاها الدور .

الملك السفّاح
في جزيرة هايتي

رتشرد تريك

مختصرة من مجلة "تشيمبرز"

إنه أطلال قلعة لافيريه الجاثمة على قمة جبال هايتي الشاهقة هي من العالم التي ألفها المسافرون إلى جزر الهند الغربية، ولقد هلك ٣٠ ألف رجل في بناء هذا الأثر لتخليد ذكرى حاكم سفّاح لم تر الدنيا مثله ، هو الملك الزنجي هنري كريستوف الأول .

وكان هنري من رقيق مزارع فرنسي في هايتي، فاشتغل بتهريب الخمور إلى أن ربح ما يكفيه لفك رقبته . وكان رجلا قوى البنية طويل القامة، ثم التحق بالجيش الفرنسي فنبه ذكره لفرط شجاعته ، ورُقي وهو في الثانية والثلاثين من عمره إلى رتبة القائد ، وعين حاكما على الولاية . ولما ثار الشعب لسخطه على حكم الفرنسيين ، امتشق هنري سلاحه وحارب أصدقاءه السابقين ، وأصبح بعد طردهم في سنة ١٨٠٧ رئيس حكومة هايتي وقائد جيشها الأعلى، فتحبب إلى الشعب بالطنطنة باسم الحرية، ولكنه كان يخفي الفتك والغفلة لكي يقضي على منافسيه واحداً بعد واحد . ثم زعم أنه من سلالة الفراعنة ، وحمل أصدقاءه في سنة ١٨١١ على انتخابه ملكا لهايتي ، واختار له لقب هنري الأول .

صور من التاريخ

فلما علا أمرُه ، استبدّ بالسلطان المطلق على رعاياه ، وقرّر رأيه على أن يدخلهم في المدنية كما يفهمها هو ، فسن القوانين ، وفتح المدارس ، ومهد الطرق ، وأنشأ دوراً عامة في المناطق الآهلة بالسكان ، وألف جيشاً منظماً للذود عن حياض المملكة ولتنفيذ القانون . ولما كان يخشى عودة الفرنسيين عمد إلى بناء قلعة لافيريه ليتوّج بها مملكته. كان لا مفر من حمل مواد البناء كلها صُعُداً في الجبال الشاهقة ، فكان الرجال المساكين المكلفون بهذا العمل يموتون كالذباب من ضربة الشمس والحمى والإعياء . وقد أمر أن ينقل

يروى أنه حدثت ذات يوم بين هنرى كريستوف وسفير بريطانيا فى بلاطه ، مناقشة عن طاعة الجنود للأوامر وحفظ النظام ، فزعم الملك الزنجى أن جنوده لا يحجمون عن طاعة أوامره مهما كانت وأراد أن يثبت ذلك للسفير فقاده إلى سطح القلعة وصف نفراً من الجند وجعلهم يؤدون بعض الحركات العسكرية ، ثم أمرهم أن يسيروا نحو حافة السطح ولا يتريثوا فتساقطوا واحداً بعد واحد فى هوة يبلغ عمقها ٣٠٠ متر . — هارى فرانك فى كتابه : « مطوّف فى جزائر الهند الغربية »

إلى القلعة ٣٦٥ مدفعاً . فرأى هنرى ذات يوم مئة رجل يجاهدون عبثاً فى تحريك مدفع ثقيل على منحدر شديد الانحدار ، فلما أعلنوا عجزهم وألقوا بالحبال، أمر جلالته بأن يقف الرجال صفاً ثم يرمى بالرصاص كل رابع أربعة من الرجال ، وأمر الباقون أن يعودوا إلى جر المدفع فعكفوا على جذبه وهم يتفصدون عرقاً فلم يفلحوا فى زحزحته، فأمر هنرى بأن يعدم كل ثالث ثلاثة من الرجال . وقال للباقين وهو يحذرهم : « فى المرة القادمة سيرمى بالرصاص كل ثانى اثنين» ، فأتم الباقون نقل المدفع إلى القلعة .

وكان هنرى لا يأمن الرجال البيض ، ولكنه اضطر إلى استخدام نفر من الضباط الألمان لوضع تصميم القلعة والإشراف على بنائها ، فلما سألوه أن يأذن لهم بالعودة إلى بلادهم للاستجمام من متاعب حرِّ هايتى ، وجهت إليهم التهمة بأنهم سرقوا أسرار القلعة لبيعها للأعداء ، وألقى بهم فى السجن فذاقوا فيه آلام الجوع أياماً طوالا، ثم قتلوا فى جوف الليل طعنا بالخناجر .

وأسوأ من مصيرهم مصير مهندس زنجى وضع تصميم قبو القلعة وأشرف على بنائه ليكون مقرّ خزائن المملكة ، فلما فرغ من عمله ذهب إلى مولاه ليخبره بالبناء وهو تيّاه فخور ، فلقيه هنرى على أسوار القلعة الشاهقة وسأله : « أواثق أنت أن السر لا يعلمه إلا اثنان ، أنا وأنت ؟ » فأجابه . « كل الثقة ياصاحب الجلالة » فرد عليه هنرى بهدوء قائلا : « الآن اطمأن قلبى » ثم جرد سيفه وطعن به المهندس التعس ، فهوى جسده من فوق الأسوار .

وكان هنرى يتولى بنفسه الإشراف على تطبيق القوانين ، فحرّم الكسل على رعاياه جميعاً ، وفرض على كل إنسان أن يعمل ١٤ ساعة فى اليوم ، وكان هو نفسه قدوة

لهم ، فكان يعمل ١٩ ساعة . وكان يعاقب المخالفين كما يشاء له هواه ، وكثيراً ماقطع الرأس من أجل هفوة هينة . فذات مرة أغفت عين رجل مسكين فى ساعات العمل وهو جالس فى مرمى مدافع القلعة، فكانت يقظته فى دنيا غير هذه الدنيا : فقد أمر الملك جنوده أن يوقظوه بقذيفة من المدفع . وفوجىء خادم فى قصره المسمى سان سوسى وهو يسرق سمكا مقدّداً، فطرح على أرض المطبخ وجلد على عين الملك حتى مات ، ثم انصرف هنرى إلى مائدة فطوره .

أراد الملك أن يخضع رعاياه المروّعين بهذه الفظائع، ولم ينج من شر سطوته امرأة ولا طفل ، فقد عاد مرة مخفقاً من غزوة غزاها ليستولى على ميناء بورت أوبرنس، فعلم يومئذ أن النساء ذهبن إلى الكنيسة يبتهلن إلى الله أن لا يرجعه إلى وطنه ، فأمر شرذمة من الصعاليك أن يجوسوا خلال الديار ليقتلوا كل من يلقونه من النساء . وقد قتل أحد الضباط فى مرضاة هذا الملك السفاح ، زوجه وأولاده بحد سيفه ،ومع ذلك لم ينج هذا الضابط من بطش الملك ، إذ مدّ إليه يده فى سورة الغضب واقتلع عينه .

وكان هنرى يستأصل جذور الفساد من مكاتب الحكومة بين الحين والحين ، فإذا هب النسيم أقلع من الشاطىء تحت سواد الليل زورق على ظهره شحنة من الآدميين، ثم يعود مع الصباح تدفعه هبات النسيم فارغاً تتبعه أسراب من سمك القرش طمعاً فى الشحنة التالية .

ربما كان هناك شىء من الخير فى عنف هذا الملك (الذى كان عبداً رقيقاً) وهو يقسر رعاياه الزنوج على ارتقاء سلم المدنية .وكانت له وسائل ساذجة ولكنها ذات أثر ، فقد أمر بأن تعرض على عماله مركبة من طراز فرنسى وأمرهم بأن يصنعوا مركبة مثلها فى بحر أسبوعين وإلا قتلهم . وفرض على رعاياه كثيراً من أمثال ذلك ، وقد حمله جبروته على أن ينكر أن فى الدنيا شيئاً يستطيع الرجل الأوروبى أن يصنعه ، فيعجز رعاياه الزنوج عن صنع مثله ، ومع ذلك لم يكن استبداده منبعثاً كله عن رغبته فى رقى الشعب . وكان إذا سار فى الطريق ركع الناس بين يديه عنوة ، فإذا جرؤ أحد فرفع بصره إليه بغير إذن منه،كان جزاؤه القتل . — هارى فرانك فى كتابه : « مطوّف فى جزائر الهند الغربية »

واستصلح هنرى أرض بلاده ، وزرع فيها البن وقصب السكر والكاكاو ، وأخذ يبيعها إلى التجار الأوربيين . وكان يشرف بنفسه على عقد الصفقات ، فتكدس الذهب فى خزائن قبو القلعة ، وأخذ يقيم المآدب الفاخرة فى قصر سان سوسى فيدخل مرتدياً معطفاً من الفرو الثمين مطرزاً بخيوط من الفضة ، فيخف لاستقباله أمير « الحلوى » وأمير « عصير الليمون » إلى آخر هـذه الألقاب التى اخترعها لأشراف بلاطه . وكان يطعم ضيوفه فى الأيام الجليلة الشأن أطايب المآكل فى صحاف من ذهب . وأفرد هنرى لمداولاته حجرة المكتبة التى صفت فيها كتب يعسر على صاحبها الأمىّ أن يقرأ منها حرفاً واحداً . وقد استقبل كثيراً من الأوربيين فوصفه بعضهم بأنه رجل خلاب ذو شخصية جذابة .

أما رعاياه فلم يكونوا يرون هذا الرأى . نعم لقد خضعوا لسلطانه زمناً ، بيد أن الصبر له حدٌّ محدود ، وقد واتتهم الفرصة حين أصيب بالشلل ، فدفعتهم المظالم الفادحة إلى الثورة . فلما علم هنرى أن الثوار يقتربون من القصر ، اعتصم بحجرته واستقر فى مقعده ، وأمسك فى كل يد مسدساً محشوًّا بقذائف من الذهب . فهذا الرجل الذى أدار كؤوس الردى على كثير من الناس ، لم يجبن حين رأى طلائع الضربة القاضية التى ستنزل بسلطانه ، فأطلق أحد المسدسين على رأسه والآخر على قلبه وخرّ صريعاً ، وقد علا صراخ الثوار خارج القصر مطالبين برأسه.

آفاق جديدة فى التربية

تقتضى جامعة ويلرد للزنوج من طلابها أن يتعلموا فنون تنظيم البيت قبل أن تمنحهم شهادتهم للتخرج ، فيشترك الطلاب مع الطالبات فى دراســة تصميم المنازل واختيار الطعام والملابس ، والعناية بالصغار . وعنيت كلية المعلمين فى جنوب أوكلاهوما بتدريب طلابها على إصلاح ما يلزم إصلاحه فى البيت ، مثل أجهزة الكهرباء وأنابيب الماء . وقد أنشأت جامعة ميامى لطلاب علم الحيوان فيها ، فصلا خاصاً لدراسة الأحياء المائية كما تعيش فى جوف البحر ، فيرتدى الطلاب الأثواب الخاصة التى تمكنهم من الغوص إلى قرار البحر ، حيث يراقبون من نافذة فى الكرة أشكال الأحياء وألوانها وسائر خواصّها .

الرجل الذى يمشى ، يملك الدنيا التى من حوله



الدنيا بالمجان

هال بورلند
مختصرة من مجلة "نيويورك تايمز"

نستطيع أن تقدر اهتمام الإنسان بعالمه وبزملائه من عاداته فى المشى . وأحسب أنه قد يستطاع بالدرس المنظم قياس سعة عقل الإنسان وسبر غوره بمعرفة رأيه فى المشى ؟ وهل يحب أن يتمشى ؟ وأين يتمشى ، وكيف ؟ ولماذا ؟

هل من الممكن أن يتمشى الإنسان دون أن يكون هناك حافز إلى التفكير ؟ إنى أشك فى ذلك ، فإنه يبدو لى أن مجرد الحركة تدفع العقل إلى العمل ، والهزة الحادثة من أضعف مشية تطلق الأفكار وتتيح لها أن يحتك بعضها ببعض ، وأن تمتزج ، وتستجد لنفسها ترتيباً وتناسباً . ويفسر العلماء بوظائف الأعضاء هذا بقولهم إن : الرياضة والهواء النقى يحسنان دورة الدم ، وينعشان الذهن بتزويده بقدر من الأكسجين أكبر . ولكنى أشك فى وفاء هذا التفسير ، لأنه ينزل المشى إلى مرتبة الرياضة المتعمدة ، ومن ذا الذى استنبط فكرة عظيمة ، أو فكرة باقية على الزمن بالقيام بحركات رياضية أمام شباك مفتوح ؟

إن نصف متعة المشى يستفاد من تغيير المناظر فى رفق . وقد لا يكون الانتقال إلا من شارع إلى شارع ، أو من رأس تل إلى آخر ، ولكنه تغيير ، وهو ينعش . وحتى إذا قطعت طريقاً بعينه يوماً بعد يوم ، فإنك تجد اختلافاً فيما ألفت أن تراه . وفى الريف لا تكون الريح والسحب ، والنور ، والنبات ، على حال واحدة أبداً ، وهناك تغير أيضاً فى شارع المدينة ، وفى واجهات الدكاكين ، وفى مداخل الأبنية ، وفيمن تلقى من الناس .

والذين يتمشون يصبحون كأنهم يملكون هذه الطرق والشوارع والحدائق والحقول .

وسأظل دائماً مالكاً لأجزاء معينة فى عدة مدن لأنى تمشيت فى شوارعها أنا الغريب فيها ، وألفت مناظرها ، وأصواتهـــا ، وروائحها ، وعرفت ناسها حتى وإن كانوا هم لم يعرفونى ، ومع أنى اجتمعت بهؤلاء الناس فيما بعد ، وأرونى المدينة التى عرفتها ، فإن ما أملك منها لم يطرأ عليه أى تغيير ، لأنى استكشفت ما استكشفت بنفسى .

ونحن حين نتمشى يتسع لنـــا الوقت للاستكشاف والتقدير، ونرى الاشياء كاملة، وتكون نظرتنا إلى العالم الذى حولنا دقيقة، فنرى الاشجار كما نرى الغابة ، ونبصر الناس فرادى كما نبصرهم جماعات. وإذا كان مزاجنا معتدلا — والتمشى يفيدنا هذه الحالة حين نكون فى أشد الحاجة إليها — فإننا نستطيع أن نرى أنفسنا بجلاء أى جلاء ، فنســترد صحة تقديرنا لحقيقة أنفسنا .

وفى التمشى ، مهما كانت سرعتك فيه ، تمهل يخفف من حدّة التوتر . وهــذه مشيتك التى تعودتها ، فإذا كنت قد عينت لنفسك مسافة ، ففى وسـعك أن تقطعها بسرعة أو رويداً رويداً ، وإذا كنت قد عينت لنفسك وقتاً ، ففى وسعك أن تعجل أو تتلكأ ، والأمر إليك . والعالم أيضاً ملك يدك إلى حين . وبعض الناس يؤثرون أن يمشوا وحدهم فى خلوة مع خواطرهم ، وأنا أفضل رفيقاً يفهم الاقتصـاد فى الكلام كفهمـه الاقتصاد فى النشاط . وأحسب أن الذين يفضلون أن يرافقوا كلباً ، قد سئموا المشى مع رجل يظل يثرثر بغير انقطاع ، ومثل هذا الثرثارة لا يعد فيمن يتمشون ، فإنما هو مغرور قائم على ساقين ، يخشى أن يدع ضخامة الدنيا تبدى عن جرمه الضئيل .

والمشى يفيــدنا ذلك الشعور بالتناسب الذى نفتقر إليه جميعـاً فى بعض الأحيان ، فإنك وأنت فى سيارة أو طائرة ، تفقــد إحساسك بالزمان والأبعاد ، ولـكنك وأنت تمشى على رجليك لا تلبث أن تعرف مبلغ ارتفاع التل ، ومبلغ طول الميل . ومتى قطعت نفس الطريق فى كل الفصول ، فإنك تعرف كيف أن التغير حادث لامراء فيـه ، وأنه يتم بالتدريج .

وفى وسعك أن تدرس كل العالم إذا كانت عيناك مفتوحتين ، وعقلك مستعداً أن يدرك . ولـكن عليك أولا أن تتمشى! فإن سعة المعرفة تتطلب عمق الفهم . وأعرف الناس بالدنيا أخبرهم بتلك الدنيا التى يجوبها بخطواته . وليست كل الجبال والأودية سواء ، ولـكن إذا لم يعرف الإنسان جباله هو وأوديته هو ، فإنه غير محتمل أن يفهم تلك التى هى منه على مسافة ألف ميل ، بل إنى لـكبير الشك فى أنه يفهم نفسه .

خرافة تشرشل والسمكة

مذكرات جاسوس فرنسي حربي
لمؤلفه "ريمي"
(جيلبرت رينو)

يروى أنه يوم كانت إنجلترا في يوليو ١٩٤٠ تواجه العدو وحدها ، أرسل هتلر إلى تشرشل يدعوه إلى مؤتمر سرى في باريس ، ووصل تشرشل بالطائرة فأرسل إلى قصر فونتنبلو حيث كان هتلر وموسوليني ينتظرانه جالسين إلى مائدة شاى قرب بركة السمك المشهورة .

فلم يضيِّع هتلر وقته في حديث لا طائل تحته بل قال : « هذا ماأريد أن أقوله لك ياتشرشل ، إن إنجلترا قد قضى عليها ، وقّع هذه الوثيقة معترفاً بأن إنجلترا قد خسرت الحرب ، فتنعم أوربة كلها بالسلام غداً » .

فقال تشرشل هادئاً : « يؤسفني أنني لاأستطيع أن أوقع ، فأنا لاأوافق على أننا خسرنا الحرب » . فصاح هتلر وهو يقرع المائدة : « هذا هراء ألا ترى الدلائل الواضحة ؟ »

فرشف تشرشل الشاى وقال : « نعمد في إنجلترا إلى الرهان للبت في خلاف في الرأى أتريد أن تراهنني فمن يخسر الرهان يسلم بأنه قد خسر الحرب » .

فسأل هتلر مستريباً : « وماهو الرهان ؟ »

فقال تشرشل : « أترى هذا السمك الكبير في البركة ؟ إذن ، فلنتراهن على أن أول من يستطيع أن يمسك سمكة منها دون أن يستعين بأساليب الصيد المألوفة يكون هو الذى كسب الحرب » .

فرد هتلر حاسماً : « قبلت الرهان » وأخرج من جيبه مسدساً وأطلقه على أقرب السمك إليه ولكن الماء حرف الرصاص ومضت السمك سابحة دون أن تصاب بأذى

فصاح هتلر بموسوليني : « موسو ، هذا دورك الآن ، وقد قيل لى أنك سباح بارع ، فإلى البركة إذن » . فخلع موسوليني ثيابه ووثب إلى البركة وعلى شدة ماحاول وماجهد كان السمك ينفلت من يده ، فلما بلغ من الجهد خرج من البركة فارغ اليدين .

فقال هتلر : « هذا دورك يا تشرشل ، فلنر ما تستطيع أن تفعل ! »

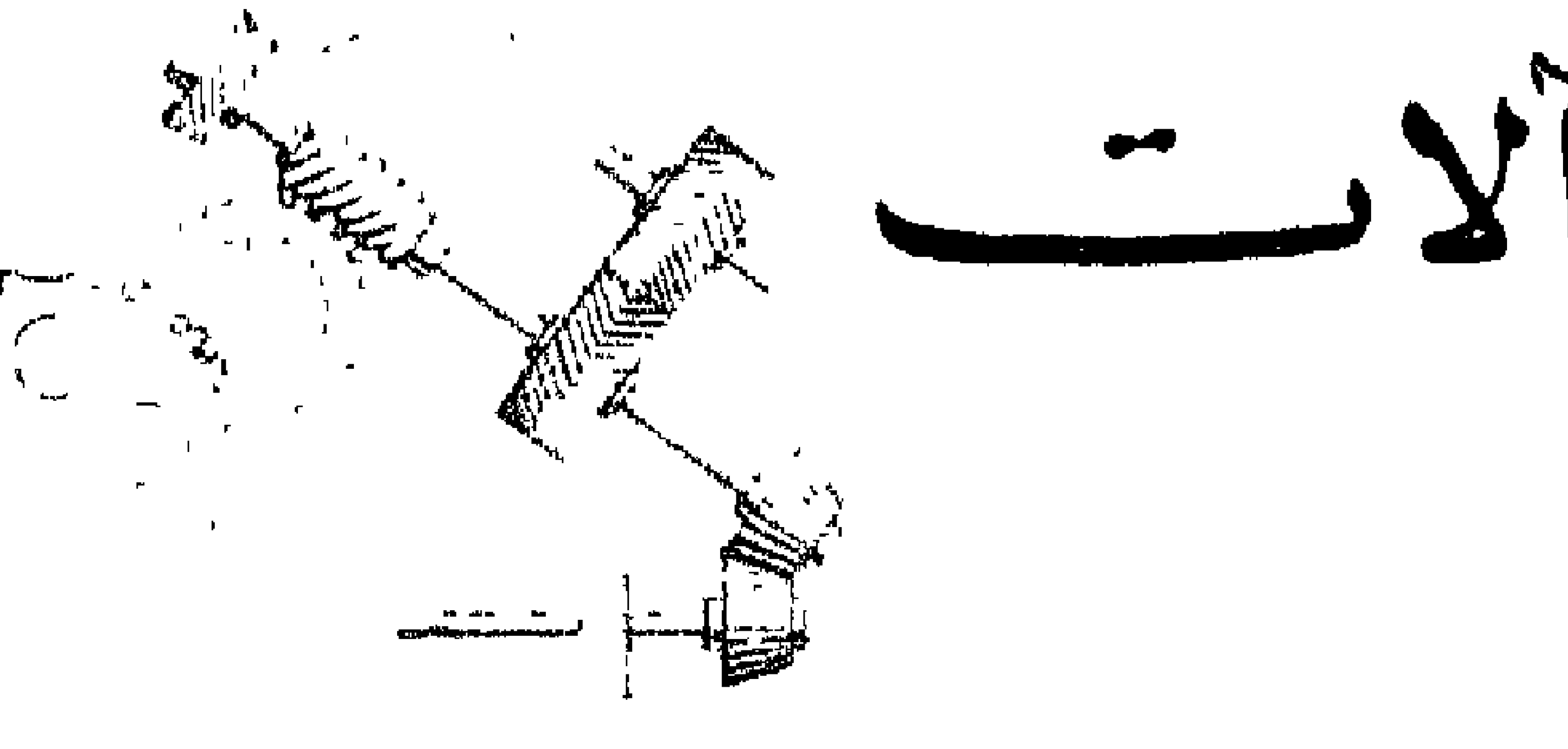
فدنا تشرشل من البركة وغمس في مائها ملعقة الشاى وأخرج قليلا من الماء ورمى به وراء ظهره ، ثم أعاد الكرة ثانية وثالثة .

وراقبه هتلر مشدوهاً وقال وقد عيل صبره : « ترى ما أنت فاعل ؟ »

فردّ تشرشل دون أن يكف عن نزح الماء : « إنه سيستغرق زمناً طويلا ولكننا سوف نكسب الحرب »

مازال المصنع الآلى يساور أصحاب المصانع والعمال منذ سنوات ،
وعسى أن يكون تحقيقه وشيكا .

آلات بغير عمال



أ . و . ليفر و ج . ج . براون
مختصرة من مجلة "فورتشن"

تصور مصنعاً فسيحاً نظيفاً ، ثم تصوَّر أن أرضه التى ركبت فيها الآلات للإنتاج خالية من العمال ، ولست ترى سوى فئة قليلة من أهل الفنون الصناعية يروحون ويجيئون على شرفة تطلُّ على الآلات ، ويراقبون اللوحات التى عليها أجهزة تسيطر على عملها . أما خامات الصناعة فيتوالى ورودها على سيور متحركة ، فتسير فى آلة إثر آلة حتى تخرج سلعاً تامة الصنع ملفوفة أو معدَّة للبيع — من أجهزة الراديو إلى الثلاجات وأقلام الحبر والجرَّارات أو ما تشاء.

هذا هو مصنع الغد ، وهو يختلف عن مصانع اليوم ، كمثل اختلاف المصنع الذى يولد القوة الكهربائية من الماء المتحدِّر عن المصنع القديم لتوليد القوة المحركة من البخار.

وأنت إذا ما أنجزت تركيب المحرِّك الذى يولد الكهرباء من الماء لم يبق عليك سوى أن تسيطر عليهِ ، وأن توزِّع القوة التى يولدها . وكذلك مصنع الغد من ناحية المبدأ.

ولن تجد مكاناً ضار فيه الرجل العامل لقىً مهملاً كأرض مصنع ركبت عليه آلات الإنتاج . وبين أيدى رجال الصناعة اليوم آلات أحدُّ بصراً من العيون ، وأوثق حساباً من العقول ، وأدق تسجيلا من الذاكرة ، وأسرع عملاً وأجود إنجازاً من الأيدى ، فهى تستطيع أن تصنع كل ما يصنعه العامل ، وهى تصنعه على وجهٍ أسرع وأحسن ، وعملها لا ينقطع .

فنظام « الورود المستمر » ، جعل الإنتاج آلياً كل الآلى فى صناعات المواد الكيميائية والبترول والمطاط . وهذا مصنع المواد الذرية فى « أوك ريدج » تراه يدار من حجرة الهيمنة عليه ، المتصلة بما طوله عشرة أميال من لوحات الأدوات التى تحقق هذه الهيمنة ، ولا تجد من العمال

إريك و . ليفر ، باحث فى علم الطبيعة ، والدكتور ج . ج . براون عالم طبيعى وكاتب ، وقد كانا كلاهما من رجال البحث العلمى الحربى فى كندا زمن الحرب ، وهما الآن يجربان التجارب فى نواحى مختلفة من الإنتاج الآلى .

سوى عشرين رجلاً لكل ميل واحد .

والمصنع الآلىّ كلّ الآلى ، يحتاج إلى ثلاثة ضروب أساسية من الآلات، قد أصبحت جميعها حقائق لا يمارَى فيها . فأولا ينبغى أن تكون هناك آلات تعطيك الأخبار وتتلقاها . وبين أيدينا اليوم عشرات من هذا الضرب من الآلات ، فنحن ننتفع اليوم بالعين الكهربائية — البطارية الضوئية الكهربائية — لتنوب عنا فى رؤية ماينبغى لنا أن نتحقق منه ؛ ومكروفونات وأجهزة لالتقاط أمواج الاهتزاز ، تتبين بها فروق الضغط ؛ وبطاقات مثقوبة تسجل المعلومات ثم تعيدها خبراً مفهوماً ؛ وعدادات مصنوعة من الأنابيب الكهيربية تحسب حساباً دقيقاً لا تكاد تصدقه .

أما الضرب الثانى من الآلات الأساسية، فهو جهاز كهربى يتلقى الأخبار والأوامر ، ثم يدفع القوة المدبّرة إلى الآلات التى تصنع الأشياء المطلوبة . وهذا الضرب من الأجهزة تراه اليوم يستعمل على نطاق واسع .

والضرب الثالث هو آلات تتولى أعمال الصناعة المختلفة . ورجال الصناعة ينتفعون بها الآن فى أعمال شتى ، كمثل قطع المعادن وتشكيلها، وتجميع أجزاء سلع مختلفة وطليها. فثمة مثلا آلة آلية لصنع (الألاووظ) ، ترى لها ما يشبه الأصابع تدفع مواد الصناعة إلى مكانها من الآلة ، ولها جهاز آلىّ أيضاً يقبض على تلك المواد ، ثم لها أذرع تتحرك فتنقل آلة قد تمّ قطعها .

وقد استعان رجال الصناعة فى أكثر الأحيان بالآلات الآلية للقيام بأعمال خاصة. وهم ينوون أن يضموا عدداً من هذه الآلات ، كأنها حلقات فى سلسلة ، فتنجز على التوالى جميع الأعمال التى تلزم لصنع أجزاء سلعةٍ ما ، ثم لتجميع تلك الأجزاء وإعداد السلعة التامة . وإذا ما تم تمام هذه الآلة القادرة على الإنتاج الكامل ، رأيتها شديدة القبول لمطابقة الأحوال المتغيرة ، فنى وسعك أن تحدث تبديلا فى ترتيب أجزائها ، فإذا هى قادرة أن تصنع لك سلعة غير الأولى .

ولكى نجعل الإنتاج الآلىّ متعدد المنافع، ننوى أن نصنع ما أطلقنا عليه آلة تجمع بين «الراحة والذراع» ، منتفعين بطائفة كثيرة من الأجهزة المستعملة اليوم للقبض على الأشياء. والقاعدة فى صنعها أن تكون ذراعاً ذات مفاصل ، وأن تركب على مائدة دوّارة ويجهز طرفها الطليق بمقبض — جهاز للقبض على الأشياء مؤلف من أصابع أو لاقط أو مغنطيس ، فإن ذلك يختلف باختلاف العمل الذى يطلب منها أن تؤديه . وفى قاعدتها آلات تدير الذراع من جهة إلى جهة، وتمدّها، وتحرّك مقبضها . وهذه الآلة قادرة

أن تؤدى جميع الحركات التى تؤديها ذراع العامل ، واليد نفسها يمكن أن تدور عند المعصم . وقد تمّ صنع نموذجها الأول .

افرض أنك تريد أن تصنع جزءًا بعينه من آلة — حلقة من نحاس لتمسك مكرفون سماعة التلفون . فلكى يتم لك ذلك يسجل توالى الأعمال الصناعية المختلفة اللازمة لصنعها وذلك بثقوب على لفّة من الورق كلفة البيان الآلى ، ثم تستعين بجهاز الإخبار فى تحويل فحوى هذه الثقوب إلى ذبذبات كهربائية ، تنتقل إلى الآلة التى تجمع بين الراحة والذراع فإلى غيرها من الآلات التى تصنع الأشياء ، ثم تلقى حلقة النحاس على سير متحرك ، فتجتاز أجهزة صنعت لكى تفحصها فحصاً دقيقاً فتنبذ منها كل ما فيه عيب .

وسيضمُّ المصنع الآلىُّ وحدات كثيرة من آلات الإنتاج الآلى ، كالوحدة التى تقدم وصفها ، ويعهد إلى كل منها أن تصنع جزءًا بعينه ، ويكون بعضها متصلاً ببعض بواسطة لوحة مركزية للهيمنة عليها . ولنتابع مثلا سماعة التلفون فى أدوار صنعها : إن الآلة الأولى «الراحة والذراع» تلتقط فى أول خط التجميع وعاء من مادة الباكليت وتضعه فى ملقط يمسكه ويحركه إلى آلات متوالية من طراز « الراحة والذراع » فتضع فيه الحبل والأجزاء الأخرى ، ثم تجد عدداً من هذه الآلات نفسها ، ولكنها أصغر حجماً ، تتولى تثبيت هذه الأجزاء فى أماكنها بالمسامير . فإذا ما بلغت السماعة آخر الخط انفرج عنها الملقط ، فإذا هى تجرى على سير متحرك ، فتفحصها الآلات فحصاً دقيقاً ثم تلفها وتضعها فى علبة .

وكل نظام اقتصادى ينتفع بهذه الآلات الآلية ، سيختلف بلا ريب اختلافاً عظيماً عن النظام الحالى ، حتى لينبغى أن يعد نظاماً صناعياً جديداً . ولما كان فى وسع المصانع أن تمضى فى الإنتاج أربعاً وعشرين ساعة كل يوم ، فإنها تستطيع أن تخرج سلعاً أوفر وأرخص . وسوف تكون السلع أجود وأحسن ، لأن الآلات تستطيع أن تبلغ درجة أعظم من الدقة فى الصناعة .

والقدرة على ترتيب الآلات الأساسية على نمط جديد ، يمكن صاحب المصنع من أن يلبى ما يطرأ فجأة على السوق من حاجة جديدة . فإذا أراد أن يصنع سلعة غير التى دأب على صنعها ، عمد أهل الفنون الصناعية من رجاله إلى ترتيب وحدات الإنتاج على نمط جديد ، وعُدّلت لوحات الهيمنة على وجه كفيل بتحريك الآلات الحركة المطلوبة ، ثم يبدأ الإنتاج ويستمرُّ . وقد يرى رجل يصنع المكانس الكهربائية فى مصنعه أن فى السوق نقصاً فى محركات أجهزة الجرامفون

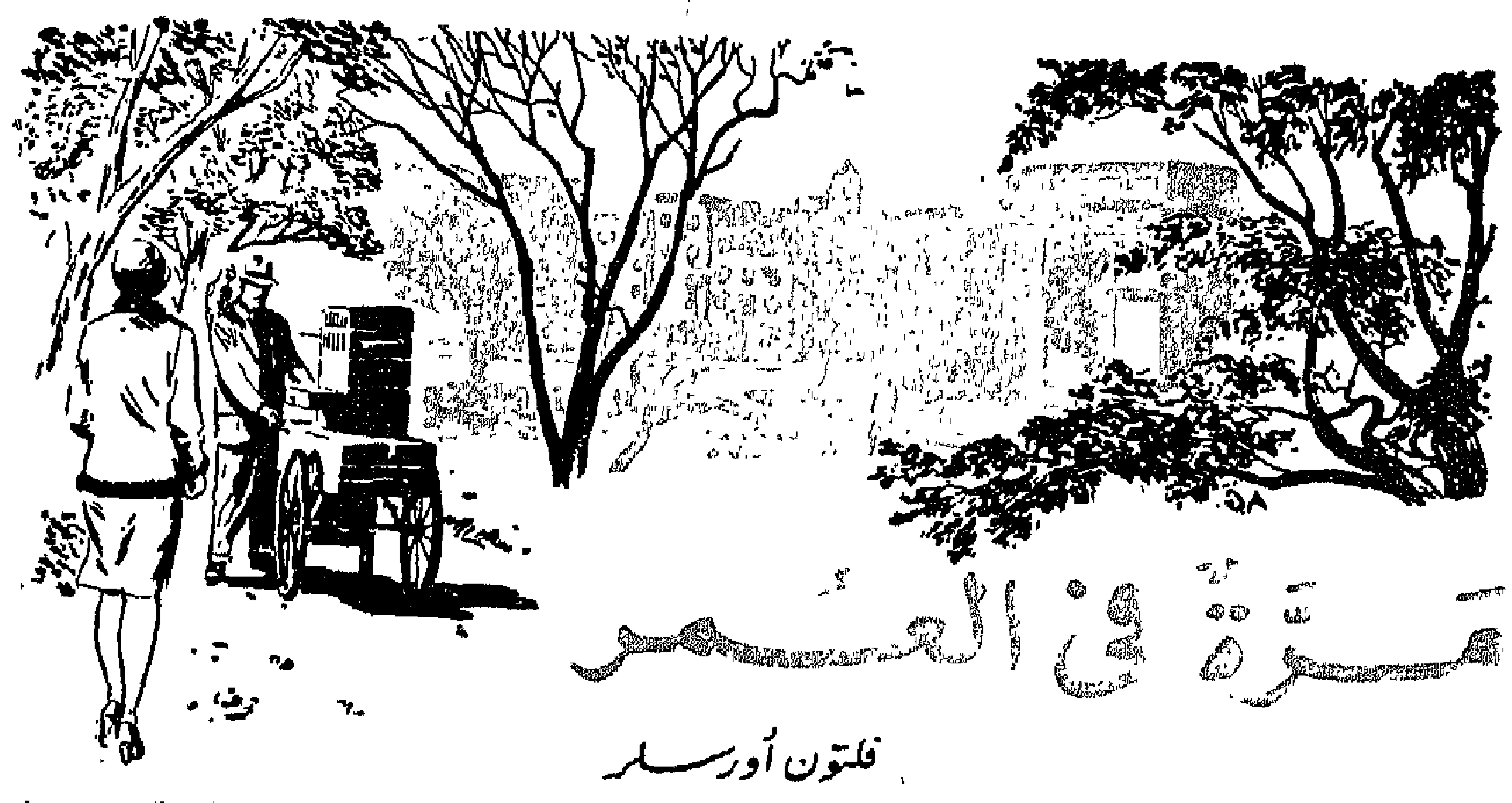
الكهربائى لعجز الذين يصنعونها عن توريد العدد اللازم منها ، فيكون فى وسعه يومئذ أن يحدث تعديلا فى أجهزة مصنعه الآلى ، فيصنع خلال فترة قصيرة عدداً من تلك المحركات حتى تستوفى السوق حاجتها منها .

وقدرة المصانع الآليــة على أن تصنع ضروباً شتى من السلع ، يضمن سرعة ورود السلع الجديدة إلى الســوق . وكل صانع مضطر اليوم إلى أن ينبذ معظم آلاته ، إذا أراد أن يتحول من صنع سلعة ما إلى صنع سلعة أخرى . وليس بينهم من يصنع اليوم جرامفونات تعطيك موسيقى سمفونية كاملة بغير انقطاع أو توقف ، ولكن صنعها من الوجهة الصناعية البحت أمر مستطاع ، غير أن المصانع جهزت بما ثمنه ملايين الريالات من آلات دأبت على صنع الأسطوانات المألوفة التى تستغرق كل منها أربع دقائق ، فنبذها عندئذ عسير على أصحابها .

وقد أخرجت الصناعة خلال الحرب فى ثلاث سنوات من السلع الجديدة التى تختلف اختلافاً بيناً عن مثيلاتها السابقة ، أكثر مما أخرجته فى السنوات الثلاثين الماضية ، ولكن المستهلك يتساءل عجباً ماذا كان مصير تلك الأجهزة الجـديدة العجيبة التى قرأ أخبارها . والحقيقــة أنه لن يتيسر لنا أن نظفر بسيارات جديدة حقاً ، وبقطارات جديدة حقاً ، وبثلاجات وبيوت جديدة حقاً إلا يوم ننشىء نظاماً طيعاً للإنتاج الآلى .

والمصنع الآلى خليق بأن يحدث أمواجاً من البطالة المؤقتة ، ولكن منافعها على الزمن لا يكاد يختلف فيها اثنان . وأهمها أن الاستبداد بالآلات خير من الاستبداد بالرجال ، بيد أن منافعها البعيدة لن تتحقق إلا إذا تم لنا أن نوفر العمل لجميع القادرين عليــه ، حتى يتاح للســوق أن تبيع أكبر مقدار ممكن . وارتقاء الإنتاج الآلى يقتضى جماعة كبيرة من الفنيين والعمال الحاذقين . فإذا انتفعنا بوسـائل التعليم والتدريب ، وقللنا ساعات العمل فى الأسبوع ، واستعنا بأساليب أخرى ، كان فى وســعنا أن نجــوز فترة الانتقال دون رجة تزعزع النظام الاجتماعى .

فإذا قام نظام للإنتاج كمثل هذا النظام قدرة ونفعاً ، كان العمل يومين أو ثلاثة أيام فى الأســبوع أمراً ممكناً من الناحيــة الاقتصادية . وما يوفره من نفقات الإنتاج يمكن أن يزاد فى أجــور العاملين ، وأن يحذف من الأسعار التى يدفعها المستهلك . وإذن فلا بد من أن تتساوى كفتا الميزان على مستوى للعيش أعلى من المستوى السائد الآن . والآلات الجديدة تستطيع أن تطلق العامل إلى الأبد من قيود الضنى الجاثم كالكابوس على نفسه الحائرة .



مرة في العمر

فلتون أورسلر

هذه قصة لا يسهل عليك تصديقها ، إذا لم يكن قد وقع لك أنت نفسك ذلك الذي يبدو كالمعجزة ، حين يتخطى بك الحبُّ حوائل من الزمن وبعد الشُّقة . ولن أزيد على أن أسرُد لك حقائق ما وقع للندا واتكنز في الساعة الثالثة من صباح يوم من أيام الشتاء سنة ١٩٢٧

كان بدء قصة لندا منذ شهور في عصر يوم عاصف ، إذ خرجت تمشى في ميدان وشنطن بنيويورك وأوراق الشجر الذابلة تتساقط من حولها ، وإذا بصندوق موسيقى يسيَّر على عجل قد يمم شطرها ، وكان يديره رجل عجوز تغضن وجهه ، وقد جثم على كتفه طير أخضر اللون . وكان يدير يد آلته الموسيقية المتهافتة وهو يتغنّى بأغنية قديمة أولها : « مرة في العمر » .

فلما وقع بصره على لندا رفع قبعته وناداها ليغريها : « استطلعى حظَّك ياسيدتى ! بخمسة مليمات فقط ! »

وبينما كانت لندا تفتح حقيبتها ، نزل الببغاء إلى درج مفتوح في صندوق الموسيقى وأدخل فيه منقاره الأصفر وعاد بغلاف صغير أزرق اللون ، ولكن هبّة ريح أطارت الورقة الحافلة بالأسرار من يد لندا ودفعتها صعداً في الجوّ ، وما هى إلا هنيهة حتى سقطت بين أغصان إحدى الأشجار .

وصاح صاحب الصندوق : « جربى حظك من جديد ياسيدتى ! »

وصاح صوت آخر وكان صوتاً متهدجاً عميقاً : « لا ، إياك أن تفعلى » وكانت هذه أول مرة تسمع لندا أو ترى فيها جون ، وهو شاب طويل القامة قوى البنية . وقد

سُحرت عيناه بمرأى شعر لنــــدا الذهبى وعيونها الزُّرق وقبعتها الخضراء وريشتها الحمراء .

وتسلق جون وهو لا يبالى بقوانين المتــنزهات ، حتى بلغ أغصان الشجرة ، واستردّ الغلاف ، ثم قفز إلى الأرض وقد انشق سراويله شقاً طويلاً عند الركبة .

فأخرجت لندا خيطاً وإبرة من حقيبتها وقالت :

« تعال بنا إلى حيث هذا المقعد ... »

فقال لها : « أرجو أن تقرئى حظك أولا ! »

فأخرجت لندا الوريقة الصغيرة التى فى الغلاف وكان فيها أربع كلمات مطبوعة طبعاً رديئاً :

« فليحب كلٌّ منكم أخاه »

لقد كانت هــذه الكلمات ولاريب من قبيل المصادفات الغريبة ، ولكن هذه المقابلة العارضة تحت شمس الخريف وريحه ، وقعت فى نفس لندا وجون موقعاً جعلهما يحسبان أنهما قد ارتبطا بسر من أسرار الحيــاة ، كانت هذه الوريقة وتلك الأغنيةهما الطريق الوحيد المفضى إلى بلوغ خفاياه .

ومنذ ذلك اليوم اعتاد جون ولندا أن أن يخرجا معاً عصر كل يوم وذراعها إلى ذراعه ويتنزهان فى الطرقات الصاخبــة حول ميــدان وشنطن ، وجعل كل منهما يبث صاحبه جليَّة خبره . قالت له لندا إنها تدرس الرسم الصناعى ، وأنها تعيش وحدها فى غرفة بالطابق الأول من بيت مبنى بالطوب الأحمر مطل على المتنزه ، وأن أمها أرملة تعيش فى وشنطن . أما جون فقد كان ، كما قال لها ، مؤلفاً ، وإن كان لم يبع بعد شيئاً من رواياته ، وكان يكسب مايفى بحاجته ويبعث إلى أهله بشىء من المال من عمله فى صحيفة تجارية .

فإذا اشتد البرد رأيتهما يجلسان إلى مدفأة لندا الصغيرة وفيها قطعة من الفحم تتأجج ، ويدبران معاً طرقاً جريئة للتغلب على غلاء المعيشة . ولم يمض وقت طويل على تفكيرهما فى الزواج حتى كانت أم لندا قد اتصلت به وخلتْ إليه تحدثه ، فقالت له :

« يعلم الله أنى لاأستطيع أن أمنعك من تزوّج لندا إذا أنت أصررت على أن تتزوجها من فورك ، ولكن لندا فى التاسعة عشرة من عمرها وحسب ، وهذه سنّ جد صغيرة ، وكل ما أرجوه هو أن تنتظر ، فإنى أريد أن تكون لندا على ثقة من شعورها نحوك . فإذا انتظرت إلى أن تبلغ الحادية والعشرين فإنى أزمع أن أجرى عليها ما يجعلها فى بحبوحة طول الحياة . أفترى الآن أنه من حقك أن تدعوها إلى حياة الفقر ، فى حين أنها إذا

انتظرت قليلاً عرفت مافى قلبها وضمنت حياة آمنة مطمئنة ؟ وعنـــدى لك أنت الآخر تدبير يرضيك » .

فنظر جون إلى تلك المرأة الحسنة البزة الواثقة بنفسها ، وتبددت أحلام سعادته .

وقال لنفســه : « إنها تظن أننى لست كفؤاً للندا ، وترجو أن ينسينا الانتظار حبنا » ، ثم سألها بصوت مرتفع : « وماهو هذا التدبير ؟ »

فقالت : « فى مكتب زوجى القديم بلندن وظيفة حسنة خالية ، وتستطيع أنت ولندا أن تتكاتبا ما شئتما على أن لا يرى أحدكما صاحبه مدة سنتين ، أفهذا شىء كثير تطلبه أمٌّ تحرص على سعادة بنتها ؟ »

أما لنـــدا فكانت لا تقيم للمال وللحياة الآمنة المطمئنة وزناً ، ولكن جون قال لها إن أمها على صواب ، وأنها هى جدّ صغيرة .

ولم تيأس لنـــدا من إقناعه حتى قبيل إبحاره بنصف ساعة ، فسألته ضارعة : « لِمَ لاتنزل من هذه السفينة ؟ ولِمَ لا تتزوجنى الساعة ؟ »

فرد عليها قائلاً : « افرضى أن الإخفاق لازمنى طول حياتى ، وافرضى أنه سيأتى يوم تسأمين فيه الفقر وتنحين علىّ باللائمة ... »

فأجابت : « لا أبالى ، لا أبالى البتـــة ياجون » .

ورأت عينيه تطرفان لحظة ، ثم سمعا صيحة صوت أجش من أسفل السفينة يقول : « فلينزل إلى البر غير المسافرين ! »

ووقفت لندا وحدها على الرصيف ورُفع درج الســفينة وتراخت حبالها الضخمة ، وصفرت صفيراً قصيراً وتحركت ماضية وقد انطلقت من عقالها ، ثم ارتدت القهقرى إلى عرض النهر . ورأت لندا جون آخر مرة وهو يطل عليها ويلوّح بيده إليها من وراء سياج السفينة ، ثم ابتلعه الظلام وغاب عن بصرها .

ولما عادت إلى غرفتها استبد بها ذُعرٌ من وحدتها التى لا مراء فيها . نعم ، إن جون لا يحبها وإلا لما هجرها أبداً .

إن فراقهما امتهانٌ لتلك النعمة الإلهية التى لا تأتى إلا مرة فى العمر ، وإن الحب ليموت فى قلبها موتاً بطيئاً انتقاماً لنفسه من مثل هذه الخيانة . وندت من لندا صرخة قوية تخترق حجب الليل مترامية إلى عرض البحر الخضم .

وخلعت ملابسها ورقدت فى مضجعها ، وأخذ جرس بعيد يدق ســاعة بعد ساعة حتى غلبها النوم وألقى بها فى أحلام مزعجة ، فرأت سفينة جون قد نزل بها غضبٌ من الله ، وقُضى عليها أن تضل سبيلها ولا تجد مرفأ تأوى إليه . ثم نهضت لندا من مرقدها فجأة

وهى تنتفض وتصغى إلى صوت صفير يردد هذه الأغنية :

« مرة فى العمر واحدة ،
يجـــد المرء أليفـــه »

أهى فى يقظة أم لاتزال فى حلم ؟ وكان الصفير حقيقة مسموعة لاشك فيها ، فلبست خُفَّيها وأسرعت إلى النافذة ، ورأت على الإفريز رجلا من رجال الشرطة فنادته قائلة: « أ كنت أنت الذى يصفر ؟ » فأجابها : « كلا ياسيدتى ، وإنى لآسف إذا كان صفير ذلك الرجل قد أزعجك ، فقد أمرته أن يكف عن الصفير » .

فصاحت لندا : « وأين ؟ أين هو ؟ » فاقترب الشرطى من النافذة وقال : « أمر غريب ! كنت إذا أدرت ظهرى لحظة أسمع صفيره ، فإذا دُرْت إليه لم أجده . ولست أدرى أين ذهب » .

وحياها الشرطى ومشى نحو الجانب الآخر من الشارع المؤدى إلى المتنزه . وأضاءت لندا جميع أنوار غرفتها . إن هذا شىء مروع ولا يمكن أن يحدث عفواً ! فلما سمعت الصفير ثانية تدثرت بثوب وفتحت الباب واندفعت إلى الشارع ، فرأته رأى العين !

إنى كلما فكرت فى قصة لندا وجون ازددت يقيناً بأن للمحبين فى حبهم الخالص العميق تلك الموهبة الخارقة : موهبة إدراك أحدهما ما يساور نفس صاحبه، وإلا فما الذى يمكن أن ينقل جون من موقفه بجانب سياج السفينة وهى فى سبيلها إلى البحر ؟

لقد استولى عليه حزن شديد كأنه مرض أطبق عليه . لم يكن ما يشعر به من ألم هو خفقات جُرح البين والفراق ، بل كان شعوراً بدافع نفسانى قوى ، شعور بالقلق يفيض به قلبه ويملؤه خوفاً لا يدرى كنهه .

وإذا أحس المرء بمثل هذا الشعور فقد استولى عليه سحر أقوى من العقل . فهذا الذى استقر عليه رأى جون من ضرورة العودة إلى لندا من فوره ومهما يكن من أمر ، لم يكن له سبب معقول ، ولم يكن لاندفاعه نازلاً على سلم السفينة المظلم إلى حيث القبطان أى حكمة . لقد أخذ بذراعى قائد السفينة وقال له وهو يكذب: « كان علىَّ أن أحمل معى وثائق هامة إلى لندن ، ولكنى تركت حقيبة أوراقى فى المنزل » .

فصاح القبطان: « وماذا تريدنى أن أفعل ؟ أأعود بالسفينة إلى مرفئها وأنتظرك ؟ »

فهدر جون: « لا بد من أن أنزل من هذه السفينة » . فقال القبطان : « حسنٌ ، هناك شىء واحد نستطيعه، فنحن على وشك إنزال المرشد ، ويمكنك أن تعود معه إلى نيويورك » .

كانت الساعة الثالثة صباحاً عند ما انطلق جون يمشى فى الضوء الخابى فى ميدان وشنطن ميمماً شطر منزل لندا ، ثم وقف عند نافذتها وجعل يصفر هذا الصفير المتقطع. وما هو إلا أن ظهر رجل الشرطة ، فتظاهر جون بالسير، ولما أدار الشرطى ظهره قفز جون إلى مدخل قبو المنزل، ولما انصرف الشرطى صفر جون مرة أخرى ، وبدت لندا على الدرج المرمرى وهى تبحث عنه بعينين تفيضان إيمانا ومحبة .

ولما عادا إلى غرفة لندا وأوقدا النار فى المدفأة وصنعت له القهوة ، تذكرت شيئاً وقالت له : « إن أمى ستأتى من وشنطن فى فى الساعة السادسة » .

« وما عساها تقول ؟ »

فاستضحكت لندا وقالت: « إنك لاتعرف أمى . إنها ستصرّ حين تجدنا هنا معاً على أن تصوننى من ألسنة الفضيحة — أن تتزوّجنى من فورك ، وبعد قليل ستصفح عنك » .

كانت لندا على صواب فما يتعلق بإصرار أمها على زواجه بها ، ولكن ما توقعته من صفح لم يتحقق حتى نال جون الجائزة الأدبية عن . . . .

ولكن لا ! لقد كدت أفشى سرّه .

تكلّموا تعرفوا ؛ فإنّ المرءَ مخبوءٌ تحت لسانه .

[على بن أبى طالب]

لسعت نحلة أنف كلبنا الصغير ذات ليلة ، فما هو إلا قليل حتى ورم أنفه ورماً مؤلماً ، وكادت العينان تنطبقان ، وصار التنفس عسيراً عليه . فخفت أشد الخوف وهرعت إلى التلفون فخاطبت الطبيب البيطرى ، فقال :

« اغسلى أنفه المتورم بقليل من ماء الصودا الفاتر ، وستربنه فى الصباح على أحسن حال » .

فقلت وفى صوتى لهجة المتوسلة : « ولكن يادكتور ، أليس فى وسعى أن أصنع شيئاً أكثر مما وصفت . إنه متألم . أيصحُّ أن أعطيه قرصاً من الأسبرين ؟»

فأجاب الدكتور : « نعم ، إن الأسبرين قد يخفف عنه . أعطيه قرصاً — وخذى أنت قرصين ! »

[إميلى هوكنز]



تحت شمس البحر الأحمر

مختصر كتاب
بقلم
الكوماندر إدوارد الزبرج

كتب فرنسيس لدلو محرر مجلة « بائع الكتب » يقول: « إنى أزكى كتاب الكومندر إدوارد إلزبرج بوصفه قصة واقعية، ولكنها مع ذلك مؤثرة جداً . ففيها تشويق، وحوادث روائية وإلهام . وأحياناً تكون مسلية فتغريك بالقهقهة على ما فيها من صراحة الجد، وأحياناً تحرك النفس كالموسيقى العسكرية . وأعتقد أنها قد تأخذ مكانها بين الروائع من قصص الشجاعة فى لقاء المصاعب الساحقة » .

تحت شمس البحر الأحمر

في ليلة ٧ ديسمبر ١٩٤١ كنت أستقل القطار الذاهب إلى وشنطن ، وكنت في العام السابق قد استقلت من وظيفتي ، بعد نحو ثلاثين عاماً قضيتها في الأسطول النظامي ، والاحتياطي البحري . ولكنني الآن ،وقد بدأت الحرب ،رغبت في التطوع للخدمة العاملة .

ولما كنت قد تخطيت الخمسين بقليل ، فقد كنت في ذلك الفريق الذي لا تشتدّ الرغبة إليه ، إذا آثرنا التلطف في التعبير ، ولكن البحرية قررت أن كلّ ضابط سابق ذي خبرة بأعمال الإنقاذ والتعويم ، قديكون نافعاً ، وذلك بغض النظر عن سنه . فهل أقبل أن أذهب إلى البحر الأحمر الذي يرقد في قراره أعظم مقدار من حطام السفن في العالم ، (ولا نستثني برل هاربر) ؟

وكانت مهمتي على وجه التحديد أن أنشيء قاعدة بحرية في مصوع بإريتريا ، على ثلثي المسافة من السويس إلى عدن في البحر الأحمر . ومصوع خير ميناء في البحر الأحمر، ولعله الميناء الوحيد الصالح لأن يكون قاعدة بحرية لتعزيز مجهود البريطانيين في آخر خط من المعركة التي كانت دائرة يومئذ في ليبية لمنع جحافل روميل من الاستيلاء على الشرق الأوسط كله .

وكان الإيطاليون ، قبل أن يتخلوا عن مصوع للبريطانيين في الربيع الماضي ، قد نفذوا برنامجاً من التدمير المنظم على أوسع نطاق عرف في أية حرب . ففي الموانيء الثلاثة وعلى مقربة من مصوع ، أغرقت أربعون من السفن الحربية الألمانية والإيطالية ، وسفن الشحن والركاب ، وحوضان جافان عائمان من الصلب لا يعوضان، وحطمت الآلات الثمينة في دور الصنعة البحرية بالمطارق الضخمة ، وقذفت الروافع الكهربائية في البحر ، وأخيراً أغرقت صفوف من السفن الكبيرة ، رصت بأقصى عناية ممكنة ، ومقدمة كل واحدة إلى مؤخرة الأخرى ، لتسدّ مدخل الميناء .

وكان تهديد روميل للاسكندرية في خريف ١٩٤١ قد جعل من الحتم الحصول على قاعدة بحرية أخرى تستند إليها القوات البريطانية في البحر الأبيض المتوسط ،فتولت الولايات المتحدة إصلاح ميناء مصوع بمقتضى قانون الإعارة والتأجير،على أن يقوم المدنيون بالعمل تحت إشراف البحرية ، ولكن بعد

حادثة بِرل هاربر ، صارت وشنطن عاجزة عن تقديم الرجال والمهمات التى تعهدت وهى مطمئنة بتقديمها قبل ذلك بأسابيع قليلة ، ومع ذلك صدرت إلينا الأوامر نحن الموكلين بمشروع الشرق الأوسط ، بالذهاب كما كان مقرراً ومعنا مدنيون ، وكنا نعمل بإشراف الماجور جنرال رسل ماكسويل من رجال الجيش الأمريكى ، وبتوجيهه ، وكان يومئذ فى مصر ، وكان علينا أن نجمع ما نستطيع جمعه للعمل الذى عهد به إلينا .

ولم يكن ثم سفن للتعويم من سفن الأسطول ولا أجهزة ولا معدات لذلك ، ولا ضباط بحريون آخرون ، ولا مجندون . وقد استطعت أن أجمع خمسة ليس إلا من الغطاسين المدنيين — وإن كنت محتاجاً إلى ثلاثين أو أربعين على الأقل — واثنين لا أكثر ملحان لأعمال التعويم .

وفى طريقى إلى مصوع تحدثت مع الجنرال ماكسويل فى القاهرة ، ولم تكن قد أتيحت له فرصة لزيارة مصوع ، فعلمت أنى سأجد الحالة هناك سيئة ، وأن الجو فظيع كما يقال ، ولكن الموقف الحربى فى ليبية يسوء بسرعة ، فيجب أن أذهب إلى مصوع على الفور ، وأن أفعل كل ما يمكن ، دون أن أنتظر رجالى أو المهمات ، فإن الحاجة إلى ذلك ملحة .

وزاد همى ما أخبرنى به كبتن بريطانى من أن آخر قائد للأسطول البريطانى ذهب إلى مصوع ، انتهى أمره بعد شهر بأن دخل مستشفى عسكرياً لما أصابه من إعياء فى البدن والعقل .

وقال لى : « إن مصوع أشد مكان على وجه الأرض حرارة ، ويقال إنه ليس بعدها سوى الجحيم » .

وكانت أسمرة ، عاصمة إريتريا ، وهى فى موقع جميل على ارتفاع ٧٥٠٠ قدم فوق سطح البحر الأحمر ، أقصى ما يمكن أن يذهب إليه الإنسان طائراً . ومن هناك فى صباح اليوم الثلاثين من شهر مارس ، خرجت فى سيارة للجيش ، فانحدرنا فى جبل وعر إلى صحراء مستوية على مسافة ٣٠ ميلا من مصوع .

وما هى إلا دقائق حتى كنت أتصبب عرقاً وبدأت أفهم لماذا تعد مصوع معدومة النظير على الأرض ، فإن هذه الجبال العالية التى هبطت منها تجعل مصوع وساحلها الضيق كأنهما فى قدح ، والشمس المتلظية تمتص من البحر الأحمر المتلهب مقادير هائلة من البخار تصدها الجبال ، فتظل فوق القدح ، وتجعل مصوع على مدار العام من أشد بلاد العالم رطوبة وأشدها حرارة .

وذخلنا مصوع وانعطفنا إلى شبه جزيرة

« عبد القادر » حيث القاعـدة البحرية الإيطالية القديمة التي أقصد إليها ، وترجلت من السيارة وقد شواني الحر ، وبللني العرق. وسرعان ما تبينت أن مما يزيد الحرارة سوءاً أن هنالك غباراً أصفر ناعماً يرتفع كالسحاب مع كل خطوة ، ولم يكن ثم شجر ولا ظل .

وزرت ضابطين أمريكيين آخرين كانا في مصوع منذ حين ، فتلطفا واقترحا أن أستحم ، فقد كان عندهما حوض يتركان الماء فيه حتى يبرد ، على ما قالا .

فأسرعت ونضوت ثيابي المبتلة ، ووثبت إلى الحوض المملوء وكان يبدو بارداً ومغرياً ، ولكنه لم يكن كذلك ، بل كان ساخناً مزعجاً . ولم يكن ثمة شك في أن ماء ساخناً كثيراً قد صب فيه ، فبحثت عن صنبور الماء البارد ، ولكنه لم يكن هنالك سوى صنبور واحد ليس عليه علامة ما ، فأدرته لحظة ، ثم أسرعت فسددته ، فقد كان ماؤه أحر من الذي في الحوض .

فبدأت أفهم معنى ما قيل لي عرضاً عن الماء الذي « يبرد » في الحوض ، فقد كان من الجلي أنه لا يوجد سوى نوع واحد من الماء يخرج من الصنبور في مصوع — الماء الساخن . فإذا كنت لا تريد حماماً ساخناً — ومن ذا يريده ؟ — فإنك تملأ الحوض في الصباح وتدعه طول النهار قبل أن تستحم في المساء ، معتمداً على التبخر لتبريده قليلا .

وفي صباح اليوم التالي خرجت بالسيارة لفحص الموانيء ، فمررنا بالحي الوطني في مصوع — وهو عبارة عن أكواخ فظيعة المنظر ، ولوحات عديدة على مسافات متقاربة كتب عليها « الدخول محظور على جميع الجنود » . ووصلت إلى الميناء الجنوبي ، وكان فيه صف طويل من السفن الكبيرة ، وكان بعضها لا يبدو منه إلا الصواري والمداخن ، والبعض مائل على جنبـه ، والبعض مقلوب وقعره إلى فوق . وكانت هناك سفينة ركاب ضخمه مقلوبة على جنبها ، وفي جانبها الأيسر ثغرة واسعة . وفيما وراء صف السفن المغرقة صوارٍ ومداخن منتشرة في كل مكان .

فههنا ولا شـك ميـدان رجل الإنقاذ والتعويم ، وهو يجد فيه ما يشاء من أعمال التعويم — حطام سفن في صفوف منتظمة ، وحطام سفن مفرقة كل واحدة منها على حدة ، وحطام سفن كبيرة وصغيرة مائلة على جوانبها أو مقلوبة — حطام في كل مكان ، يكفي لتحطيم أي رجل ينظر إلى كل هذا الحطام لما يعرفه من قلة معـداته ، وقلة رجاله ، وقسوة الأحوال التي يعمل فيها .

وكان أول ما فكرت فيه أن أعيد ورش الآلات المحطمة صالحة للعمـــل . وكان الإيطاليون قد حطموا كل محرك كهربائي لكل آلة بالمطارق الضخمة ، وتركوا الآلات

جميعاً غير صالحة لشىء ، فلا عجب إذا كان قد قيل فى وشنطن إنه لا بد من تزويد مصوع بطائفة كافية من الآلات الجديدة ، ليتسنى استخدامها مرة أخرى قاعدة بحرية.

وشرعت على الفور فى تعبئة قوة للعمل من الإيطاليين ، وأهل إريتريا ، والعرب ، وكل من أستطيع استخدامه بأجر . وكان من حسن الحظ أن عندى ستة من المشرفين المدنيين وهم من أتباع المقاول ، وقد عملوا معى جميعاً بأقصى جهد مستطاع .

وسرعان ما وجدت أنه وإن كان الإيطاليون قد دمروا كل محرك كهربائى لكل آلة ، إلا أن أعمال التخريب لم تكن على وتيرة منظمة ، فبعض المحركات كان طرفها هو المحطم ، والبعض حطم طرفها الآخر ،والبعض حطم إطاره الرئيسى . وهذا هو السبيل لحل المشكلة : إذا استطعنا أن نفك كل المحركات المحطمة ، فإنى واثق أننا نستطيع أن نجد أجزاء سليمة كافية لتركيب عدد قليل من المحركات .

ولكنه لم يكن عندنا أدوات ، وإن كان قد صار عندنا بعض العمال . ومما لا يكاد يصدق أنه لم يكن ثمة فى مصوع أبسط الأدوات وأشيعها ، مثل المطارق والمفكات، فاضطررت أن أذهب إلى أسمرة لأحصل على أربع مطارق وبعض المفكات والمبارد .

وفى صباح اليوم التالى شرعنا فى العمل ، وراحت فرق من الإيطاليين تفك الآلات، وفرق من أهل إريتريا ترتب الأجزاء السليمة، ومضى أوستن بيرن الرئيس الميكانيكى يبحث بين هذه الأكوام عما يحتاج إليه ليصنع مخرطة جيدة وآلة لطرق ألواح الحديد بها .

وكان النجاح الرائع حليفتنا ، ففى اليوم الثانى كانت الآلات التى يطلبها بيرن معدة ، وكان لانج وتايلور فى ورشة الكهرباء قد ركبا ستة محركات كهربائية. ومن غريب الأمر أنه ما كان هناك أشد اغتباطاً من ذلك الإيطالى الذى كلف العمل على هذه المخرطة الأولى — وهو أحد الإيطاليين الذين ساعدوا منذ عام على تدمير كل شىء . أما الآن فقد صار وجهه مشرقاً بادى الإعجاب بالذين أعادوا هذه الآلة المحطمة إلى العمل مرة أخرى .

وعلى الأيام صارت كل آلة تعاد إلى العمل تزيد قدرتنا على صنع أجزاء جديدة لغيرها ، وبلغت الحماسة فى الورش بين هذا الخليط من العمال درجة الحمى ، إذ يرون آلات جديدة تركب وتنتج . وبعد شهر ، وبغير أن نستعمل شيئاً لم يكن موجوداً فى مصوع أوحولها حين أتيناها ، أصبحت كل ورشة إيطالية مدمرة فى القاعدة البحرية تعمل بأقصى قوة قدرها لها الإيطاليون ،

بل بأكثر من ذلك فى بعض الحالات . وصارت قاعدة الإصلاح البحرية التابعة للولايات المتحدة فى مصوّع ، مستعدة للعمل فى الأسبوع الأول من مايو ١٩٤٢ ، على الرغم من أنّ الآلات الجديدة المطلوبة من أمريكا كانت لاتزال غير معبّأة للشحن .

وكانت هناك مسألة أخرى ملحة تواجهنى كلما نظرت إلى البحر الأحمر من نافذة غرفتى . ذلك أنه كان هناك فى الفرضة خارج المرفأ حوض جاف عائم من الصلب متوسط السعة ، لا يمسكه إلا أنجر واحد ، وكانت حكومة إيران قد اشترته قبل ست سنوات من إيطاليا . وقبل وصولى ببضعة أسابيع تبينت الأميرالية البريطانية أن الإيرانيين لم يدفعوا ثمنه ، فهم لا يعدون مالكيه بالمعنى الصحيح ، فاستولت عليه غنيمة من غنائم الحرب من إيطاليا ، وجرته مسافة ألفى ميل من الخليج الفارسى إلى مرساه الحالى ، وهو الآن فى الفرضة المكشوفة عرضة للغرق إذا أصيب بضربة قوية .

وكانت حاجة البريطانيين شديدة إلى هذا الحوض الجاف إذا أريد لمصوع أن يكون لها أى نفع لهم ، ولكنه استحال إلى الآن جره إلى الميناء البحرى ، وهو المكان الوحيد الذى يمكن استخدامه فيه الآن . فخمس سفن مغرقة كانت تسد المدخل ، يضاف إلى هذا أن جزءاً من سلاسل المرسى للحوض الجاف فقد فى الرحلة الطويلة — فلم يعد للحوض سلسلة تكفى للرسو المأمون .

وحيال هذه المشاكل لم يستطع آخر ضابط بريطانى أن يصنع شيئاً ، وأضناه حرّ مصوع ، ومنظر كل هذا الحطام المتلف للأعصاب ، والخوف الذى يساوره ليلاً ونهاراً من أن يلحق هذا الحوض النفيس بالحطام الموجود ، فحُمل فى سفينة إلى المستشفى ، وأسند الأسطول البريطانى المهمة إلىّ .

وخرجت لأفحص الحطام الراقد عند المدخل . وكان من حسن الحظ أن إحدى السفن انقلبت وهى تغرق على جنبها ، ونأت بمؤخرتها عن مقدمة أقرب سفينة إليها . ولما اقتنعت بعد القياس الدقيق أنه يوجد مجازٌ كافٍ بين الحطامين لمرور الحوض بعناية شديدة ، ذهبت أبحث عن مرسى صالح .

وكان العامل الذى أرسل من القاعدة البحرية البريطانية فى الإسكندرية لجر الحوض الجاف إذا أمكن إدخاله فى المرفأ ، قد وصل إليه ، وكان قلقاً من جراء سلاسل المرسى المفقودة . ومن أين يجىء بها فى هذا المكان النائى عن حوض بورتسموث الإنجليزى على بحر المانش ؟

فقلت له لا تقلق ، فإن الحكمة السائرة تعطينا

الجواب : «ابحث تجد» . وبينما كنت أقوم برحلة تفتيش على الجانب الأقصى من الميناء عصر ذلك اليوم ، أخذت عيني بناء إيطاليًّا منعزلا وأمامه كتل ضخمة للمراسى من الأبرق (الأسمنت المسلح)، فمن البديهى أن هنا كان المستودع الإيطالى للمراسى وشبكة دفاع الغواصات . فدققت النظر فوجدت سلاسل ثقيلة من أنواع شتى مطمورة بعض الشيء فى الرمل أمام البناء . فما عنى الإيطاليون بأن يتلفوا هذه السلاسل الثقيلة ، وكان هـذا فى حرّ مصوع خليقاً أن يكون عملا فوق الطاقة ، وكذلك هيأ لنا الله المخرج على يد الإيطاليين أنفسهم .

وما لبث الحوض الجاف الإيرانى أن صار داخل الميناء بسلام، وثبت فى موضعه للعمل.

•

وكان الحر يزداد يوما بعد يوم ، فكنت استحمّ بعرقى طول الوقت ، فبدأ وزنى يقل بسرعة ، وكذلك زملائى الأمريكيون القلائل الذين يجاهدون معى للمضى فى العمل. وكنا قد دخلنا فى شهر مايو ، والعادة تقضى بالكف عن العمل فى شهور الصيف، غير أن روميل كان يشق طريقه شرقاً ويزداد تهديداً للاسكندرية ، وكان الموقف يتطلب أن أقذف بتقاليد مصوع مع الرياح . فلا بد من العمل فى الصيف ، وإلا فلا فائدة منه إذا كنا نريد أن يكون لمصوع أى تأثير فى سير الحرب .

وكانت العادة الأولى من عادات مصوع التى خالفناها هى العمل ثلاث ساعات فقط فى الصباح وساعتين فى المساء ، فغيرنا هذا وجعلنا ساعات العمل عشراً فى القاعدة البحرية مع الراحة ساعة عند الظهر . وكان لى رأى هو أن منح الرجل ست ساعات للراحة فى منتصف النهار ، مؤدّاه أن يقضى ست ساعات أخرى يشرب فيها كل ما تصل إليه يده من الخمر أو البيرة ليطفىء ظمأه فى الحر المحرق . وما من سبيل إلى المكابرة فى حقيقة الظمأ ، ولكن أجدى شيء فى إطفائه هو الماء وأقراص الملح .

وفى الثامن من شهر مايو ١٩٢٤ كانت قاعدة الإصلاح البحرية التابعة للولايات المتحدة فى مصوع مستعدة للعمل ، فغمر الحوض الإيرانى الجاف بالماء ليتلقى أول سفينة تحتاج إلى إصلاح، وكانت السفينة كوريتزا ، وهى باخرة يونانية مسلحة، قد جاءت فى الليلة السابقة من الإسكندرية، وكنت قد استأجرت مئتين من أهل إريتريا وشيوخهم للعمل فى السفن فى الحوض الجاف . فقسموا إلى فرق كل فرقة برياسة شيخها ، ووزعوا على الباخرة كوريتزا من مقدمتها إلى مؤخرتها لإزالة الأصداف الملتصقة ببطنها .

وكان البطن مغطى بالأصداف إلى عمق عدة بوصات ، وقد جمدت الطبقات القديمة حتى صارت كحجر الكلس على كرّ الأعوام، فعالجها عمال إريتريا بمجارف من الصلب صنعت لهذا الغرض في ورشة الحدادة الجديدة.

ولكن العمل كان يسير ببطء مخيب للأمل.

وفي بكرة الصباح التالى قصدت إلى الحوض الجاف مرة أخرى ، فعدت من التفتيش مكروباً، فإنه مع هذا البطء يكون من حسن الحظ أن نفرغ من العمل فى أسبوع ، وكنت قد قدرت له ثلاثة أيام . وكانت السفينة التالية التى ستدخل الحوض قد رست فى مصوع انتظاراً للدخول ، ولن تلبث الثالثة حتى تغادر الإسكندرية اليوم فى أثرها ،ولن نلبث أن نرى فُرْضة مصوع غاصة بسفن معطلة تنتظر دخول الحوض .

ففكرت فى استخدام الترغيب بالمكافأة للإسراع فى العمل ، ولكن القانون كان يقيدنى ، فإن أجور العمال المحليين كانت محددة تحديداً صارماً بخمس وعشرين ليرة فى اليوم ، وعمالنا يتقاضون هذا الأجر . ثم خطر لى فجأة إمكان التهرب من هذا التحديد للأجور ، فأمرت المشرف أن يجمع لى الشيوخ .

وقلت للمترجم: « قل لهم إن الوقت الذى أسمح به لجرف بطن سفينة، ودهنها على هذا الحوض الجاف ، هو ثلاثة أيام ليس إلا ، فإذا لم ينتهوا من العمل مســاء غد فهم مطرودون جميعاً — الشيوخ وغيرهم — ولكن إذا انتهوا منه مساء غد ، فسيعطون أجور ثلاثة أيام وأحتفظ بهم ، وإذا فرغوا منه صباح غد فإنهم يعطون أجور ثلاثة أيام، وإذا انتهوا من العمل فى السفينة التالية فى يومين، فسيعطون أجور ثلاثة أيام كذلك ، وإذا فرغوا من العمل فى أية سفينة فى أقل من يومين ، فإنهم يأخذون أيضاً أجور ثلاثة أيام » .

وعقد اجتماع ملتهب تحت دَفَّاع السفينة كوريتزا ، ثم تفرّق الشيوخ مسرعين إلى قبائلهم ، ودعا كلٌّ منهم أهل قبيلته ، وظل العمل معطلا نحو خمس دقائق أو عشر ، وإذا بى أسمع نحو مئتين من أهل إرتيريا يتصايحون جميعاً وهم يبحثون اقتراحاتى تلك.

ثم كروا إلى العمــل ، ولو أنى كنت لوحت بعصا سحرية لتغيير ما بهم ، لما كانت النتيجة أعجب .

فما جاء الظهر حتى كان بطن السفينـة كوريتزا قد جرف ، وحلت الفرشة وعلب الدهان محل المجارف . ولو كان يخامرنى أى شك فى فائدة المكافأة فى الحث على الإنتاج ، لزال فى ذلك اليوم على ظهر الحوض الجاف الكريه الرائحة المفعم بالأبخرة .

وفى الساعة السادسة مساء أخرجنا السفينة كوريتزا من الحوض الجاف، فمضت فى طريقها ، وذلك بعد ثمان وأربعين ساعة من دخولها أو أقل. وفى منتصف الليل تلقينا رسالة من القائد العام للأسطول البريطانى فى الإسكندرية تقول: «أحسنت يامصوع».

وما هو إلا أن عكف عمال إريتريا على العمل حتى أسرعوا فيه بدلا من أن يبطئوا . ففى الأيام المئة والعشرين التى أفردت للسفن التجارية فى الحوض فى ذلك الفصل ، ومنها شرّ شهور الصيف ، أدخلنا ثمانين سفينة — فبلغ المعدل أخيراً سفينة فى كل يوم ونصف يوم . وليس فى الدنيا حوض جاف بلغ هذا الرقم فى السلم أو الحرب على ما أعتقد .

وفى التاسع من مايو قدم من الولايات المتحدة الكبتن وليام ريد من المتخصصين فى أعمال التعويم، ومعه خمسة من الغطاسين وميكانيكى متخصص فى أعمال التعويم، وثمانية من الميكانيكيين وبعض السفن الصغيرة. وكنت أتلهف على الشروع فى التعويم ، فعهدت إليهم بأشق مهمة كانت الأميرالية البريطانية نفسها قد ذهبت رسمياً إلى استحالتها — وهى رفع الحوض الجاف الإيطالى الكبير ، وكان هـذا الحوض أنفس الغنائم الحربية بين ما أغرق فى مصوع .

وكان ترقيع الخروق السبعة الكبيرة التى أحدثها الإيطاليون فى هيكل الحوض حتى يتسنى نزح الماء منه ورفعه ، يتطلب خمسين غواصاً وعـدة مئات من الميكانيكيين ، وكثيراً من سفن الإنقاذ الحسنة المعدات ، للعمل مدة سنة أو أكثر — أو كما جاء فى تقرير بريطانى أن العمل سيكون «طويلاً وعسيراً وغير ناجح على الأرجح »

على أنى اهتديت بعد فحص التلف إلى طريقة لرفع هذا الحوض ، فبدلا من معالجة مهمة ستكون « طويلة وعسيرة وغير ناجحة على الأرجح » اعتزمت أن أجعلها «قصيرة وسهلة ومحققة النجاح» . وكان لابد أن أجد وسيلة ، فما كان عندى لا الرجال ولا المعدّات للقيام بهذه المهمة على أى وجه آخر .

ويشبه الحوض الجاف العائم إذا نظرت إليه من طرفه حرف U ، ويمكن تشبيه الجزء الأفقى فى قعره بطَوْف مجوف هائل لا ينفذ منه الماء ، عمقه ١٥ قدماً وعرضه مئة قدم وطوله ستمئة قدم ، وقدرة هـذا القعر على الطفو عظيمة ، وكافية لرفع كل من السفينة والحوض الجاف نفسه .

أما الأجزاء العمودية من حرف U فجداران ضخمان أجوفان من الصلب سمك كل منها ١٥ قدماً ، وارتفاعه ٣٥ قدماً ، والجداران قائمان على جانبى الحوض من أوله

إلى آخره . والغرض الأكبر منهما أن يكون الحوض الجاف ثابتاً ، حتى إذا غطس ليتلقى سفينة توطئة لرفعها ، لم يضطرب أو ينقلب فيقذف بالسفينة عن قاعدته .

وكانت فكرتى بإيجاز أن أرفع الحوض الجاف بوسيلة واحدة ، هى الهواء المضغوط فى جوف الجدارين . ولم يكن من شأن الخروق فى قاع الحوض أن تثير صعوبة ، لأن الهواء المضغوط إذا أدخل فى جوف الجدارين يستطيع أن يطرد الماء من هذه الخروق حتى يخرج مقداراً من الماء يكفى لجعل الحوض قادراً أن يطفو قليلا . وبعد ذلك ينبغى أن يشرع فى الارتفاع بفضل الجدارين المفعمين بالهواء . وقد دل الفحص على أن الجدارين الجانبيين مغموران بالماء ، وهو ما تحققت منه بأن غطست فى جهاز غواص لفحصهما . فكل ما كان علينا أن نفعله هو أن نجعل الجدارين السليمين محكمى السد لا ينفذ منهما الهواء ، وذلك بأن نسد كل الفتحات سواء أكانت فى الماء أم فوقه . وكان من حسن الحظ أن الحوض لم يغطس إلا فى ثمانى قامات من الماء ، فعند الجزر المنخفض ينكشف سطح الجدارين قليلا فيتهيأ لنا موضع قدم .

ولكى أخرج فكرتى إلى العمل ، كان على أن أضع على سطح كل من الجدارين مضخة هواء مضغوط ، وأن أصل الأجزاء الثمانية التى لا ينفذ منها الهواء ، فى كل جدار بهذه المضخة ، وأن أصل المضختين اليمنى واليسرى عبر ثغرة من البحر طولها ٨٠ قدماً بين الجدارين ، وأن أسد كل فتحة فى سطحى الجدارين وجوانبهما . وما جاء مساء اليوم الأول حتى كانت مضختا الهواء الطويلتان والوصلات قد أقيمت . وفى أثناء ذلك كان الغواصون قد سدوا فتحات الهواء فى الجزء الأعلى من الهيكل المغمور ، وسدوا كل الفتحات الأخرى التى وجدوها فى جوانب الجدران بسدادات من الخشب مستدقة الطرف .

وقد بدأت متاعبنا الحقيقية حين استخدمنا ضاغطات الهواء ، فقد وجدنا منافذ للهواء فى السطوح العليا فوق الماء ، فقل إعجابى بمهارة بناة سفن موسولينى .

فانصرف كل العمال والغطاسين والكهربائيين والنجارين وعمال الأنابيب لسد هذه المنافذ — ولم تكن هذه بالمهمة الممتعة ، فإن ألواح الصلب تحت أشعة شمس إريتريا الحارقة ، كانت تمتص من الحرارة ما يجعلها أحمى من أن تلمس باليد العادية ، حتى أهل إريتريا الذين ألفوا أن يمشوا حفاة طول حياتهم على رمال الصحراء ، كانوا لا يطيقون هذه الألواح الحامية وفى أقدامهم نعال سميكة تجعلها كأرجل الفيلة . وقد رأيتهم

يلفون على أقدامهم قطعاً من الخيش والأشرعة القديمة ، ويغمسونها فى الماء مراراً .

ولكنه كان علينا أن نسد المنافذ سواء أكان الصلب حاميا أم بارداً ، وكنا نقعد على مساند من الخيش أو الشراع المبلول حتى لا نحترق . فلما كان العصر سدوا من الثقوب ما يسّر أن يدخل بعض الهواء فى الحوض ، ولما دنونا من الغروب انحرفت الإبر على مقاييس الضغط عن علامة الصفر : وكل أوقية من الضغط معناها أن الماء فى جوف الحوض قد هبط نحو بوصتين .

وكان أشد ما يقلقنى هو هل تتحمل الضاغطات الحامية التى تعمل ساعة بعد ساعة تحت الشمس المتلظية وفى هذه الأحوال الفظيعة ، حتى تتم المهمة . ولكى نتعهدها ونراقب على الدوام عملها طول الليل ، قسمنا أنفسنا إلى فرق تعمل كل منها ثلاث ساعات ، تتولى كل منها السير على الجدارين الجانبيّين وعلى الجسر المترنح بينهما — ومسافة ذلك أكثر من ثلث ميل — لدرس الضغط على مقاييس الهواء ، مع اتقاء الوقوع على الأجسام العارية لجماعة الإنقاذ المنطرحين كيفما اتفق على مراتبهم والراقدين فى غير راحة فى الليل الحارّ .

وسار العمل فى تلك الليلة وفى اليوم التالى دون أن يعطله شىء ، وفى الساعة الثامنة مساء ارتفع الضغط فى ناحيتنا فوق أربعة أرطال ، فقلق ريد لأن ألواح السطح انتفخت قليلا هنا وهنا بسبب ضغط الهواء الواقع عليها من تحتها فقلت له : « فلتنتفخ ! فما يسعنا أن نفعل شيئاً آخر » .

ومضينا فى مراقبة الضغط كما فعلنا فى الليلة السابقة ، وفى الساعة الأولى صباحاً نهضت لأقوم بنوبتى فى المراقبة ، فلما تقدمت على الجانب الأيسر وجدت ريد مقرفصاً فى الظلام مستثبتاً إلى الماء على جانب الجدار .

وهمس ريد كأنما خشى إذا رفع صوته أن يفسد الأمور : « انظر إليها — أترى صدفة المحار الكبيرة فوق خط الماء بقليل عند العلامة ؟ فمنذ نصف ساعة كانت فى الماء ، وهى الآن فوقه بمقدار بوصة . لقد بدأ الحوض يرتفع » .

فقعدت على السطح الحامى بجانب ريد ، وصوبت عينى إلى هذه العلامة المرتجلة . وبعد دقائق قليلة نسرع قلبى يدق ، فقد كانت هذه المحارة تبتعد ببطء على سطح الماء اللامع . لقد بدأ المستحيل يتمّ . وبعد يومين ونصف يوم ليس إلا ، ظهرت بوادر النجاح فى هذه المهمة « الطويلة العسيرة غير الناجحة » وأخذ الحوض الجاف يرتفع !

وبعد تسعة أيام طفا الحوض تماماً بسلام ، وكانت هذه أقصر مهمة إنقاذ عالجتها ،

فأحدث ذلك ضجة فى الشرق الأوسط، وأدت إلى ترقيتى بناء على توصية الجنرال مكسويل إلى رتبة كبتن .

والآن وقد اقترب شهر يونيو وأخذت وقدة الحر التى لا تصدق تزداد تسعُّراً ، فقد بدأنا نحن الذين يعملون خارج البيوت نعانى مرضاً استوائياً لم يكن من الأمراض المخوفة التى لقحنا ضدها ، وإنما كان بثور الحر لا أكثر . وكنت دائماً أذهب فى سخرية إلى أن البثور شىء تزيله عن بشرة الطفل الرقيقة بأن ترشها بمسحوق الطلق (التلك) .

أما فى مصوع فقد وجدنا أن بثور الحر ليس بالشىء الذى يسخر منه . فقد كان الجلد كله يلتهب ويظل ملتهباً فتصير البشرة كأنها نوع خشن من الجلد ، وكانت المساحيق والغسول والمراهم لا غناء لها فى إزالة هذه الحكة الفظيعة — فقد كان العرق يمحو هذه الأشياء على الفور . وكانت الحال أسوأ فيما يتعلق بمن يعملون فى الإنقاذ ولا سيما الغطاسين ، فإن الوحل والأقذار والأصداف تهيج البثور وتحدث هرشاً شديداً يكاد يطير العقل .

وفى أسبوعين فقدت إلى الأبد اثنين من فرقتى الصغيرة للإنقاذ وعددها ١٣ ، أما الآخرون ومعهم معظم الرجال الذين يعملون معى ، فى البحر أو على البر ، فكانوا يقضون نحو رُبع وقتهم فى المستشفى .

وكنت منذ وصولى إلى مصوع أودّ أن أقف على حقيقة الأمر فى حرها . ففى الأسبوع الأول من يونيو أخذت معى مقياس حرارة إلى حيث كانت فرقة من عمال الترميم تعمل فى الحوض الجاف، ورفعته بضع دقائق ، فسرعان ما أحاط بى عشرات من الأمريكيين وعمال جنوب إفريقية، وقد جذبتهم رؤيتهم للمقياس ، فقرأت فيه درجة ٦٥ سنتجراد

وكان هذا بالطبع فى الشمس ، ولكن العمال كانوا فى الشمس أيضاً .

ثم وضعت المقياس على ألواح الصلب فى أرض الحوض الجاف ، فسجل درجة ٧٢$\frac{٧}{٩}$ سنتجراد .

فأفضت هذه التجربة الصغيرة على الفور إلى ضياع عدة ساعات من عمل العمال . فقد راح كل واحد يمسح بدنه ويبحث عن مكان ظليل ، وقد بدأ يشعر بأضعاف ما كان يجده من الحر قبل ذلك ، وجعلوا يتساءلون : أيستطيع أى إنسان أن يعيش بله أن يعمل فى حر كهذا ؟

فلما أوفينا على شهرى يوليه وأغسطس ازداد الحر ، ولكنى لم أجرؤ مرة أخرى

على إخراج مقياس الحرارة لأعرف درجتها على وجه الدقة ، وقد كنا أقرب ما يمكن إلى حر نار الجحيم . ولو أنى عرفت حقاً أن الحرارة أشد مما كانت ، لكان من المشكوك فيه أن أقوى على احتمالها مع معرفتى باشتدادها .

وفى أثناء ذلك كنا نعالج تعويم سفينة أخرى هى الباخرة ليبنفلز ، وهى سفينة شحن ألمانية كبيرة أغرقت لسد الميناء . وكان من المحتم تطهير الميناء بأسرع ما يستطاع ، وكان سقوط طبرق فى ٢١ يونيه قد أورث الجنود المتحالفة فى الشرق الأوسط غمًّا شديداً . فبدأ من القاهرة « خروج » على غير نظام ، وأغلقت القاعدة البحرية فى الإسكندرية بسرعة . فصار عندى الآن القاعدة البحرية الباقية والحوض الجاف الوحيد فى الشرق الأوسط .

وكنت قد قدرت أن تعويم الباخرة ليبنفلز عمل عادى من أعمال الإنقاذ ، فما لبثت أن تبينت أنه ما من عمل من أعمال التعويم فى مصوع يعد عادياً . ولم تنته متاعبنا أن رفعناها .

ففى الرطوبة الفظيعة التى كانت مضخاتنا عرضة لها ، كانت المضخات تنهار مع المولدات الكهربائية . وبينما كنا نحاول أن نصلح المضخة كان الماء يعود فينفذ إلى عنبر السفينة فتميل ، ويؤدى ذلك إلى اندفاع الماء فى العنابر الأخرى إلى هذا الجانب . ولابد أن تعتدل السفينة ليتسنى إدخالها فى الحوض الجاف لإصلاحها .

وبعد أربع ليال وخمسة أيام من العمل المتواصل استطعنا أن نقيم الباخرة ليبنفلز ، فما زاد مَيْلها على ١٣ درجة إلى اليسار — وكنت من قبل أعد هذا سيئاً جداً — ثم جررناها إلى الحوض الجاف ، والعلم الأمريكى يخفق مزهواً من قمة ساريتها .

وعلى الرغم من الاحتجاجات العنيفة من المشرف على الحوض ، أمرت بإمالة الحوض إلى اليسار ، فكاد الجانب الأيسر يختفى تحت الماء ، ولكن هذا الميل كان يشاكل ميل السفينة ليبنفلز ، ثم جررنا السفينة بسرعة إلى الحوض وأقمناها على القعر المائل قبل أن ترتد يمنة ، ونزحنا ماء الحوض — وكان إدخالها الحوض على هذا النحو عملا خطراً .

وفى الثانى من أغسطس تلقيت أمراً بالراديو بأن أقوم على الفور لشهود مؤتمر مع قيادة الأسطول البريطانى فى الإسكندرية ، وهناك سرنى أن علمت أنى سأتلقى أخيراً مساعدة ضباط بحريين وعمال من دور الصنعة .

ووجدت فى القاهرة أن « الخروج » قد كف بعد أن عجز روميل عن اختراق خط العلمين ، غير أن الموقف البحرى فى البحر الأبيض المتوسط كان أسوأ مما كنت أتوقع . وأخبرنى الأميرال هاروود القائد العام للأسطول البريطانى وبطل الموقعة الشهيرة التى دارت عند نهر بلاتا فى ١٩٣٩ وقضى فيها على البارجة « جراف سبى » ، أن أسطوله مؤلف على وجه التحديد من أربعة طرادات خفيفة وحسب ، وأن ثلاثة منها معطوبة .

ولم يكن عنده بوارج يواجه بها البوارج الإيطالية الأربع أو الخمس ، فقد ضربت البارجة بارهام بالطربيد عند طبرق فغرقت وفقد من رجالها ٨٠٠ ، وأصيبت البارجتان « كوين إليزابث » و « ڤاليانت » بما عطلهما عن العمل ، وإن كان المحور لا يعرف ذلك .

كانت البارجتان واقفتين في ميناء الإسكندرية ذات ليلة ، وإذا بزورق حراسة يلتقى برجلين فى ثياب الاستحمام قاعدين على شمندورة لشبكة ضد الغواصات ، فنقلا إلى البارجة « كوين إليزابث » ، واتضح أن الاثنين إيطاليان ، وكان هذا مبعث قلق . وبعد استجوابهما عبثاً ، أمر قائد البارجة بإنزالهما فى جوفها ووضعهما فوق القعر المزدوج — واحد فى الجانب الأيمن والآخر فى الجانب الأيسر — حتى إذا رغبا فى الكلام صعدوا بهما .

ثم بدأت حرب أعصاب ، ففى البارجة « كوين إليزابث » والبارجة « ڤاليانت » القريبة منها ، قامت فرق العمال بمد الحبال وحاولت أن تجرف بطن السفينتين لإزالة أى شىء يمكن أن يكون عالقاً بهيكلهما ، وبقى الأسيران صامتين .

وقبل الساعة الخامسة بربع ساعة فى الصباح انهارت أعصاب الرجلين وأبديا رغبة مفاجئة فى الكلام ، فحملا إلى السطح بسرعة ، فطلبا أن ينقلا من السفينة لأنهما كانا قد وضعا لغماً كبيراً تحتها ولغماً آخر مثله تحت البارجة ڤاليانت ، وكلاهما سينفجر بحسب التوقيت بعد خمس عشرة دقيقة .

فأرسل النبأ بالإشارات على الفور إلى البارجة ڤاليانت ، ودقت أجراس الخطر ونفخ فى الأبواق تدعو الجميع للعمل ، وأطلقت الصفارات تتلوها النداءات العالية : « اربطوا كل شىء تحت ! أغلقوا كل الأبواب الحاجزة للماء ! وإلى السطح جميعاً » .

وفى أقل من عشر دقائق كان جميع البحارة وعدتهم فوق الألف ، محشودين على السطح فى الظلام ، وبقى البحارة فى صمت أليم ينتظرون حتى صارت الساعة الخامسة ؛ أكان الأمر أكذوبة وخدعة أم حقيقة ؟

وإذا كان حقاً فماذا عسى أن يصنع بهم هذا اللغم ؟

ولم يكن الأمر خدعة ، ففي الساعة الخامسة حدث انفجار مهول رج البارجة « كوين إليزابث » وحمولتها ٣١٫٠٠٠ طن ، وبعد بضع ثوان حدث انفجار آخر تحت البارجة « ڤاليانت » وأصيبت كل منهما بخرق كبير فى جوفها ، وبدأتا تميلان ، ولكن لم يقتل أحد من رجالهما ، وشرع البحارة على الفور فى العمل للحد من التلف .

ولما طلع الفجر على الميناء كانت البارجتان لاتزالان عائمتين معتدلتين ، ولم يكن أحد ، إلا من عسى أن يكون قريباً جداً منهما ، يستطيع أن يعرف أنهما هبطتا فى الماء إلى ما دون الحد المألوف .

وكان الأمر يتطلب إصلاحاً كبيراً ، فقد تحطمت مراجل السفينتين فى جملة ما تحطم ، ولكنه كان من الضرورى أن يبقى العدو متوهما أن بريطانيا لايزال لها فى هذه البقعة بارجتان على الأقل قادرتان على العمل . ووجد ستة آخرون من الإيطاليين فى جهاز غواصين ، وبدا أن من الممكن أن يكون هؤلاء هم كل وكل إليهم هذا العمل البارع الخطر .

ورغبة فى إيهام المراقبين من الجو ، سارت الحياة فوق سطح السفينتين كالعادة — فكانت الفرق الموسيقية تعزف ، والبحارة يحشدون للتفتيش فى الساعات المألوفة ، والزوارق الصغيرة تروح وتجىء فى مهماتها العادية . ونجحت الخدعة ، والظاهر أن العدو لم يدر قط أنه كان موفقاً فى ضربته .

وقامت الأميرالية البريطانية بخدعة أخرى ، وكان لها بارجة قديمة فى عهد الحرب العالمية الأولى اسمها سنتوريون ، نزعت منها المدافع واتخذت هدفاً ، فجهزت بسرعة بمدافع من الخشب ودروع تبدو كالدروع الحقيقية ، وأرسلت إلى الإسكندرية ، وجعلت بعد ذلك تكثر من الطواف لتظهر العلم البريطانى فى شرقى البحر الأبيض المتوسط وليظل الإيطاليون محجمين عن الخروج — ولو اجترأ أى زورق مدافع على الدنو منها لاستطاع أن يغرقها بسهولة .

وكان الطراد ديدو معطوباً عطباً خطيراً من جراء قنابل كادت تحطمه . ولما كان البريطانيون لا يستطيعون إدخاله الحوض الجاف فى الإسكندرية الذى لا يكف العدو عن ضربه ، فقد اتخذت التدابير لإرساله إلى ديربن فى جنوب إفريقية على بعد ٥٠٠٠ ميل ، وكان هذا يقصى الطراد عن خط القتال أكثر من شهر أو شهرين تقريباً .

فلم أستطع أن أسيغ هذا . وصحيح أن الحوض الجاف الإيطالى الذى عومناه فى مصوع لم يعد إلى العمل ، وأن الحوض الجاف

الإيرانى كان كما قال المهندس البحرى للأسطول ، أصغر من أن يتسع للطراد ديدو . ولكنه بدا لى أن هناك طريقة لإصلاح الطراد فى مصوع — وبذلك يعود إلى الخدمة فى أقل من ربع الزمن الذى يستغرقه الذهاب إلى ديربن والإياب منها .

فعرضت مشروعى على الأميرال هاروود ، وسرنى أنه تحمس له . ولما انصرفت هزّ يدى بحرارة وهو يودعنى ثم قال متوسلا : « أرجو يا إلزبرج أن تتوخى الحذر وأنت تعالج الطراد ، فإنه ربع أسطولى كله ! » .

ووصل الطراد ديدو إلى مصوع فى صباح اليوم التاسع عشر من أغسطس ، وكان الحوض الجاف قد ملىء ماء ليتلقاه .

وكان الذى أثار الشكوك أن الحوض يستطيع أن يحمل ستة آلاف طن ، وأن طوله لا يتسع لأكثر من ٤١٠ قدم ، وتفريغ الطراد أكثر من ٧٥٠٠ طن ، وطوله ٥٣٠ قدماً .

فالأمر يبدو مستحيلا فى ظاهره ، ولكن الذى خطر لى هو أن التلف الذى أصاب الطراد واقع كله فى مؤخرته ، فلست أحتاج أن أرفع مقدمته من الماء على الإطلاق ، فالمقدمة تظل عائمة فى الماء وأنا أرفع المؤخرة لإصلاح العطب ، وبهذا أحل مشكلة وزنه وطوله الزائدين فى وقت واحد . وهذه هى الطريقة التى أدخلنا بها الطراد ديدو فى حوض أصغر من أن يصلح له .

وظهر أن العطب شديد ، ولكنى قدّرت أن تتم العمل فى ستة أيام .

وفى صباح اليوم السادس ركبت دروع الصلب فى مكانها ما عدا الدرع الأخيرة على الجانب الأيمن . وتقدم أحد رؤساء العمال إلى بنبإ لا يسرّ .

قال : « اللوح لا يصلح يا كبتن ، ولا بد من ردّه ليوضع فى المطرقة لثنيه ، فإنه ليس للطراد مفاصل » .

وكان من سوء الحظ أن ليس فى مصوع مطرقة آلية ، وقد فهمت ما أراده مقدم العمال بإشارته إلى « المفاصل » فى الطراد ، فإن مؤخرته كانت مستقيمة تقريباً إلى ما تحت خط الماء ببضع أقدام ، ثم يثنى اللوح على الهيكل ، وكان الطرف الأعلى من لوح الصلب الأخير يصل إلى نحو ست بوصات فوق خط الانثناء الأفقى ، وكان لا بد لتدريع السفينة من ثنى اللوح عليها .

وقد حاول العمال ثنى اللوح بالمطارق الكبيرة ، وخيل إلينا فترة أنه مقضى علينا بالإخفاق ، ثم أمرت أحد الرجال أن يدعو اثنين هما خير الحدادين عندنا — بيل كننجهام وهوريس أرمسترنج — وكانا فى مهمة أخرى . وبعد ساعة ونصف ساعة كانت مطارقهما

الجبارة قد ثبتت لوح الصلب الثقيل بدقة على ما تحته. فنجونا بيومنا، وسلمنا الطراد في الموعد المضروب، واستحق كننجهام وأرمسترنج منى شكرى وحبي الدائمين.

وكان من نتيجة ما صنعناه للطراد ديدو، أن وكل إلينا الطرادان يوريالوس وكليوبترة وصدر الأمر للمكانيكيين البريطانيين الذين جاءوا مع الطراد ديدو أن يبقوا في مصوع في انتظار الطرادين الآخرين. فأطلق وجودهم بعض رجالى، وأتاح لى فرصة للشروع في تعويم الحوض الجاف الإيطالي الأصغر، وكان غائصاً تحت الماء.

وفي أحرج اللحظات التى مرت بنا ونحن نرفع هذا الحوض تعطل جهازنا الكبير لضغط الهواء فجأة، فغطس الحوض الذى كان قد ارتفع قليلا لما غمر الماء جوفه.

وفي لحظة أو لحظتين صار الذين كانوا يعملون على الحوض عائمين في الماء في كل مكان، وقد دعوت الله أن يكون الذين يعملون تحته مثلهم عائمين، وكنت أعرف أن أرمسترنج، وجونز، ولارسن كانوا جميعاً في ذلك الجانب في المؤخرة التي غمرها الماء تحت قدمى، ولا بد أن طوفاناً من الماء قد أخذ يتدفق من المنفذ التحتى المؤدى إليها. وقد دل على ذلك في تلك اللحظة عمود الماء النازل وفقاقيع الهواء الصاعدة.

فصار قلبي كالرصاص. ولم يكن ثم ما يجزم به المرء أن هؤلاء الثلاثة قد وقعوا في فخ، ولكن إذا كانوا قد وقعوا فإنه لا ينبغى أن يتركوا ليموتوا دون أن يبذل مجهود لإنقاذهم، فقذفت بنفسى من فوق الأخشاب المنصوبة في هذه الدوّامة الفائرة من الماء، فهى تدل على مكان المنفذ.

وكانت المسافة إلى هذا المنفذ تسع أقدام وما كدت أغطس حتى عدت لا أرى شيئاً سوى كتلة من الماء المزْبد وفيه فقاقيع الهواء. وتحسست حتى وجدت باب المنفذ، وكان مواربا، وما لبثت أن لمست أصابعى شيئاً طرياً — هو ذراع بين الباب وإطاره. فأمسكت بالذراع بإحدى يدى لئلا تفلت منى حين يفتح الباب فيندفع الماء، وجذبت باليد الأخرى الباب الحديدى بكل ما فىّ من قوة، فارتدّ مفتوحاً.

وجذبت جسما مسترخياً من المنفذ، وصعدت به من الماء إلى السطح، وبعد لحظة كنت أنا وما أحمل في زورقى، أحاول التنفس، وصوبت عينى إلى هوريس أرمسترنج الذى كان راقداً عند قدمى وقد غاب عن وعيه.

وقلت: «أسعفوه بسرعة!» وعدت إلى الحوض، وغطست مرتين في هذا

العباب المائج من خلال الباب الذى بقى مفتوحاً وصعدت بالآخرين : لارسن وجونز .

وخف جرّاحنا ورجال مستشفى الجيش ليسعفوا الرجال الثلاثة، فأفاق جونز بسرعة، وبعدساعة أفاق لارسن أيضاً. أماأرمسترنج فبقى غائباً عن رشـده ، فحمل فى زورق لمواصلة العمل على إنعاشه فى المستشفى .

وصرنا فى الساعة الخامسة ، وكان جهاز ضغط الهواء قد أصلح ، فاستأنفنا العمل لإعادة رفع الحوض الجاف . **وبعد خمس** ساعات طفا الجانب الأيمن من الحوض مرة أخرى ، فلما كان الصباح كنا قد انتصرنا .

ولكن الفجر لم يحمل إلى قلوبنا روعة النّصر ، فقدنعى إلينا هوريس أرمسترنج ، وتذكرت هوريس وهو يضرب بمطرقته الهائلة تحت مؤخرة الطراد ديدو، فبكيت .

وفى أخريات نوفمـبر تلقيت أمراً بأن أغادر مصوع وأتقدم نفسى إلى مقر قيادة الجنرال أيزنهاور للقيام بأعمال إنقاذ مستعجلة فى جميع موانىء إفريقية الشمالية فلم أشعر بأسف .

وقد رفعنا منـذ شهر مارس أحواضاً عائمة ، وسفناً للمحور ، وآلة رافعة عائمة ضخمة ، ولا يمكن أن يكون هناك شك في قيمة ما أسدته مصوع لقضية الحلفاء .

والآن ابتعدت الحرب فجأة عن مصوع واستقر الحلفاء فى شمالى إفريقية ، وعادت طبرق إلى أيدى البريطانيــين ، وراح مونتجمرى يطارد روميل إلى طرابلس . **فانتهى عهد مصوع .**

وستقوم طائرتى فى الصباح من أسمرة ، وبعد أن ودعت أصحابى ركبت السيارة إلى أسمرة تحت نجوم السماء المظلمـة ، وتلفت فرأيت على مياه البحر الأحمر أضواء متلامحة فى الميناء الغاصّ بالحطام الذى أنقذناه . .

ومضينا نخطف فى الظلام وننهب الصحراء الحارة إلى الجبال ، وسرعان ما شرعنا فى الإصعاد ، فوضعت على كتفى معطفى الذى طال إهمالى له ، فإنى سأحتاج إليه الآن ، وقد يكون شمال إفريقية أشد إضناء من مصوع ، ولكنه على التحقيق سيكون أبرد .



« من الهواء الرقيق ، نزلت فكرة غيرت وجه الأرض . . . وأطباق الفضاء »

من الهواء الرقيق

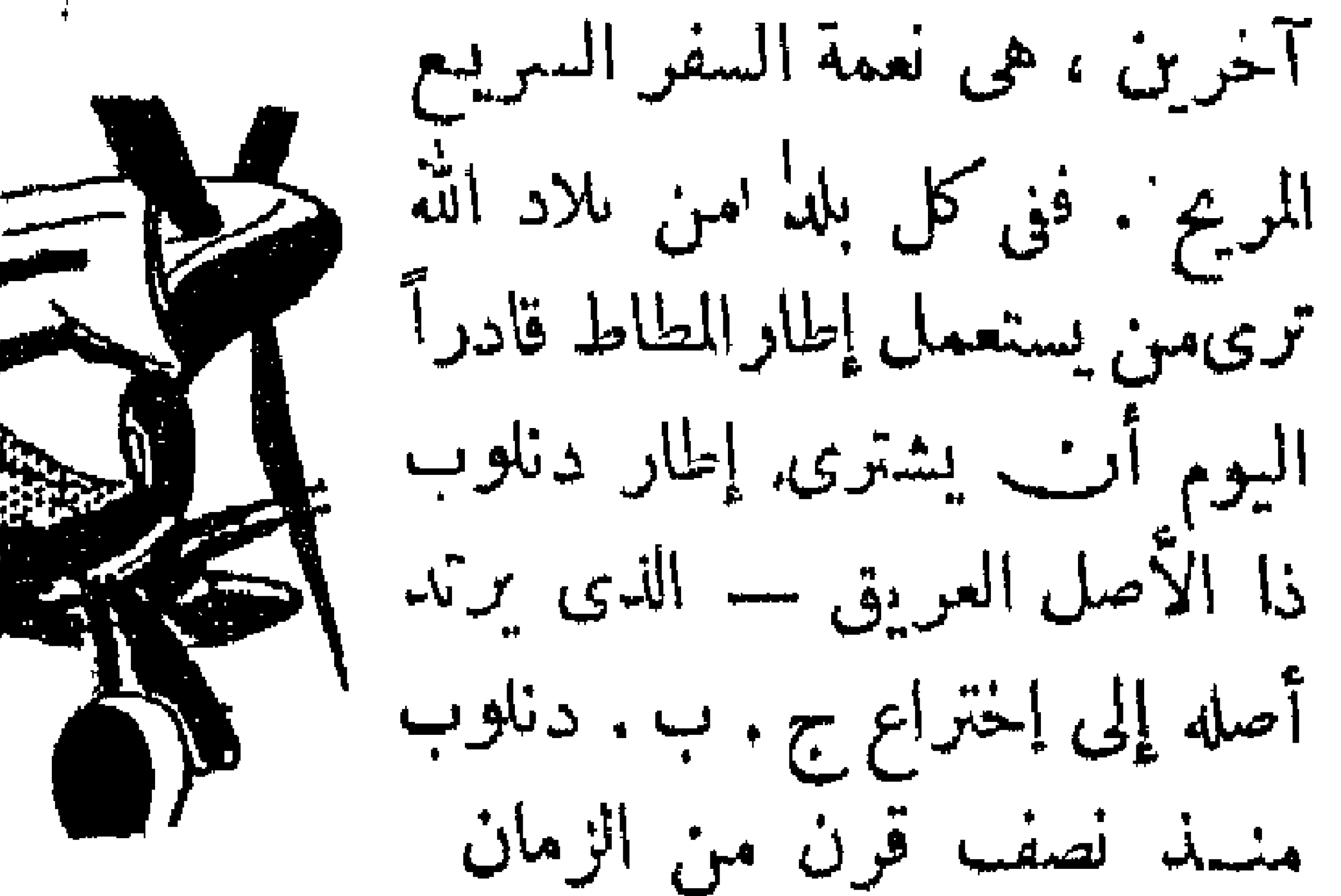
أيّ عالم عجيب يدور من حول كلمة «الهواء» ، فهو أكثر الأشياء مقداراً فى هذا الكون ، وأعظم الأشياء حرية وانطلاقاً . أحبسه عن أي مخلوق حيّ يكن مصيره إلى الموت . وأنت تجد الناس يصفون بأكثر من لغة واحدة كل قول هراء بأنه « هواء فارغ » . والإنجليز يقولون «أعطاه الهواء» إذا عنوا رجلاً يتجنب رجلاً وينفر من صحبته . ولكن ثمة ناحية من موضوع الهواء ، نتخذها أمراً مسلماً به فلا نعيرها ما هى جديرة به تفكير أو عناية ، فأنبوب الهواء الممتلىء هواءً – وهو مشهور باسم عجلة المطاط – قد غيّر حقاً وجه الأرض ، بل غير السماء (إذا نظرنا إلى الطائرات ذات العجلات الضخمة التى لولا هذه العجلات لكانت عاجزة عن القيام فى الجو ثم النزول على الأرض) . ومع ذلك فقد كان بدء كل ذلك فى نحو منتصف القرن التاسع عشر ، يوم وُلد ابن لفلاّح فى قرية دريجهورن الصغيرة فى مقاطعة إرشير بأسكتلندة .

فلما كان فى الثانية والعشرين من عمره نزل جون بويد دنلوب — فقد كان هذا اسم الفتى — فى مدينة بلفاست بإرلندة ، لكى ينشىء لنفسه مكانة فيها فى طب البيطرة .

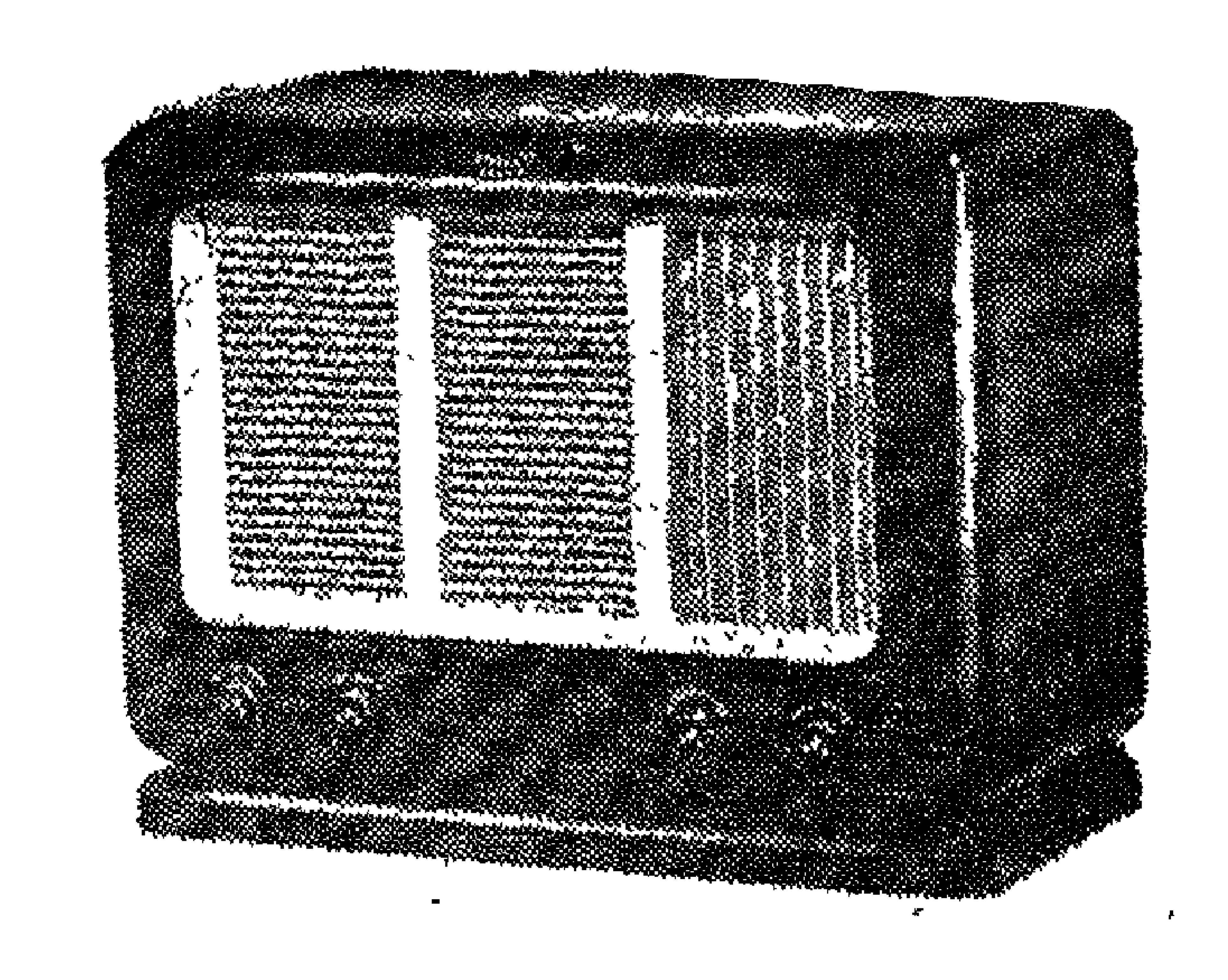
وقد كان ينفق معظم وقته يجوّل سالكاً طرق الريف فى القيام بأعمال طبه ، فكان التجوال على هذه الطرق غير الممهدة يرجه رجاً عنيفاً . والعالم اليوم مدين بعجلة المطاط الممتلئة بالهواء إلى هذه الرجات التى احتملها دنلوب فى زياراته البيطرية .

ذلك بأن دنلوب دأب على التفكير ، وهو يعانى هذه الرجات ، فى الأساليب والطرائق التى تمكن الناس من السفر فى راحة ، وكانت تجاربه متعددة ومتنوعة . وذات يوم وضع حول قرص من الخشب قطره نحو ١٦ بوصة ، أنبوباً مصنوعاً من قطعة من المطاط ، وفى طرفه منفذ دقيق يدخل الهواء منه ، فنفخ هذا الأنبوب بمنفخة كرة القدم ، وجرّب ما صنع فى داره ، فرأى ما شجعه على المواصلة . وتلت ذلك تجارب أهم ، حتى كان شهر يوليو سنة ١٨٨٨ فسجل دنلوب اختراعه . وكانت الدراجة الأولى التى زوّدت بعجلات مطاط على أسلوب دنلوب قادرة أن تقطع براكبها ٣٠٠٠ ميل ، فلم تثقب عجلتها الأمامية ولا أزيلت عن مدارها ، وهى معروضة اليوم فى المتحف الأسكتلندى الملكى بمدينة إدنبرة بأسكتلندة . وكذلك ولدت من «الهواء الرقيق» فكرة تطورت فغيرت فى نصف قرن وجه الأرض وأطباق الفضاء .

من هذه الجذور الدقيقة نمت الشجرة الباسقة التى هى هيئة دنلوب ، المنتشرة أغصانها فى جميع أرجاء الأرض : صناعة عظيمة تتيح عملاً مباشراً أو غير مباشر للملايين من الناس ، وتتيح نعمة للملايين آخرين ، هى نعمة السفر السريع المريح . ففى كل بلد من بلاد الله ترى من يستعمل إطار المطاط قادراً اليوم أن يشترى إطار دنلوب ذا الأصل العريق — الذى يرتد أصله إلى اختراع ج . ب . دنلوب منذ نصف قرن من الزمان




جارجويل
موبيلويل
"اف"
خفيف الثقل
زهيدة الثمن
كثيرة الوفر
C.R.4954
موبيلويل
سوكوني فاكوم



فيلكو تروبيك ٨٦٠

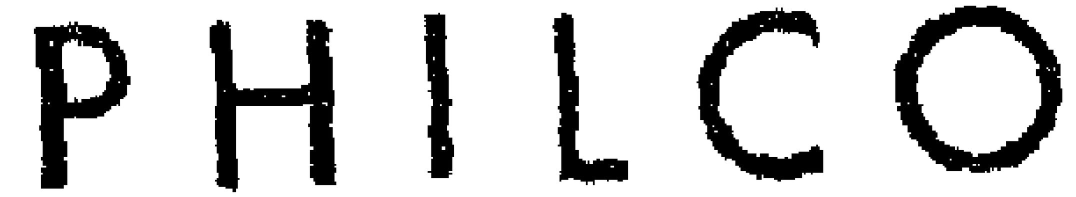
صنع خاصة لالتقاط الأمواج القصيرة من أرجاء العالم . ميكرفون كهربائى ديناميكى ، موبيليا جميلة .



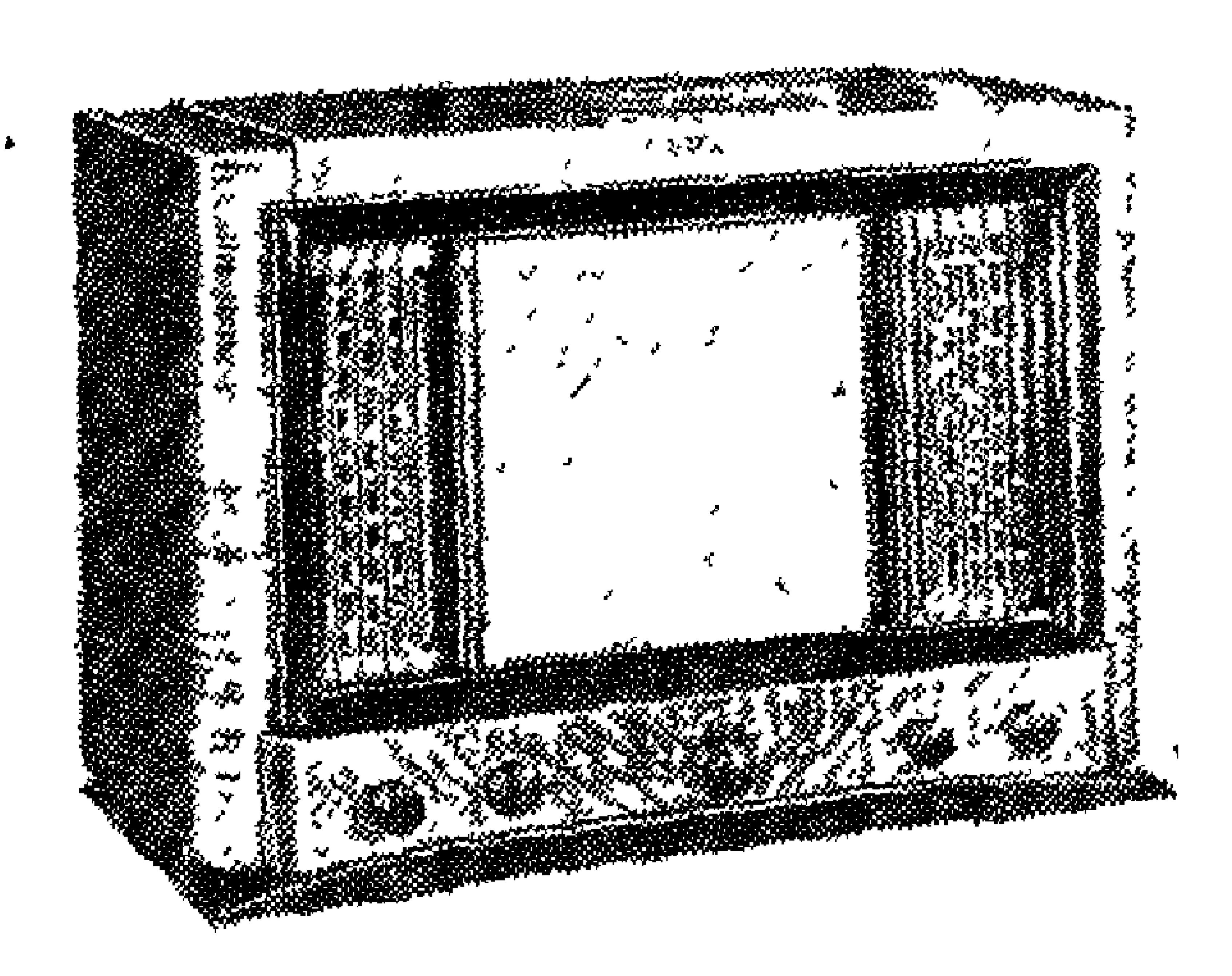
إن أجهزة راديو « فيلكو تروبيك » الجديدة الممتازة تنقل إليك أحسن نقل وأتمه إذاعات الأمواج القصيرة ، . . . وتضيف إليها وتضفى عليها نغماً مجيداً رقيقاً ، ووسائل ميسرة للضبط ، وإحساساً دقيقاً يدهشك . . . تملأها بعينك واسمعها بأذنيك عند موزع « فيلكو » ، الآن !

فيلكو

المشهور بالجودة في جميع أرجاء العالم







فيلكو تروبيك ٨٨٠

جهاز الراديو الذى يفوق جميع الأجهزة فى سعة منطقة الأمواج عليه ، موبيليا بديعة مصنوعة من الخشب الفاخر الجميل المحبب .

PHILCO INTERNATIONAL CORP. 230 Park Ave., New-York, U.S.A.



يحمل إليك السحر الفاتن الذى يلازم عطر ياردلى « بوند ستريت » ... وبودرة ياردلى الناعمة كالسحاب ، ذات الشذا الذى يملك القلوب . احرصى على أن تكسبى الروعة لشفتيك باستعمال أحمر الشفاه ، الناعم الثابت الذى يصنعه ياردلى ، إن صفاء الألوان كفيل بأن يفتنك .

Yardley

of London


أصحاب السيارات يفضلون شموع احتراق
شامپيون
CHAMPION
لأنها شموع يعتمد عليها
إن رجال السيارات فى جميع أرجاء الأرض أصبحوا يعتمدون على شموع احتراق « شامبيون » ، فى سرعة قيام سياراتهم وأداء محركاتها المستمر ، وعملها القليل النفقة — فيظفرون بالرضى الحق الذى ينشده صاحب السيارة .
وقد دلت الاستفتاءات النزيهة عن الهوى التى تمت فى السنوات العشر الأخيرة على أن شموع احتراق « شامبيون » هى أسبق الشموع إلى رضى رجال السيارات وتفضيلهم لأنها شموع يعتمد عليها
CHAMPION
PATENTED
CHAMPION SPARK PLUG COMPANY
Toledo, U.S.A. • Windsor, Can • Feltham, Eng

"٥١" پاركر

جافة بعد ثانية!

إن جمال قلم « پاركر ٥١ » ورشاقته
يعززهما ما يستعمل فى صنعه من مواد نفيسة .
فسنه مصنوعة من ذهب عيار ١٤ . . .
وهى أتم تغليفاً منها فى أى قلم آخر ، فيصونها ذلك
ويحميها ، ورأس السن كرة دقيقة
ملساء أحكم صقلها الدقيق ، وهى مصنوعة
من الأوزميريديوم ، أعصى المعادن على التآكل .
وهذا هو القلم الوحيد الذى صمم
حتى يستعمل استعمالا مرضياً حبر « پاركر ٥١ »
الذى يجف وأنت تكتب .

يكتب كتابة

شركة أقلام پاركر
جانزفيل ، ويسكونسن ، الولايات المتحدة

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis. U.S.A.



إن شركة «فور هويل درايف أوتو كومباني» المشهورة في جميع أرجاء العالم، أنشئت في سنة ١٩١٠، فهي أقدم وأكبر شركة قصرت اهتمامها على صنع سيارات نقل تشمل قوة الدفع فيها، العجلات الأربع، أو العجلات الست، وهي سيارات اشتهرت في كل مكان بأدائها الذي يُعتمد عليه. وشركة «فور هويل درايف أوتو كومباني» هي إحدى الشركات العالمية الكبرى التي تصنع سيارات للنقل الثقيل.

رسالة خطيرة الشأن

إلى أصحاب سيارات النقل FWD اليوم أو في المستقبل، في جميع أرجاء العالم

إن كثيراً من سيارات نقل FWD القوية المتينة التي صنعت للخدمة في الحرب، قد صارت اليوم عمادَ الأهلين في أعمالهم المدنية. فإلى أصحاب سيارات نقل FWD اليوم، وإلى الذين سيشترونها في سائر بلاد الله توجّهُ شركة «فور هويل درايف أوتو كمباني» هذه الرسالة الخطيرة الشأن.

إن المعلومات الفنية، وقطع الغيار الأصلية FWD اللازمة لهذه السيارات حتى تعمل، عملا نافعاً ولصيانتها، تجدها متاحة لك عند شركة «فور هويل درايف أوتو كومباني» أو عند موزّعيها في جميع أرجاء الأرض . . . فتساعد كل صاحب سيارة منها على أن يظفر من هذه السيارات بأقصى درجات الانتفاع والخدمة الطويلة الأمد والاقتصاد.

وسيارات FWD التي لها قوة دافعة تحرك العجلات الأربع والعجلات الست، تتيح لك مزايا لا يسبقها سابق: أقصى قوة وقدرة على نقل الأحمال في أوعر الطرق وأشد أحوال الجو إرهاقاً: سرعة أعظم على مسافة أطول يصحبها أمن أتمّ: أقلُّ نفقة لوحدة النقل (طن واحد-ميل واحد) توزيع متعادل للقوة المحركة — ولوطأة الحمل المنقول على العجلات الأربع أو العجلات الست: خفض الإجهاد على المحاور، وتقليل تآكل الإطارات: خدمة طويلة الأمد.

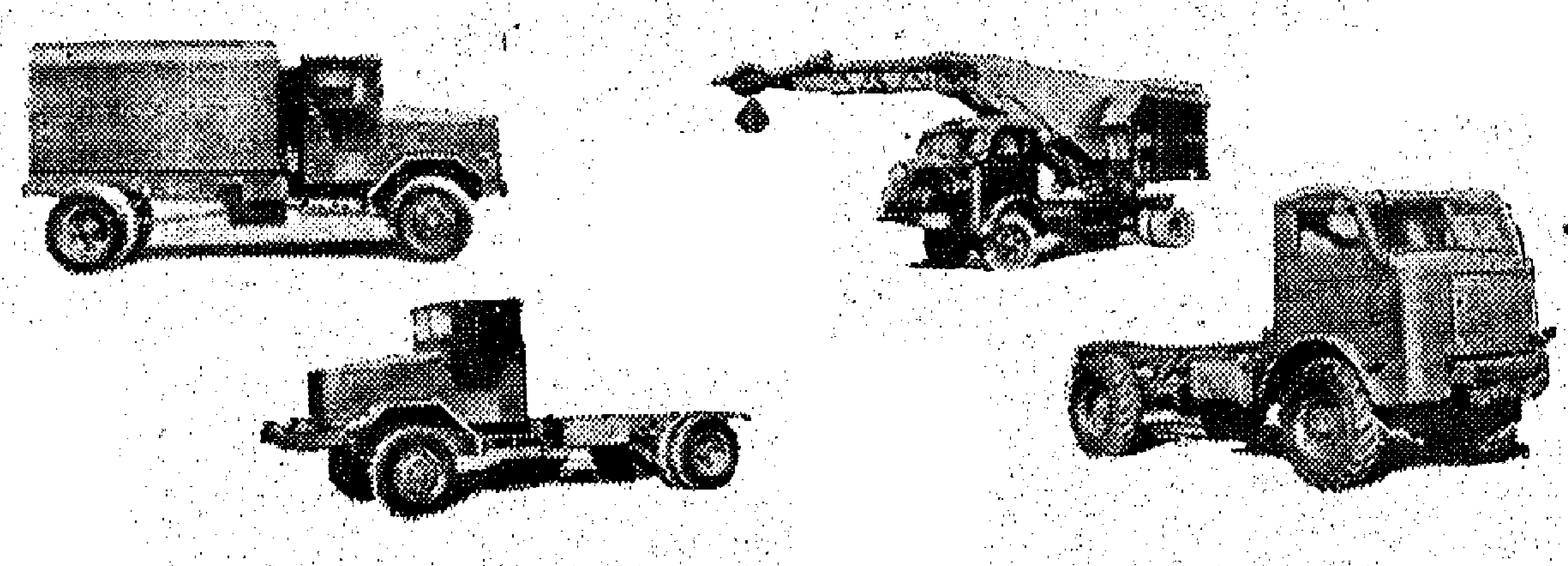
تطلب البيانات الكاملة، بالبريد أو بالبرق من:

THE FOUR WHEEL DRIVE AUTO COMPANY

CLINTONVILLE, WISCONSIN, U. S. A.

العنوان التلغرافي: FWD CLINTONVILLE (Code: "Bentley's")

إن سيارات FWD الحربية، يسهل تحويلها إلى المهام المدنية بنفقة قليلة، ويسهل تزويدها بهيا كل شتى وبالمعدات التابعة لها.




Kodak

... باللغـة العربيـة هى " مـاعـز "

... باللغـة الإنجليزية هى "goats"

... باللغـة الفنلندية هى "vuohia"



ولـكنك تجد فى جميع
لغات الأرض كلمة واحـدة
تدلّ على كلّ مايلزم لالتقاط
الصور ، من أفلام ، وآلات
تصوير ، ومعدات وأدوات
هى كلمة : *Kodak**

Kodak* ماركة قديمة سجّلتها منذ ٥٩ سنة شركات « كوداك »
والشركات المنتمية إليها ، و « كوداك » لهـا هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين . تيسر
لـكل إنسان أن يظفر بمنتجات « كوداك » فى أنحاء الأرض .

EASTMAN KODAK COMPANY ROCHESTER, N. Y., U. S. A.



سيارة "چيب" تعمل
على غير الطرق الممهدة ...
إن سيارة « چيب » يونيفرسال تستطيع أن تسير فوق أرض
يتعذر السير فيها على ضروب السيارات الأخرى . فقوة الدفع التى
تشمل العجلات الأربع تضمن لها الحركة فى الأرض الوعرة ، وقوة
الدفع التى تشمل عجلتين تجعلها صالحة للسير على الطرق الممهدة بالسرعة
المعهودة ، وللاقتصاد فى الوقود ، فهي مركبة لا غنى عنها فى نقل
الرجال والعدد والمؤن إلى مواقع كان الوصول إليها متعذراً ، لولاها .
Willy-Overland Export Corp., Toledo, U.S.A.
چيب Jeep العالمية


شحنة من الفتنة
من مصانع « كاسونز » بمانشستر (إنجلترا) خرجت أحدث الروائع فى أنواع «أحمر الشفاه» البريطانية فى خمسة ألوان جديدة . وقد روعى فى صنعها أن تكون ممتازة فى مادتها ولونها ، فهى تحتل اليوم مكان الصدارة فى صالونات التجميل فى جميع أنحاء العالم .
Cussons أحمر شفاه
73 GROSVENOR ST. LONDON W. I. ENGLAND

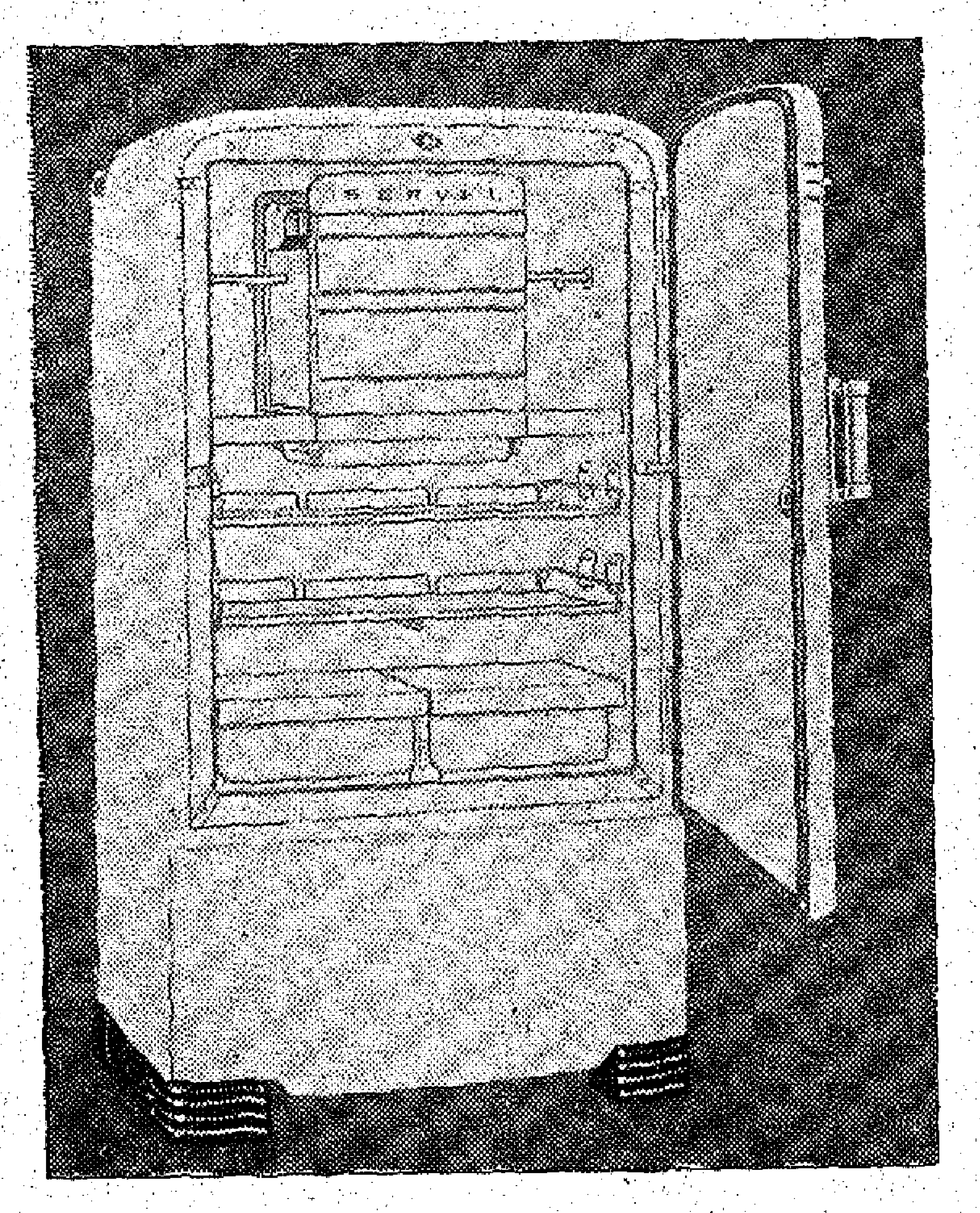
التبريد الآلى للبيت أينما يكون

وهى تعمل :
بالجاز الأبيض
الغاز الطبيعى
الغاز الصناعى
الغاز المعبأ

مقدار كبير من مكعبات الثلج

مكان رحب فى الداخل

تجمد بغير أجزاء متحركة



نعم ، فى وسعك أن تنعم بجميع مزايا التبريد الآلى ـ مقدار وافر من الثلج ، وتبريد مستمر لحفظ الطعام ـ سواء كنت تعيش فى مزرعة بعيدة نائية ، أو فى قلب مدينة كبيرة. ذلك بأن ثلاجة « سرفيل » الشهيرة لا تحتاج إلا إلى مقدار يسير من لهب الغاز أو الجاز لكى تعمل عملها . وهى تختلف عن جميع الثلاجات الأخرى ، فليس فيها فى نظام التبريد أجزاء متحركة . فهى تظل ، كما تعلم المليونا أسرة التى تستمتع بثلاجة « سرفيل » ، هادئة لا تحدث صوتاً ، وعمرها أطول .

« وسرفيل » يقدم لك أيضاً أعلى آيات الجمال الحديث ، فى الخدمة المجدية والتيسير النافع . فأجهزة التندية الكبيرة التى تحتويها ، تحفظ لك الخضر والثمار غضة ناضرة أياماً كثيرة والمكان الرحب الخاص بخزن اللحم يحفظ فيه كل جودة اللحم الطازج . ثم فيها متسع كبيرة لقطع اللحم الكبيرة بعد تجميرها ، لأن رفوفها أو حجراتها يمكن تغيير سعتها وزيادة رحابتها وفقاً لحاجتك .

الثلاجة التى تختلف عما سواها

Servel سرفيل

International Division, 51 East 42nd St., New York 17, N.Y., U S.A.


CALTEX
REG. T. M.
في خدمتك
لمنتجات بترولية أفضل
«كالتكس» خدمة مزدوجة ذات نفعين : منتجات بالغة الجودة — بنزين ، وجاز ، ومواد للتزييت ، ووقود الديزل ، وزيت الوقود — وأيضاً مصدر متيسر تستطيع الاعتماد عليه للظفر بما تريد ، وكلاهما قد أحكم إعداده لكي يعينك على أن تظفر بأداء نافع محكم التوقيت ، في سفنك أو مصانعك أو آلاتك.
SOCIÉTÉ CALIFORNIA TAXAS DES PETROLES, S.E.A.
9, Rue Fouad
Cairo, Egypt.
كالتكس لإنتاج البترول


Coca-Cola
Coca-Cola
تذكر!
إذا أردت شيئاً
لذيذاً مرطباً
اشرب
كوكاكولا
ماركة مسجلة
مثلجة

ويبلغ طول كل منهما قبل تهشيمه نحو تسع وستين قدماً وقد راعى المثال في نحته تناسب الأعضاء . وربما عزى بقاء هذين الأثرين إلى أن القوم كانوا يؤلهون الفرعون « أمنحوتب الثالث » . فلا غرابة إذن في أن تراهما جالسين على حافة الصحراء يريان طيبة تنهض مرة وتسقط أخرى . فقد شاهدا الإثيوبيين يدخلون البلاد ، ثم الفرس ، فالأشوريين فالفرس ثانية ، ثم الإغريق والرومان . وفي عام ٢٧ ق م حدث زلزال فكسر التمثال الشمالي نصفين . ومن المدهش أن كان هذا الحادث فاتحة عهد جديد في شهرة هذا الأثر ، فإنه بعد انكساره كان المارة يسمعون في الصباح المبكر عند طلوع الشمس صوتاً موسيقياً ينبعث من التمثال المكسور كأنه صوت عود . وقد انتشر خبر تلك الأعجوبة ، ومن ثم نجبت الخيال الأغريقي الشعري الخرافات عن سبب هذا الحادث ، فتخيلوا أن الصوت المنبعث من التمثال هو « ممنون » بن « تيثونس » أخو الملك « بريم » ملك « طروادة » . وأمه « إيوس » إلهة شفق الفجر . وتقص الأسطورة أن « ممنون » هذا كان يساعد هو وجيش من « الإثيوبيين » أهالي « طروادة » ضد الإغريق ، وقد قتله أخيل البطل الإغريقي ، ولكن أمه « إيوس » انتشلت جثته من ساحة القتال ودعت الإله « زيوس » أن يمنحه الخلود . وقد كانت الدموع التي تنهمر من عينيها عليه هي قطرات الندى التي تتساقط كل صباح . وفي رواية أخرى أن « ممنون » هذا كان إثيوبي الأصل ، وأنه قبل سيره إلى « طروادة » أتى إلى مصر ومن ثم ذهب إلى « سوس » في بابل . وعلى حسب هذه الرواية تكون الأصوات الموسيقية العذبة التي تسمع كل صباح عند مطلع الشمس من هذا التمثال، هي صوت نبرات هذا البطل يرحب بوالدته ساعة تشرق في السماء الوردية اللون عند مطلع الفجر . ولقد بلغت الشهرة التي نالها هذا التمثال مبلغاً عظيما حتى أن أباطرة الرومان أنفسهم أتوا لزيارته . ففي القرن الثاني بعد الميلاد أتى الإمبراطور « ستيمس سفرس » لزيارته أيضاً ، وسُر به كثيراً حتى أمر بإصلاحه ، غير أن هذا الإصلاح كان إيذاناً باختفاء ذلك الصوت العجيب ، فأصاب التمثال الخرس ، ومن ثم انفضّ من حوله الزوار المعجبون .

ولا أدل على مقدار شهرة هذا الصنم في تلك الفترة التي كان فيها مقصد الزوار مما نحده من الكتابة التي تركها زائروه على أجزائه المختلفة

وإني لأرجو لمجلة المختار حياة مديدة حافلة بالنفع لقراء العربية ، فقديماً قال أحد كتاب الفراعنة : « إن مؤلفاً واحداً لأعظم فائدة من لوحة قبر منحوتة ومن بناء قبرنخم ، لأن الكتاب سيكون لك بمثابة مقاصير وأهرام في قلوب من ينطقون بعنوانه » .

سليم حسن

مطبعة مصر

تمثالا ممنون

سليم حسن بك

وكيل مصلحة الآثار المصرية ، وأستاذ فى جامعة فؤاد الأول سابقاً ، أول من نشر قصيدة بنتاؤور بجميع نصوصها ومؤلف « الأناشيد الدينية » و « تاريخ مصر الحديث » و « الأدب المصرى القديم »

يطيب لى أن أكتب كلمة موجزة عن تمثال ممنون الذى حُلِّى به غلاف مجلة المختار هذا الشهر . فقد أسدت هذه المجلة إلى قراء العربية خدمة جليلة ، فهى جامعة متنقلة لا يقصدها الطلاب بل هى التى تذهب إليهم حاملة إلى دورهم آيات الفكر الناضج ، والبحث الجليل ، والفن المبتكر ، والمتعة البريئة ، وكل ما يهيىء المرء للنجاح والسعادة فى الحياة .

أعود إلى تمثالى ممنون العملاقين ، فأقول إنهما الحارسان اللذان يشرفان بوجههما على سهل مدينة طيبة الفسيح ، ولهما أثر عجيب أخاذ سحر الناس منذ عشرين قرناً خلت . وتمثالا ممنون تمثالان فرعون مصر أمنحوتب الثالث (١٤١٠ — ١٣٦٤ م) . وقد أسبغ عليه التاريخ بحق لقب « الفاخر » لأن مصر بلغت فى عهده قمة مجدها ونالت حظاً عظيماً من السؤدد والثقافة والعلم . ولقد ترسم أمنحوتب خطى أسلافه فى تشييد المبانى الضخمة التى خلدت اسمه ، وقد كان أبهى بناء شيَّدهُ هو معبده الجنازى فى طيبة الغربية للإله آمون ولعبادته هو نفسه . ولم يبق لنا من هذا الأثر العظيم سوى تمثالى ممنون اللذين نصبا على بابه ، ولوحة تصف لنا هذا المعبد . أما التمثالان فقد نحت كل منهما من قطعة واحدة من الحجر الرملى المستخرج من الجبل الأحمر الواقع على مقربة من مدينة « عين شمس » . ولذلك نجد الفرعون يفخر بنقلهما من هذا المكان إلى طيبة فيقول عن نفسه : إنه صاحب الآثار العظيمة التى نقلها بقوته من عين شمس الشمالية إلى عين شمس الجنوبية (أى طيبة) .

[البقية على الصفحة السابقة]